تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الخامس

دار المعراج

دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الخامس

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج
تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429. سورية. دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

جوال : 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١٠)، وترتيبها في النزول (٥١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة للبعد يدل على بعد منزلة آيات الكتاب (القرآن)، والكاف: للخطاب، والمخاطب: هو رسول الله ﷺ.

وتلك: تشير إلى الكثرة، وتشير إلى الآيات الآتية، والتي سبقتها، والآيات بشكل عام.

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: آيات القرآن، والإضافة؛ للتفخيم لها، والتعظيم.

﴿الْحَكِيمِ﴾: وصف للقرآن، والحكيم: صفة مشتقة من حكم يحكم؛ أي: حاكم يحكم بين النّاس بالحق، ويحكم بين الأفعال؛ هذا فعل حسن، وهذا فعل قبيح، وحاكماً يفصل بين الحقّ والباطل، وبين النّاس فيما اختلفوا فيه، وحاكم في الأخلاق، وحكيم: مشتقة من الحكمة؛ أي: مليء بالحكمة، أو محكم لا تعارض فيه، ذو حكمة؛ لأنّه صادر من الله الحكيم. وحكيم: تعني: المهيمن على الكتب السماوية الأخرى.

[٢] ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي والطبري عن ابن عباس قال: لما بعث الله تعالىٰ محمّداً ﷺ رسولاً أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمّد؟ فأنزل الله هذه الآية.

كقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٤].

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان:٤١].

﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق:٢].

﴿ أَكَانَ ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والنّاس في هذه الآية: أهل مكة، وكلمة النّاس: مشتقة من النوس. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١).

﴿عَجَبًا﴾: موضع العجب أو التعجب كونه رجل أولاً، ومنهم ثانياً؛ أيْ: من قريش العرب ومن الأميين.

﴿أَنْ﴾: المفسرة المخففة (للتوكيد).

﴿أَوْحَيْنَا﴾: الوحي لغة: هو الإعلام بالخفاء. وشرعاً: هو ما يلقي الله سبحانه علىٰ رسله من تكاليف، وتعاليم، وآيات... وغيرها.

ويكون بأن يكلم الله أحد رسله وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: إلى محمد ﷺ. منهم: من قريش يعرفونه.

﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: أن: للتوكيد. أنذر النّاس: أنذر من الإنذار: وهو الإعلام مع التحذير، أو التّخويف، أو الزّجر، والإنذار: يكون بعدم فعل شيء ما، أو تركه، أو الحثّ على ألا يُقدِمَ على ما يضره.

﴿النَّاسَ﴾: تشمل: الإنس، والجن.

الإنذار إذن لكلّ النّاس بما فيهم المؤمن والكافر. ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: البشارة تكون فقط لمن آمن. الّذين آمنوا، ولا تكون إلا بالخير عادة (البشارة المطلقة)، أما البشارة المقيدة: فقد تكون بالشّر؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تكون على سبيل التهكم، والسّخرية. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾: أنّ: للتوكيد (حرف مشبه بالفعل). لهم: اللام: لام الاختصاص. لهم: خاصّة، قدم صدق: سابقة خير؛ أيْ: ما قدّموه من الأعمال الصّالحة في دنياهم قد وصل. قدَم: هو العضو المعروف الّذي نمشي عليه، وهو وسيلة للسعي، والسّبق؛ لأنّ السّعي والسّبق إلى الأعمال الصالحة غالباً ما يكون بالقدم؛ فعبر عن الإيمان، والاستماع، واتّباع المنهج الرّباني بالقدم على سبيل المجاز، أو أنّهم قد قدّموا أعمالاً صالحة في دنياهم فجزاء ذلك أن يكون لهم مقعد صدق عند ربهم.

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: وعندما أبلغهم الرّسول ﷺ الإنذار، أو أنذرهم باتباع منهج الله تعالىٰ، قال الكافرون: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: اتهم الكافرون الرّسول ﷺ بكونه: ساحراً مبيناً: اللام في كلمة لساحر: تفيد التوكيد. مبين: واضح، وبيِّن لكل من يعرفه: أنّه ساحر، وما جاء به السِّحر الواضح الّذي لا يحتاج إلىٰ برهان، أو دليل، وفي آيات أخرىٰ: اتّهموا القرآن بأنّه سحر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ:٤٣].

والسّاحر: هو الّذي يقوم بأعمال توهم أنها حقيقة، وهي حيل، وتخيلات، ولو كان ساحراً كما زعموا لماذا لم يسحرهم حتّىٰ يؤمنوا، وينتهي الأمر، واتّهموه بالسّاحر، أو ما جاء به السحر حين رأوا من تأثيره القوي في النفوس، والقلوب، وكونه خارقاً للعادات، وظنوا أن رسول الله ﷺ ما يقوم به، أو جاء به هو نوع من الحيل والشعوذة، أو كيف يُوحَىٰ إليه. ارجع إلىٰ سورة طه، آية (٥٨)، وسورة البقرة، آية (١٠٢).

كلمة صدق جاءت في القرآن في عدَّة آيات منها:

ـ قدم: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس:٢]؛ أيْ: سابقة فضل، ومنزلة رفيعة.

ـ لسان ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء:٨٤]؛ أيْ: ثناءً حسناً، وذكراً جميلاً.

ـ مخرج ومدخل: ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠]؛ أيْ: أدخلني مُدخلاً مرضياً، وأخرجني مخرجاً مرضياً.

ـ مقعد: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:٥٥]؛ أيْ: مكاناً مرضياً في الآخرة.

ـ ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس:٩٣]؛ أيْ: منزلاً مباركاً في الدّنيا.

والمدخل، والمخرج، والمقعد، والمبوأ: كل ذلك جزاء لمن استجاب لربه، وعمل صالحاً.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

بدلاً من العجب كيف أنزل الوحي إلىٰ محمّد ﷺ كان عليكم أن تعجبوا من خلق السّموات والأرض في ستة أيام.

فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾: إنّ: للتوكيد، ربكم الله: ربكم: الرّب في اللغة: المالك، والمدبر، والمربي، والقيم، والرّازق، والمنعم. الله: سبحانه تشير أنّه المعبود الحقّ، والإله الحقّ الّذي يستحق العبادة؛ لأنّه سبحانه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠)؛ للبيان.

﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: قد تعني: ستَّ مراحل، وكلّ مرحلة تمثل بيوم، واليوم طوله بلايين السنين، ويُعينُ علىٰ تفسير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ثمّ: هنا تفيد التفاوت بالمرتبة بين الاستواء علىٰ العرش: هو أكبر وأعظم المخلوقات، وأعظم من خلق السّموات والأرض الذي هو بدوره أكبر من خلق الناس، كما أشارت إلىٰ ذلك الآية (٥٧) من سورة غافر.

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استواءً يليق بذاته، وصفاته، وفي إطار ليس كمثله شيء، والاستواء: لا يدلُّ على مكان محدَّد؛ لأنّه سبحانه مُنزَّه أن يكون محدداً بمكان، أو زمان، والعرش فسره بعض العلماء بالملك، والسّلطان، والقدرة، والتّدبير، والعرش: لا يُقدر بقدر، وهو من الأمور الغيبية.

والكرسي فسِّر بالعلم، والسّموات السّبع، والأرض بالنّسبة للعرش كحلقة في فلاة. ارجع إلى سورة هود آية (٧) للبيان.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: الأمر: يضم كلّ شيء وزيادة، يدبِّر أيَّ أمر حسب مشيئته، وحكمته، وعلمه، وإرادته تدبير محكم، يدبر: يعني: ينظم، يقدِّر ويقضي، يدبر الأمر جاء لينفي التّعجب؛ فالّذي خلق هو الّذي يدبر الأمر ، أمر الكون، وأمر الخلق.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾: ما: النّافية. من: الاستغراقية، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع. شفيع: صيغة مبالغة من شافع، وهو الّذي يطلب العفو لشخص آخر، وتكون في ذنب، أو تقصير في حق الله، والشفاعة لا بُدَّ لها من شروط، هي: إذن من الله، ورضا، والمشفوع له مؤهَّل للشفاعة، وكذلك الشّافع مؤهَّل للشفاعة؛ كقوله سبحانه: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾، والشّفاعة الباطلة المزعومة شفاعة الأصنام، والأوثان... وغيرها من الآلهة المعبودة، واللات، والعزى: فليس لهذه شفاعة أصلاً عند الله سبحانه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ ذلكم: اسم إشارة؛ يفيد البعد؛ أي: التعظيم، والعلو، والتّوكيد، ولم يقل: ذلك، وإنما ذلكم؛ أيْ: ذلكم العظيم الّذي

خلق السّموات والأرض، ثم استوىٰ علىٰ العرش، والّذي يدبِّر الأمر: هو الله الّذي يستحق العبادة وحده، ويستحق التّعظيم، والشّكر، والحمد.

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾: وحده، والفاء: تفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام، الفاء: للتوكيد. ألّا: أداة حضٍّ، وحثٍّ، وطلب، وتنبيه للسامع الّذي قد يكون غافلاً.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ولم يقل: تتذكرون؛ أيْ: لستم بحاجة إلىٰ وقت طويل لتذكروا عظمة الخالق؛ لأن أدنىٰ تذكُّر بخلق هذه السموات والأرض كافٍ للدلالة علىٰ عظمة الخالق المدبِّر.

[٤] ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾:

﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾: بعد الحديث عن دلائل وحدانية الألوهية، والرّبوبية ينتقل سبحانه إلىٰ ذكر البعث، والجزاء.

﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور، وتقديم ذلك يدل علىٰ الحصر إليه وحده لا إلىٰ غيره.

﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾: جميعاً يوم القيامة (البعث والحشر).

﴿جَمِيعٗا﴾: توكيد.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: وعد الله صدقاً؛ أيْ: إرجاعه إياكم إليه وعدٌ منه صادق، وكلُّ وعدٍ من الله هو حقٌّ، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير.

﴿حَقًّا﴾: يفيد التّوكيد؛ لأنّ الباطل قد يسود، ويطغو ويعمُّ، ثم يزول، وينمحي.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: يخلق الخلق ابتداءً بتقدير، ومن غير مثال سابق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي يعيده بالبعث، والحشر، وهو أهون عليه.

والغاية والحكمة من الإعادة: هي الجزاء، والحساب.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: ليجزي: اللام: لام التّعليل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: أيْ: يرفع الجور، ويحقق العدل؛ فالقسط يعني: الحكم بالعدل، وتنفيذ الحكم، والجزاء لا زيادة، ولا نقصان، وهذا لا يمنع الفضل من الله سبحانه، والحسنة بعشر أمثالها، أو أضعافٌ، والسّيئة بمثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: وبالمقابل الّذين كفروا بالله، ورسله، واليوم الآخر، والبعث، والجزاء:

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: الحميم الماء الشّديد المتناهي في الحرارة، والسّخونة.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾: شديد الإيلام بما كانوا يكفرون.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو السّببية؛ أيْ: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾: هو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر؛ هو وحده لا غيره.

﴿ ٱلَّذِى ﴾: اسم موصول.

﴿ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾: والجعل يكون بعد الخلق، وهو التّصيير؛ أيْ: خلق الشّمس، وهي نجم؛ أيْ: فرن نووي عملاق؛ مركب من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٥٪)، والهليوم بنسبة (٢٤٪)، وتبعد الشّمس عن الأرض (١٥٠ مليون كم)، وهي أهم مصدر للحياة على كوب الأرض.

﴿ ضِيَآءً ﴾: أيْ: مصدراً للضوء، والدفء للكائنات الحية كلها: الإنسان، والحيوان، والنبات، ولولا الشّمس لما استقامت الحياة على الأرض، وفي كلّ شهر شمسي نجد أن الشّمس تقع في برج من البروج؛ فهي وسيلة لتحديد الزّمن أيضاً.

﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾: القمر: هو الجرم السماوي الوحيد الّذي يدور حول كوكب الأرض دورة كاملة في كلّ (٢٧،٣ يوم) تقريباً، ويأخذ (٢٩ يوماً) ليدور حول نفسه ويظهر لنا كهلال، ويعتبر القمر خامس أكبر الأقمار الطبيعة الموجودة في المجموعة الشمسية، ويبعد عن الأرض حوالي (٣٨٤،٠٠٠كم)، ويستمد ضوءُه من الشّمس، ونسبة قليلة من أشعة الأجرام الأخرى، وقطر القمر يساوي ربع قطر الأرض، والقمر ليس مضيئاً بحد ذاته، وإنما يعكس الضّوء الواقع عليه من أشعة الشّمس، ويسمّى ذلك نوراً، فهناك فرق بين الضوء والنور.

وأما الضيـــاء، أو الضوء الـــذي تصاحبه حرارة مقارنـــة بالنور الذي ليس فيه حـــرارة فهي إضاءة صادرة عن مصدر مشـــتعل بحد ذاتـــه، أو مضيء بذاته؛ كالشمس، والنجوم، والنّور أوسع، أو أعم من الضّياء، والضّياء: حالة جزئية من حالات النّور، والنور حين يشتد يسمىٰ ضياءً (أو فرط الإنارة).

والضّياء: هو حالة من حالات اشتداد النّور.

فالنّور حين يشتد يسمّىٰ ضياءً، وفرط الإنارة يسمّىٰ ضياءً.

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾: منازل القمر هي: مواضع تحركه في مداره حول الأرض بين الشّـــمس والأرض، ومنازل القمر هي: المحاق، والهلال المتزايد، والتربيع الأوّل، والأحـــدب المتزايد، والبـــدر، والأحدب المتناقـــص، والتربيع الثّاني، والهلال المتناقص. ارجع إلىٰ سورة ياسين آية (٣٩).

﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: وتبعاً لتغير هذه المواقع تتغيَّر صورته الّتي نراه عليها خلال الشهر (أوله، وسطه، آخره)، والتقدير الشهري يكون بالقمر، والتقدير اليومي يكون بالشمس.

﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: فـــدورة القمر حول الأرض دورة كاملة يحدد لنا الشـــهر، وكلّ (١٢ دورة) قمرية تحدد لنا السنة القمرية، وكلّ سنة قمرية أقل من الســـنة الشمســـية بـ(١١ يوماً)، ودورة الأرض حول محورها (نفسها) يحدد لنا اليوم، وسنة المسلمين سنة شمسية قمرية معاً، ويحدد وقوع الشّمس في برج من الأبراج الاثني عشر الشهر الشمسي، وهناك أبراج للزينة، وأبراج تساعد علىٰ

معرفة الاتجاهات. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٢)، وسورة الحجر آية (١٦)، وسورة الرحمن آية (٥)، وسورة إبراهيم آية (٣٣) للبيان المفصل في السنة الشمسية والسنة القمرية.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: ما: النّافية.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: أي: الشّمس، والقمر، والسّماء، والأرض، والليل، والنّهار، والضّياء، والنّور؛ إلا بالحق.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر (لا خلاف فيه)؛ بالصّدق.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفصل الآيات؛ مثل: كروية الأرض يبيِّنها في آيات أخرىٰ؛ مثل: الليل، والنهار، والضياء، والنور. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: العلم عملية نهائية تسبقها عملية الفقه، والتفكر، والتدبر، والعقل، ثمّ العلم. العلم بالحقائق الكونية الدّالة علىٰ وجود الخالق الحقّ الواحد، واجب الوجود.

[٦] ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر في الآية السّابقة هو الّذي جعل الشّمس ضياءً، والقمر نوراً أتبع ذلك؛ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: في التّعاقب،

والطّول والقصر، والمجيء والذّهاب؛ هذا الاختلاف الدّال على كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وحول الشّمس الّذي يؤدّي إلى تبادل اللّيل، والنّهار الضروريين لاستقامة الحياة على هذه الأرض.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من المجرات، والكواكب، والنّجوم، والشّموس، والأقمار، وفي الأرض من الجبال، والحيوانات، والبحار، والنّباتات، والجمادات، والسّحاب، والأمطار، والرّعد، والبرق، والمد، والجزر... وغيرها.

﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ آيات: كونية، ودلائل على وجوده، ووحدانيّته، وقدرته، وحكمته، وعظمته، وكمال علمه، وهذا يوجب طاعة الله وتقواه.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ يتقون الله في أوامره بطاعتها، ويتقون الله في نواهيه بتجنُّبها.

وفي الآية السّابقة قال تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: يعلمون، وهذا العلم يهديهم إلى التقوى.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

سورة يونس [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: إنّ: لتوكيد الّذين؛ لا: النّافية؛ لا يرجون: لا يودون، أو لا يتوقّعون لقاءَنا؛ أيْ: لقاء الله سبحانه، والعرض عليه يوم القيامة، والرّجاء هنا؛ يعني: الشّك، والظّن، والخشية، والخوف؛ أيْ: يشكون، أو لا يتوقّعون، وربما يخشون، ويخافون لقاءَنا.

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: أيْ: أمثال هؤلاء الّذين لا يؤمنون بالبعث، والحشر، والقيامة، والدّار الآخرة، والجنة والنّار، ولا يؤمنون بثواب، ولا بعقاب؛ بما أنّهم لا يؤمنون بالبعث، والجزاء، والحساب؛ فهم لا يستعدون لذلك، أو يهيّئون أنفسهم بالإيمان، وبالعمل الصّالح؛ فهم لا يخافون العاقبة، وسوء اللقاء، وقال سبحانه: (لقاءَنا)، ولم يقل: لقاء الآخرة؛ للتنبيه، والتّحذير لهؤلاء. ارجع إلى سورة الفرقان، آية (٢١)؛ لمزيد من البيان في معنى: لا يرجون.

﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: اكتفوا بالحياة الدّنيا، ولم يرغبوا بالآخرة، أو يفكروا بآخرتهم، أو هم آثروا الدّنيا على الآخرة.

﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾: ارتاحوا، وأخلدوا إلى دنياهم، وفرحوا بها.

وقصروا همهم، وغايتهم على لذائذ الدّنيا وزخارفها، فكان ذلك مبلغهم من العلم. والرضا: هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾: الغفلة: هي ترك الشّيء، وذهابه عن فكر الإنسان، ولم يعد يخطر على باله، أو يتذكره رغم رؤيتهم لآيات الله سبحانه الكونية، أو القرآنية، وسماع تلك الآيات؛ فهي تمر عليهم كأن لم تكن لا يتيقَّظون بها، وكأنهم خشب مسندة لا يتعظون بها، فهؤلاء الّذين فرحوا بالحياة الدّنيا، واطمأنوا بها؛ أصبحوا في منزلة الغافلين عن الآخرة، أو عما هو مطلوب منهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

وكان يكفي القول: والذّين عن آياتنا غافلون. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: غافلون.

[٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد بُعد انحطاطهم، وغفلتهم.

﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: المأوى: اسم مكان من أوى يأوي، والمأوى: المنزل، والمكان؛ مكان استقرارهم، وخلودهم.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد السببية، أو البدلية؛ أيْ: بدل، أو بسبب ما كسبوا من الذّنوب، والآثام، وقال سبحانه: يكسبون، ولم يقل: يكتسبون. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة يونس، وسورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لبيان تفسير كلمة كسبوا، واكتسبوا.

[٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: إنّ: للتوكيد؛ الهداية تكون لهم في الدّنيا، وفي الآخرة، والهداية تعني: أخذوا بالمنهج، والتزموا به، وطلبوا العون من الله؛ فدلهم على الصّراط المستقيم،

وأرشـدهم إليه في الدّنيا، ويوم القيامة سـوف يوصلهم ذلك الصّراط المستقيم إلىٰ جنات النّعيم.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: أيْ: تنبـع الأنهـار من تحت تلك الجنات. في جنات النعيم: ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (٧١-٧٢) للبيان.

﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: النعيم: هو مشـتق من النعمة، ويعنـي: النعمة الكثيرة الدائمة التي لا تـزول، فالنعيم: يطلق علىٰ نعم الآخرة، وهو النعيم الدائم الكثير والمتجدد والخالد الخاص بأهل الجنة.

وأما النعمة: تطلق علىٰ نِعَـم الدنيا الظاهرة والباطنة، وهي نعم زائلة، وإذا كان هناك نعيـم في الدنيا فهو ناقص زائل غير كامل تشـوبه الأكدار. ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (٧١-٧٢) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾: أيْ: دعاؤهم فيهـا؛ أيْ: في جنات النعيم، رغم كون دار الآخرة ليسـت دار تكليف، وعبادة؛ فهم يدعون ربهـم فرحاً، وتلذذاً؛ كما كانوا يدعون فـي الدّنيا؛ لكثرة ما يفاجؤون به من النّعيم تنطلق ألسـنتهم بالتّسـبيح؛ فيقولـون: سـبحانك اللهم، ومعناها: يا اللـه، أو يا الله ائتنا بالخير من شـدة الإعجاب يبدؤون بالتّسبيح، والتّنزيه؛ إجلالاً، وتعظيماً للمنعم.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾:

١ - سلام من الله سبحانه كقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

٢ - وسلام من الملائكة كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٤].

٣ - وهم يسلِّمون على بعضهم بعضاً.

كلمة السّلام: رمز الرّضا، والاستقرار، والاطمئنان؛ سلام شامل يشمل النّفس من كلّ مكروه، ويشمل الأهل، والمكان.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وآخر دعواهم أن: للتوكيد.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أيْ: حمد بيقين، وتوكيد على فضل الله عليهم؛ حمد على نعم الله تعالى الّتي لا تزول، والحمد لله رب العالمين على نعمة الإيجاد، والحمد لله على نعمة الإمداد، والحمد لله على نعمة البقاء في دار الخلد حمداً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه.

[١١] ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية؛ تفيد النّفي، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١].

﴿يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: لو يعجِّل الله إجابة دعائهم حين يدعون بالشّر كما يعجِّل لهم الإجابة بالخير.

﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: الأجل: الموت؛ لقضي إليهم أجلُهُم؛ أيْ: أهلكهم، أو أماتهم، أو أصابهم السّوء، ولكن من رحمته لم يستجب لهم؛ لأنّه رؤوف رحيم، واللام: في ليقضي: للتوكيد، والتّعليل.

ووضع استعجالهم بالخير بدلاً من تعجيله لهم بالخير؛ ليدل على سرعة إجابته لهم، ولنعلم: أنّ إجابة الدّعاء، أو عدمه مفوض إلى مشيئة الله وحده، وإلى حكمته سبحانه، والله سبحانه منزّه أن يظن أيُّ عبد أنّ الله سبحانه يجب أن

يستجيبَ لدعائه؛ فالله سبحانه بحكمه، وحكمته يقرِّر ما يشاء، ويختار ،ما كان لهم الخيرة.

﴿فَنَذَرُ﴾: الفاء: للمباشرة. نذر: نترك، ونهمل.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٧).

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: طغيانهم: مجاوزتهم الحد في الظّلم، والكفر، والعصيان.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيَّرون؛ يتردَّدون في الضّلال، والكفر، والعصيان؛ يتقلَّبون، ويدل قوله: يعمهون: على التّجدد، والتّكرار. ويعمهون: مشتقة من عمى البصيرة من عمه؛ إذا تردَّد، وتحيَّر، وأما العمى: فيكون في البصر، أو العين، وعمى البصيرة أشد من عمى العين.

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: إذا: ظرف زماني؛ يدل على كثرة الحدوث، وحتمية الوقوع.

﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾: مس: المس: هو الإصابة الخفيفة (الطّفيفة) مجرد المس الّذي هو دون اللمس.

﴿ٱلضُّرُّ﴾: هنا معرف بأل التّعريف، يعني: سوء الحال والمرض. والضُّرُّ: أشد من الأذى، ويكون في النفس وغيرها، وهناك فرق بين الضُّر بضم الضاد، والضَّر بفتح الضاد الذي ضد النفع.

﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: لجنبه؛ أيْ: مضطجعاً على جنبه؛ أيْ: دعانا وهو مضطجع، وهو ملازم لجنبه، أو نائماً على جنبه. دعانا لجنبه: اللام: لام

الاختصاص (لجنبه الدّالة على حالة ضره)، وقدَّم الجنب؛ لأنّ الإنسان في حالة المرض أكثر ما يلازم جنبه (أيْ: حالة الاضطجاع).

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: ثمّ قاعداً (أو قاعداً)؛ أيْ: جالساً، ثمّ القيام، والقيام يدلّ على تحسن حاله، ونرى عكس هذه الآية في الترتيب الآية (١٩١٩) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: تشمل جميع أحواله حين المرض، فحين يصاب بالمرض الشديد يلزم جنبه، ثم إذا تحسن حاله يقعد ويصلي وهو قاعد، ثم إذا تحسن يقوم ويصلي.

ولم يذكر حالة المشي؛ لأنّ الماشي عادة ليس به ضر.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾: فلما: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب. لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾: رفعنا، وأزلنا عنه ضُره، وهنا يشبِّه الضّر؛ كأنّه غطاء يغطي الإنسان، والكشف: هو رفع الغطاء، وإزالته، وهذا يشير إلى أنّ الضُّر أصاب الجسم كلّه، وليس عضواً واحداً.

﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾: مر: كلمة تشير إلى أنّه حين لم يجد له معيناً غير الله لهم سبحانه راح يدعو الله سبحانه؛ حتّى يرفع عنه الضّر؛ فلما رفع عنه ضُره لم يعد يتذكر ما أصابه، وما دعا به، وعاد إلى ما كان عليه من عدم الإيمان، والكفر، ولم يتعظ، ولم يداوم على شكر الله، ويرجع عن ضلاله.

الكافر يدعو الله ساعة الضّر فقط، أما المؤمن: فهو يدعو ربَّه دائماً.

وقد وردت آيات الضّر بمعانٍ مختلفة:

في سورة الزّمر، الآية (٨): ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾.

في سورة النّحل، الآية (٥٣، ٥٤): ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

فالضّر قد يمس الإنسان لوحده من دون الآخرين.

أو الضّر يمس الكلّ من دون استثناء.

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أيْ: هذه صفة وعادة المسرفين سابقاً ولاحقاً؛ إذا أصابهم الضّر دعوا ربهم منيبين إليه، ثمّ إذا كشف عنهم الضّر؛ عادوا إلىٰ فعل المعاصي، والكفر، والشّرك؛ أيْ: مروا كأن لم يدعوا إلىٰ ضر مسهم، وزيِّن: هنا مبني للمجهول، وهو الشّيطان: بالوسوسة، والضّلال، والعودة إلىٰ الكفر، ما كانوا يعملون العمل يشمل الفعل، والقول؛ أيْ: ما كانوا يقولون ويفعلون، والمسرف تعم الكافر، والمشرك وغيره، وسمِّي الكافر مسرفاً؛ لأنّه أسرف في حق نفسه؛ فجعلها عبداً للأوثان، والأصنام، أو أسرف في كفره، واستمر علىٰ ذلك، أو استمر علىٰ فعل المعاصي، والكبائر.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: ولقد: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾: جمع قرن، والقرن (أهل كلّ زمان)، والقرن من الزّمان هو (١٠٠ سنة)، ولقد أهلكنا القرون من قبلكم، وأبوا أن يؤمنوا، ويقولوا: لا إله إلا الله، وأشركوا بالله سبحانه، أو كذبوا بآياته، ورسله، أو ظلموا أنفسهم باتباع الشّهوات، وخروجهم عن منهج الله تعالىٰ، أو ظلموا غيرهم بالصّد عن

سبيل الله، أو الشـــرك. ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد في معنىٰ: الظّلم.

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: لما: ظرف زماني.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجـــزات الدّالة علىٰ صـــدق نبوتهم، والدّالة علـــىٰ وحدانية الله، وعلىٰ وجـــوب الإيمان، والبينات تشـــمل كذلك الحجج، والأدلة، والبراهين.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: ما: للنفي.

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: اللام: لام التّأكيد؛ تأكيـــداً للنفي (نفي الإيمان)، وأصروا علىٰ الكفر، والشّرك، والمعاصي.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: كذلـــك؛ أيْ: بمثل هـــذا الهلاك؛ نجزي كلّ مجرم يكذب بما جاء به الرّســـل، والمجرم: هو الكافر، والمشرك، والظالم، والمنكر للبعث، والحســـاب، والمســـتهزئ بآيات الله، وبرسله، وإذا قيل لهم: لا إله إلا الله يســـتكبرون. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين.

انتبه وردت كلمة المجرمين خمس مرات في هذه السّورة:

الآية (١٣): ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

الآية (١٧): ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الآية (٥٠): ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الآية (٧٥): ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

الآية (٨٢): ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[١٤] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للترتيب، والتّراخي في الزّمن.

﴿جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: خلائف: جمع خليفة، والخطاب في هذه الآية موجَّه إلىٰ أمة محمد ﷺ.

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾: من بعد الّذين أهلكناهم؛ أي: كفار مكة القوم المجرمين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١٦٥)؛ للبيان المفصل في خلائق الأرض، خلائق في الأرض، خلفاء في الأرض.

﴿لِنَنظُرَ﴾: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾: كيف: استفهامية وللتحذير، تعملون: تشمل الأقوال والأفعال، هل تعملون بعمل المجرمين الّذين أهلكناهم، أم تخالفونهم، وتكونوا أفضل منهم.

❖❖❖

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

سورة يونس [الآيات ١٥ - ٢٠]

[١٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية؛ إذا: ظرفية زمانية تتضمن معنى الشّرط، وإذا تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: التّلاوة؛ تعني: القراءة؛ أيْ: آيات القرآن الحكيم. ارجع إلى الآية (٧١) من نفس السورة.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: تتلى: فعل مضارع؛ يدل على التّجدد، والتّكرار، بينما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: تليت: فعل ماض؛ أيْ: قرئت عليهم آياتنا؛ تدل على الحدوث في الماضي مرة، أو مرتين وانتهى الأمر؛ بينما تتلى: تدل على التّجدد، والتّكرار.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: الآيات الواضحات الدّالات على وحدانية الله تعالى، وعلى الإيمان، وترك الشّرك، ومحاربة الكفر، والأصنام.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: ارجع إلى الآية (٧)؛ لمعرفة معنى الّذين لا يرجون لقاءنا.

وقيل: كانوا خمسة نفر؛ أمثال: عبد الله بن أمية، والوليد بن المغيرة، ومُكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس، والعاص بن عامر. هذا ما قاله مقاتل (انظر في أسباب النزول للواحدي).

وقيل: نزلت في المستهزئين بالقرآن؛ كما قال ابن عباس ﷺ.

﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾: هم يطلبون طلبين:

١ - الأوّل أن يأتي لهم رسول الله ﷺ بقرآن غير هذا؛ أيْ: يطلبون قرآناً جديداً كاملاً.

٢ - والثّاني: إذا لم تأتِ بقرآن جديد إذن بدل بعضه (أيْ: بعض آياته، أو كلماته)؛ بحيث لا تسيء إليهم، أو إلىٰ آلهتهم؛ أيْ: هم يطلبون قرآناً لا يذم شركهم، وظلمهم، ولا يَعيبُ علىٰ آلهتهم، قرآناً خالياً من الإنذار، والوعيد، والبعث، والنّشور؛ فقد كانت صدورهم تضيق لسماعه، وفي الحقيقة هم لا يريدون سماع أيِّ شيء قليلاً كان أو كثيراً يقلق مضاجعهم.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: ما: النّافية؛ لا يحق لي أو يحل لي: أن: مصدرية؛ تفيد التّوكيد. أبدِّله: انتبه جاء الرّد بالرّفض علىٰ التّبديل، ولم يرد علىٰ طلبهم بالتّغيير: ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾؛ لأنّ هذا السّؤال الأوّل سخيف؛ أي: الإيتاء بغير هذا القرآن، وأما التبديل فنفىٰ ذلك أيضاً؛ أيْ: نفىٰ الأسهل؛ ليدل علىٰ نفي الأصعب، هو التغيُّر وهو أمر مستحيل.

وقوله: ﴿قُلْ مَا﴾: تنفي الحال، والمستقبل، وتحمل معنىٰ التّوكيد.

﴿مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾: أيْ: لا يمكن أن أبدِّله من قبل نفسي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: إنْ: حرف نفي. إلا: أداة حصر. ما يُوحىٰ إلي؛ أيْ: ما ينزل به الرّوح الأمين فقط. ما يوحي إليَّ ربي من الآيات، والأحكام، ولمعرفة (ما يوحىٰ إليَّ): ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إنّ: للتوكيد؛ أخاف إن:

شـــرطية، وجملة إني أخاف إن عصيت ربي: جملـــة تعليلية؛ لكوني أتبع فقط ما يوحىٰ إليَّ.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أيْ: يوم القيامة.

[١٦] ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿قُل لَّوْ﴾: شرطية.

﴿شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: مـــا تلوته: ما: نافية. تلوتـــه؛ أي: القرآن قرأته عليكم.

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أبلَغَكُم اللـــه إيـــاه؛ أيْ: ما تلوتـــه عليكم، ولا أطلعكم الله عليه، أو نزَّله إليكم، وقرأته عليكم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتأكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد أيضاً.

﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: أيْ: أقمـــت بينكم (٤٠ ســـنة) من قبل نـــزول القرآن لا أحدثكم، أو أبلغكم شـــيئاً من القرآن، وإنـــي أُمي لا أكتب، ولا أستطيع قراءة الكتب الأخرىٰ، ولم يُعلِّمني بشر.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي الإنكاري؛ أيْ: للحثِّ، والتحريض، والتّنبيه.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: أنّ هـــذا القـــرآن ليس من عندي، ولا أســـتطيع أن أغيره، ولا أبدله؛ أيْ: لو اســـتعملتم عقولكم، وفكرتم لوصلتـــم إلىٰ الحقيقة: أنكم لا تحتاجون إلىٰ قرآن غيره، وتعقلون: من عقل الشّيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، وتوصل إلىٰ الحقيقة: أنّه من عند الله وحده.

[١٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾: الفاء: استئنافية. من: اسم استفهام إنكاري معناه: النّفي؛ أيْ: لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً: نكرة تشمل كل أنواع الكذب، ولو قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [الصف:٧]؛ الكذب في هذه الآية معرفة؛ أي: محدد بنوع واحد من الكذب. ارجع إلىٰ سورة الصف لمزيد من البيان. أو كذّب بآياته؛ أيْ: هو أظلم من أيِّ ظالم آخر (لا أظلم منه).

ففي هذه الآية: يبيِّن لهم رسول الله ﷺ: لو بدل كلمة، أو آية من تلقاء نفسه، ومن دون وحي؛ لكان من هؤلاء الّذين افتروا علىٰ الله كذباً، (وجاءت نكرة)؛ لتدل علىٰ أيِّ نوع مهما كان صغيراً، أو كبيراً. والافتراء: هو الكذب المتعمَّد المختلق؛ مثال: نسبة الشّريك، أو الولد، أو البنت إلىٰ الله سبحانه.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾: بآياته القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات؛ أيْ: جحد بها، وأنكرها.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: لا: النّافية. يفلح المجرمون؛ أيْ: لن ينجوا، ولن يفوزوا بالآخرة.

﴿ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: المشركون، والكافرون كفار مكة، أو كفار قريش، وهم لم يحرفوا القرآن كما فعل أهل الكتاب حرفوا التوراة والإنجيل، وإنما مجرمون بسبب إشراكهم وتكذيبهم القرآن، ورسول الله ﷺ، والمفترون علىٰ الله كذباً، أو المكذبون بآياته. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (١١٦)، والجاثية، آية (٣١)؛ لمعنىٰ: المجرمين.

[١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ

شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تشير إلىٰ المشركين، وتدل علىٰ التّجدد، والتّكرار. من دون الله: من غير الله.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾: ما: اسم موصول؛ تدل علىٰ ذوات ما لا يعقل؛ كالأصنام، والأوثان، والنّجوم، والكواكب، وتدل علىٰ صفات العقلاء: الأولياء عيسىٰ، وعزير، والملائكة؛ أيْ: لا يضرهم إن لم يعبدوهم.

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾: أيْ: لا (النّافية): ينفعهم إن عبدوهم، وتكرار لا: يفيد التّوكيد، ولفصل الضّر عن النّفع، أو كلاهما معاً.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ الآلهة، والأولياء.

﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾: جمع شفيع، وشفيع: صيغة مبالغة من شافع، والشّافع: هو الّذي يطلب العفو لشخص آخر، ولكي يشفع لا بُدَّ له من إذن من الله سبحانه أوّلاً، ورضا من الله، وأن يكون أهلاً للشفاعة، وبعض المفسرين قالوا: لا تكون الشّفاعة في حد من حدود الله؛ فهم يبررون عبادتهم للأصنام وغيرها بكونها تشفع لهم عند الله، أو تقربهم إلىٰ الله زلفىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٣) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: أتنبئون الله بما لا يعلم في السّموات ولا في الأرض: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ﴾: من النّبأ: وهو الخبر العظيم؛ أتخبرون الله سبحانه بأنّ له شركاء، أو شفعاء في السّموات، أو في الأرض؛ وهو لا يعلم ذلك، أو علىٰ غير

علم بذلك، وهذا يدل على جهلكم؛ سبحانه وتعالى أن يكون له شريك، أو ولي؛ فهو منزَّه تنزيهاً كاملاً من كلّ هذه الافتراءات، والأكاذيب.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: وما: الواو: عاطفة، أو استئنافية؛ ما: نافية للتوكيد؛ إلا: أداة حصر، وما كان النّاس إلا أمة واحدة.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أيْ: على دين واحد: وهو دين الإسلام، على فطرة التّوحيد من لدن آدم إلى نوح، كما قال ابن عبّاس ﷺ عشرة قرون.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: الفاء: للتأكيد؛ اختلفوا: فمنهم بقي على إيمانه، وتوحيده، ومنهم من كفر، وأشرك بالله؛ فحين اختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾:

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام: لام التَّعليل. قضي بينهم؛ أيْ: بين النّاس عاجلاً في الحياة الدّنيا، ومن دون انتظار؛ إما بإقامة السّاعة، أو بإنزال العذاب على المكذبين، والمشركين.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ولم يقل: فيما كانوا فيه يختلفون؛ فيما فيه يختلفون؛ تعني: لقضي بينهم حالاً في الدّنيا من دون التّأخير، والانتظار ليوم القيامة، ولو قال: فيما كانوا فيه يختلفون؛ تعني: يوم القيامة؛ أيْ: يؤخر القضاء لهم حتّى يوم القيامة، وعندها يقضي بينهم فيما كانوا يختلفون فيه في الدّنيا؛ فالله سبحانه قادر على أن يفعل القضاء الآن حالاً، أو يؤخِّره حتّى يوم القيامة.

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾:

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: ويقولون؛ أيْ: كفار مكة، أو المشركون.

﴿لَوْلَآ﴾: أداة حضٍّ، وطلب.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: الآية هنا؛ تعني: المعجزة؛ مثل: العصا، واليد، وآيات أخرىٰ؛ مثل: النّاقة، وتجاهلوا أنّ القرآن الكريم: هو الآية الكبرىٰ والمعجزة الخالدة علىٰ مرِّ الأيام، والدّهور، ومع ذلك: فهو لا يكفيهم، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، وغيرها من الآيات الكثيرة الّتي رآها الصّحابة.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: فقل: الفاء: للتوكيد.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ للتوكيد، والحصر. قل: إنزال الآية، أو عدم إنزالها هذا في علم الغيب أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه، أو لِمَ لم تنزل الآية، أو متىٰ ستنزل؟ غيب لا يعلمه إلا الله؛ يخص الله سبحانه إن شاء أنزل، أو إن شاء لم ينزل.

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: فانتظروا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ فما عليكم إلا الانتظار، وأنا معكم من المنتظرين؛ فانتظروا قضاء الله في الإنزال، أو عدمه، وإظهار من هو علىٰ حق، ومن هو علىٰ باطل، ويؤكِّد رسول الله ﷺ انتظاره باستعمال: وإني بدلاً: وأنا معكم من المنتظرين.

❖ ❖ ❖

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ
ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

سورة يونس [الآيات ٢١ - ٢٥]

[٢١] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَآ﴾: ظرف زماني؛ تستعمل في الأمور الحتمية الحدوث، أو الكثيرة الحدوث.

﴿أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: الرّحمة: هي جلب ما يسر، ودفع ما يضر؛ مثل: المطر، والخصب، وسعة العيش، والرّزق، والصّحة... وغيرها.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾: الضّراء: مثل: الفقر، والبلاء، والجدب، والمرض، وانقطاع المطر؛ أيْ: إذا أنزلنا على النّاس المطر بعد القحط، والسّعة، والغنى بعد الفقر، والرّخاء بعد الشّدة تراهم ينكرون نعمة الله، وينسبوها إلى غيره، أو يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، أو يكذبون بآيات ربهم، أو يستهزئون بها، وسمّي ذلك مكراً في آياتنا. ارجع إلى سورة هود، آية (٩-١٠)؛ لمزيد من البيان في: أذقنا الإنسان رحمة، أو نعماء.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: حاشا لله أن يكون ماكراً، وهو سبحانه ليس بحاجة أن يمكر، وإنما قال الله: أسرع مكراً؛ فقط للمشاكلة في اللفظ في المصطلح البلاغي، والله أسرع مكراً؛ أيْ: أسرع جزاء على المكر؛ قادر على أن يجازيهم على مكرهم قبل أن يقوموا به، ويبطله، ويدحضه؛ لأنّه سبحانه يعلم بمكرهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، والمكر: هو التّدبير الخفي. ارجع إلى سورة الرعد، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: رسلنا؛ أي: الملائكة الحفظة الموكلون بالعبد.

انتبه، لم يقل: ما يمكـــرون، وإنما قال: ما تمكرون؛ الانتقال من الغيبة إلى الخطاب؛ للتنبيه، وإيقاظ السّامع، والتحذير القوي.

﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: يحفظون ذلك، ويكتبونه؛ لمجازاتكم عليه.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

المناســبة: هو الّذي يكشف الضرَّ، والســوء، والقادر على أن يبتليكم مرة ثانية.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: هو الّذي: هو وحده سبحانه.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم إشارة؛ يفيد التّعظيم.

﴿يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ﴾: أي: الله سبحانه هو المسير الحقيقي، وإن كانت وسائل النّقل هي المستخدمة؛ مثل: السّيارات، أو الدّواب... وغيرها في البر.

﴿وَالْبَحْرِ﴾: أيْ: بالسّفن (الفلك).

﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾: حرف غاية يشير إلى منتهى الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وتدل على حتمية الحدوث؛ إذا: ظرف زماني.

﴿كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: الفلــك: تطلق علــى المفرد، والجمع؛ أي: الســفن، والفلك: قد تعني الفلك الفضائية أيضاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ولم يقــلْ: وجرين بكم؛ فالانتقال من الخطاب

إلىٰ الغيبة سببه أنّهم عندما ركبوا في الفلك، وجرين بهم أصبحوا غائبين لا مخاطبين، فالكلام يوافقه الحال الّذي هم عليه، وقد يكون سببه عدم شكرهم المنعم، والمسير الحقيقي، وهو الله سبحانه؛ فهم لا يستحقون المخاطبة؛ فاستعمل صيغة الغيبة.

وصف الرّيح في هذه الآية: بأنّها طيبة لينة، والقرآن عادة يأتي بكلمة ريح في سياق الدّمار، والشّر، وكلمة رياح في سياق الرّحمة، والخير، فكيف نفسر ذلك؟

الجواب: هو أن ننظر إلىٰ ساعة إبحار الفلك، هل كانت الرّيح فعلاً عاصفة، أو هادئة طيبة؟ فلو كانت عاصفة لما أبحروا، وتركوا الشّاطئ؛ أي: فرحوا بالرّيح الطّيبة اللينة عند بدء رحلتهم في البحر؛ ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان نوع الفرح. ولما ابتعدوا عن السّاحل سرعان ما تحولت الرّيح الطّيبة اللينة إلىٰ ريح عاصف؛ سريعة الهبوب، والجريان.

﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: جاءتها؛ أي: الفلك؛ ريح عاصف: لا تحمل في طياتها إلا الدّمار، والهلاك، والغرق، واستعمل كلمة جاءتها بدلاً من أتاها؛ لأنّ المجيء هذا فيه صعوبة، ومشقة، ودمار؛ فالريح الطيبة لم تدم طويلاً.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: والموج يبدأ من الأسفل، وهنا جاءهم من الأسفل، ومن كلّ جانب: الأمام، والخلف، واليمين، والشّمال.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: وظنوا؛ أيْ: أيقنوا، والظّن هنا وصل إلىٰ درجة اليقين، وأدركوا أنّهم أحيط بهم؛ وأحيط به تحمل معنيين:

ـ أحيط بهم مشتقة من إحاطة العدو بالبلد المُهاجم، وحين يحدث ذلك يعني: الهلاك، والدّمار للبلدة.

ـ وأحيط بهم: مشتقة من الإحاطة، وهي عدم وجود منفذ، أو ملجأ، أو منقذ، أو مخرج للنجاة، وهم في وسط البحر الهائج.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: لم يجدوا أحداً يدعونه؛ لينقذهم إلا إياه سبحانه، وعندها دعوا الله مخلصين له الدِّين: أقروا بوحدانية الله، وربوبيته، وأخلصوا بدعائهم، وتضرعهم، وتوسلهم.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿أَنجَيْتَنَا﴾: من هذه الريح، والغرق، والهلاك، وقالوا: أنجيتنا، ولم يقولوا لئن نجانا؛ أنجيتنا: تدل على السرعة؛ فهم يريدون النجاة بسرعة، وبقوة، ونجانا: تدل على البطء في النجاة، وأقل شدة.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: لام التّوكيد، والنون: نون النّسوة؛ لزيادة التّوكيد.

﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ على نعمك، أو الموحِّدين الشاكرين على إنقاذنا من الموت، والغرق.

[٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿أَنجَىٰهُمْ﴾: من الغرق، والرّيح العاصفة بسرعة، وبقوة.

﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا: الفجائية. هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: يبغون من البغي: وهو الظّلم، والفساد، والشّرك، وفعل المعاصي؛ أيْ: سارعوا إلى ما كانوا عليه من قبل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء بياء النّداء؛ الّتي تدل على البعد، والهاء: للتّنبيه.

﴿ٱلنَّاسُ﴾: من الإنس، والجن، والنّاس: مشتقة من النّوس؛ كثرة الحركة. ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: سوء العاقبة، أو وبال ظلمكم للناس، وشرككم، وفسادكم مردُّه على أنفسكم يوم القيامة، وفي الدّنيا.

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: التّمتع بهذا الظّلم، والشّرك، والفساد، والمعاصي زائل، أو مقتصر على هذه الحياة الدّنيا؛ فلن يدوم طويلاً.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾: ثمّ: تفيد التّرتيب، والتّراخي في الزّمن بعد البعث، والبرزخ.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أيْ: إلينا وحدنا عودتكم حتماً.

﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة بعد البعث مباشرة؛ فننبئكم، ونخبركم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل؛ ما: بمعنى الّذي، أو مصدرية.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الدّنيا تعملون تشمل الأقوال، والأفعال من الشّرك، والبغي، والظلم، والفساد.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالى في الآية السّابقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أيْ: لما كان سبب البغي على النّاس هو حرصكم على التمتع بنعيم الدّنيا الزائل، والفاني، وأكل أموال النّاس، والفساد في الأرض.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أيْ: حال هذه الحياة الدّنيا،

ونعيمها؛ كماء: الكاف: للتشبيه، يشبه الماء، كماء أنزلناه من السّماء يشبه المطر النّازل من السّماء (أيْ: من السّحاب).

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: (أيْ: بماء المطر): نبات الأرض، والباء: للإلصاق، والاختلاط: هو تداخل الشّيء في الشّيء، مع عدم إمكانية فصلهما بعد الخلط، وبعد اختلاط الماء بالنّبات؛ تصبح الأرض مخضرة، والزّرع يغطي سطح الأرض.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾: مما: من + ما؛ من: البعضية؛ ما: اسم موصول؛ يعني: الّذي يأكل النّاس من الحبوب، والقمح، والبقول، والثّمار... وغيرها، والأنعام من الكلأ، والحشيش.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: حتّىٰ: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿إِذَآ﴾: ظرف زماني للمستقبل، ويدل على حتمية الوقوع.

﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: بالورود، والأزهار، والنّباتات المختلفة، وزينت بالألوان المختلفة من ألوان الزّهور، والثّمار، والفواكه، والنّخيل. والزّخرف: هو الشّيء الجميل المنظر تُسر به النفس، وأصل الزّخرف: الذّهب، والفضة.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: أيقن، وشعر أهلها أنهم قادرون عليها؛ أيْ: متمكّنون من قطف ثمارها، ومحاصيلها الزّراعية من القمح، والحب.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: أتاها قضاؤنا، وحكمنا بالهلاك، والتدّمير؛ أيْ: عذابنا.

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: أيْ: حين ينزل عذابنا على الكرة الأرضية قسم منها يكون في ليل ظلام، وقسم منها يكون في نهار؛ أي: حين يحل العذاب بأهل الأرض أو يأتيهم يأتي في وقت قسم من أهل الأرض نائم، وقسم غير نائم في حالة يقظة، وهذا يثبت كروية الأرض.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾: فجعلناها: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. حصيداً: كالزّرع المحصود المقتلع، أو المستأصل.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: أيْ: كأن لم تنعم بالأمس، أو تكون عامرة بالخيرات والحرث وبالمنازل وأهلها.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: كذلك؛ أيْ: كهذا المثل الّذي يوضح حال الدّنيا، وغرورها، وسرعة زوالها، وتغيرها من الاخضرار إلىٰ الاصفرار، ثمّ الحطام.

﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص. يتفكرون: ينظرون في الآيات، أو المعطيات؛ لكي يصلوا إلىٰ الغاية، وهي التقوىٰ، والنجاة من النّار.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

بعد أن ذكر أنّ الدّنيا متاع زائل وفانية، ها هو سبحانه يدعونا إلىٰ ما هو أفضل من ذلك:

﴿دَارِ السَّلَامِ﴾: وهي الجنة ذات النّعيم الدّائم، ويرشدنا إلىٰ كيفية الوصول إليها: بالإيمان الخالص، والعمل الصّالح.

وسمَّاها دار السّلام، والسّلام: هو اسم من أسماء الله الحسنىٰ. ارجع إلىٰ سورة الحشر، آية (٢٣)؛ للبيان.

وهي دار السّلامة من كلّ سوء، ودار الأمان، والاطمئنان.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فالله سبحانه يهدي الهداية الخاصَّة لهؤلاء الّذين استجابوا لربهم.

وأرادوا لأنفسهم الهداية؛ فهداهم الله إلىٰ الجنة، وإلىٰ الصّراط المستقيم: دين الإسلام؛ صراط الّذين أنعمت عليهم من الأنبياء، والصالحين.

❖ ❖ ❖

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

سورة يونس [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد. الّذين أحسنوا: إيمانهم: إحسان الكم، وإحسان الكيف؛ إحسان الكم: الزيادة في العدد؛ إحسان الكيف: يعبدوا الله سبحانه كأنهم يرونه، وإن لم يكن يرونه؛ فهو يراهم. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

ولهم ميزات تتجلّىٰ بقيام الليل، والعفو، والصّبر، والصّدق، والإنابة، والخوف، والخشية. والإحسان يشمل: العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والإخبات، والإخلاص، والتّوكل، والرّضا، والحياء، والتّواضع.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: علىٰ وزن فُعلَىٰ، ومثلها: أفضل فُضلىٰ، وأكبر: كبرىٰ، ويسمّىٰ أفعل التفضيل، ويدل غالباً علىٰ شيئين اشتركا في المعنىٰ، وزاد أحدهما علىٰ الآخر. والحسنىٰ: قيل: هي الجنة، أو الجزاء في الآخرة، وقيل: هي الحسنة بعشر أمثالها.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: قيل: الزّيادة هي المغفرة والرّضوان، ورضوان من الله أكبر.

وقيل: الزّيادة لذة النّظر إلى وجه الله الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾: لا: النّافية، وجاءت لتأكيد النّفي؛ لأنّ لهم الحسنى؛ فكيف يرهق وجوههم قتر، ولا ذلة؟ جاءت للتأكيد؛ تأكيد ابتعادهم، ونجاتهم من النّار، وتذكير لهم بتلك الحسنى.

﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: لا يغشي، ولا يغطي وجوهَهم قتر ولا ذلة. القتر: أصله من الدّخان الأسود الخارج من الشّواء، أو الفحم، والحطب... ونحوهما، وهو كذلك الهواء الّذي يمتلئ بدخان الدّهن المحترق من اللحم يصيب الوجه، فيؤدّي إلى طبقة سوداء تسمّى قترة، أو غبرة، وكلمة يرهق من رهقه يَرْهَقه؛ إذا غشيه بقهر؛ أيْ: لا خيار لهم بتجنُّب ذلك.

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: وتكرار لا: لتأكيد النفي، وفصل كلّاً من القتر عن الذّلة؛ أيْ: لا هذه، ولا تلك، ولا كلاهما، والذّلة: المذلة، والهوان، والصّغار؛ الّتي تبدو على وجوههم بمظهر الكآبة واليأس.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ ليدل على بعد منزلتهم العظيمة.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: أي: الملازمون للجنة؛ المقيمون فيها ملازمة الصّاحب لصاحبه، أو الإنسان لمنزله، والمالكون لجناتهم؛ فلا أحد يخرجهم منها.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء، وعدم الفناء، والزّوال، ويبدأ من وقت دخولهم الجنة.

[٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

للذين أحسنوا الحسنى، وماذا للذين كسبوا السّيئات، أو مقابل الّذين أحسنوا هناك الّذين كسبوا السّيئات؛ ماذا عن حالهم؟

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة؛ الّذين: اسم موصول.

﴿كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: ولم يقل: اكتسبوا السّيئات: الكسب تستعمل في الحلال، واكتسب على وزن افتعل؛ تستعمل في الحرام.

استعمل كسبوا بدلاً من اكتسبوا؛ لأنّهم استمروا، وألِفوا القيام بالسّيئات، واعتادوا عليها؛ فأصبح ارتكابها سهل، وأمر هيِّن عندهم، كما هو الحال في كسب الحلال عند غيرهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لمزيد من البيان.

والسّيئات: جمع سيئة، وهنا تعني: الكفر، والشّرك، والظّلم، وقد تعني: الصّغائر.

﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾: أيْ: من يكسب سيئة تكتب له سيئة واحدة، ويعاقب عليها بمثلها، ولا تضاعف له، الباء: للإلصاق.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: ما: النّافية؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ من الله: من: ابتدائية استغراقية.

﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: من: للتوكيد؛ عاصم: مانع، أو مُجير، أو منقذ من العذاب، أو سخط الله.

﴿كَأَنَّمَآ﴾: الكاف: للتشبيه؛ أنما: تفيد التّوكيد.

﴿أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: أغشيت: غُطيت، وألبست؛ قِطْعاً: بكسر القاف، وتسكين الطّاء: هو اسم ما قُطع، أو قِطَعاً: بكسر القاف، وفتح الطّاء؛ وتعني: جمع قطعة، قِطعاً: نكرة تدل على التّهويل، والتّعظيم، من الليل مظلماً: قِطعاً من الليل الحالك السّواد، ولم يقل مظلمة؛ لأنّ في لفظ الذّكورة الشّدة، والقوة في السّواد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[٢٨] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: الحشر: هو السّوق إلى أرض المحشر للحساب، والجزاء، والجمع (جمع الخلائق في أرض المحشر)، ويتم بعد النّشر: وهو إحياء الموتى، ثمّ البعث من القبور: الإيقاظ، والتّهيج، والتّحريض على الخروج من الأجداث، إذن يحدث النّشر، ثمّ البعث، ثمّ الحشر.

﴿جَمِيعًا﴾: جمع الخلائق: العابد، والمعبود؛ الّذين أشركوا ورؤساؤهم وسادتهم، والذّين اتَّبعوا، والّذين اتُّبِعوا، وأولاهم، وأخراهم، وجميعاً: تفيد التّوكيد؛ توكيد الحشر جميعاً، فكلّ معبود سيواجه، أو يحشر مع الّذي عبده؛ فالأصنام مثل: اللات، والعزىٰ، ومناة الثّالثة: تحشر مع عبدتها المشركين، والملائكة مع الّذين عبدوهم (عبدة الملائكة)، الكواكب (الشّمس والقمر) مع الّذين عبدوها مثل الصابئة؛ عيسىٰ ﷺ مع الّذين عبدوه، أو أشركوه كإله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، والأولياء، والزّعماء، والرّؤساء مع الّذين اتَّبعهم من الضعفاء.

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد، والتّرتيب الذّكري، أو ترتيب الحوادث.

﴿نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾: أي: الزموا مكانكم، ولا تتحركوا منه أنتم وشركاؤكم الّذين اتخذتموهم آلهة مع الله.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: الفاء: تدل علىٰ التّعقيب، والمباشرة. زيلنا بينهم: فرقنا بينهم بين التّابعين، والمتبوعين، وبين العابدين، والمعبودين، وبذلك نقطع الصّلات بينهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: شركاؤهم: جمع شريك، والشّركاء: هم من الملائكة، وعيسىٰ، وعزير الأنبياء؛ فكلّ هؤلاء يتبرَّؤون ممن عبدوهم؛ لأنّهم لم يأمروهم، ولا علم لهم بهذا الشّرك، ولم يدعوهم إليه.

فالأصنام، والكواكب أصلاً لا تتكلم، ولا تأمر، ولا تنهىٰ، والّذي وسوس وزين لعبادتها هم الشّياطين، وتقول الملائكة، وعيسىٰ، وعزير: ما كنتم تعبدوننا بعلمنا، فالملائكة، والأنبياء، والكواكب، والأوثان، والأصنام الّتي عُبدت من

دون الله تعالىٰ تعلن رفضها لمسألة عبادتها، ويبقىٰ إبليس وذريته شياطين الجن وأولياؤهم من الإنس والسّادة والكبراء، والضّعفاء؛ فهؤلاء سنرىٰ كيف يتحاجُّون في النّار في آيات أخرىٰ.

[٢٩] ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾:

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾: الفاء: للتوكيد، كفىٰ بالله: الباء: للتوكيد أيضاً. شهيداً: وحكماً بيننا وبينكم؛ أيْ: إنّا لم نأمركم بعبادتنا، هذا هو قول الشركاء، أو ندعوكم إلىٰ ذلك، والشّهيد: صيغة مبالغة من شاهد. ارجع إلىٰ الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ الشّهيد. وتقديم شهيداً علىٰ بيننا وبينكم جاء علىٰ الأصل، ولكن أحياناً قد يؤخر شهيداً علىٰ بيني وبينكم كما جاء في سورة العنكبوت آية (٥٢) ارجع إلىٰ سورة العنكبوت للبيان.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾: إن: تفيد التّوكيد؛ عن عبادتكم لغافلين؛ أيْ: ما كنّا نعلم بعبادتكم لنا، واللام في لغافلين: لام الاختصاص؛ للتوكيد. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمعرفة معنىٰ: غافلين.

[٣٠] ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾:

﴿هُنَالِكَ ﴾: ظرف زمان، أو ظرف مكان، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، في ذلك الوقت، أو ذلك المكان؛ موقف الحشر، أو زمن الحشر.

﴿تَبْلُوا۟ ﴾: تُخبر، أو تُعْلَمُ كلُّ نفس، أو ترىٰ كلُّ نفس جزاء أعمالها.

﴿مَّآ أَسۡلَفَتۡ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي. أسلفت: ما قدَّمت من عمل صالح، أو سيِّئ، أو عمل قبيح، أو حسن مقبول، أو مردود.

والبَلْو: هو الاختبار؛ بَلْوته؛ أي: اختبرته، وأصله من بَلِيَ الثّوب بلاءً؛ إذا خَلَق من كثرة اختباره؛ أيْ: لبسه وغسله، وهناك قراءة أخرىٰ تستبدل الباء بالتاء؛ فبدلاً من قراءة تبلوا تقرأ تتلوا؛ فيكون المعنىٰ: هنالك تتلوا كلُّ نفس ما أسلفت؛ أيْ: تقرأ كلُّ نفس كتاب أعمالها.

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾: الرّد: العودة إلىٰ مكان، وأنت مجبر علىٰ ذلك، وذلك في الآخرة؛ أي: أُرجعوا إلىٰ الله مولاهم الحقّ من دون خيار للحكم، والقصاص.

﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾: المولىٰ ربهم المتولي أمورهم حقاً، والحق الثّابت الدّائم الّذي لا يتغيَّر.

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾: وهذا يعني: أنّه كان لهم مولىٰ في الدّنيا (غير الحقّ)؛ مولىٰ باطل.

المولىٰ الباطل، أو غيرّ الحقّ في الدّنيا: هم الشّركاء الّذين اتخذوهم أولياء، وعبدوهم، واتخذوهم آلهة، وهذا يؤيِّده قوله: وأنّ الكافرين لا مولىٰ لهم؛ (في الدّنيا)، ولا مولىٰ لهم (لا معين ولا نصير في الآخرة)، ويوم القيامة يردُّون إلىٰ المولىٰ الحقّ.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: ضل: تاه وغاب، ولم يعودوا يجدون هؤلاء الشّركاء، والشّفعاء، والأولياء الّذين سيقرِّبوهم إلىٰ الله زلفىٰ، أو يشفعوا لهم.

﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنىٰ الّذي.

﴿كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق من شفاعة هذه الآلهة لهم، أو يمنعوهم من العذاب، أو يقربوهم من الله زلفىٰ؛ فكلّ ذلك كان كذباً مفترىٰ.

[٣١] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الشّركاء والرّد إلىٰ مولاهم الحقّ في الآخرة؛ يأتي بعدد كبير من الأدلة، والبراهين؛ الدالة علىٰ أن الله هو الإله الحقّ، واجب الوجود؛ الّذي يستحق أن يُعبد، وأنه لا شريك له.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ، أو اسألهم: من يرزقكم من السّماء والأرض؟

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: تضم السّموات، وكلّ ما علاك، والرزق من السّماء؛ يعني: الغيث، أو الماء الّذي ينبت به الزّرع، والزّيتون، والنّخيل، والأعناب، ومن كلّ الثمرات، ومنه الشّراب، ومنه الشّجر، والرزق من السماء؛ يعني: الحديد... وغيرها من المعادن الّتي تنزل علىٰ الأرض من تفجر النيازك، والأجرام.

ومن الأرض: من حبوب، وثمار، وفاكهة، وخضروات، ومعادن، وبترول، وذهب، وفضة... وغيرها.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: أم + من. أم: للإضراب الانتقالي، والاستفهام. من: اسم موصول.

﴿يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: أيْ: يملكها حقاً؛ لأنّه قادر على تعطيلها بمرض، أو غير مرض بحيث لا تعد تسمع، ولا تبصر؛ كالعمى، والصّمم، وهو قادر على تشغيلها، وهدايتها، والقيام بما سخِّرت له؛ فالسّمع، والبصر... وغيرها هي كلّها ودائع عند الإنسان؛ حتّى يموت، ويبعث، وهو ليس بمالكها الحقيقي، وإنّما سخِّرت له.

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة آل عمران ، والآية (٩٥) من سورة الأنعام؛ للبيان.

فاللهُ سبحانه قادر على أن يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والحي من الحي؛ لا يعجزه شيء، والحقيقة ليس هناك شيء ميت؛ أيْ: لا حياة فيه؛ لأنّ النّبات، والجماد، وكلّ ما خلق الله له حياة، وإنّما يقصد بالميت الّذي لا يتحرَّك بالعين المجرَّدة، وهذا تقريب لما تعارف عليه النّاس.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: ومن يدبِّر: كلّ شيء، وكلّ أمر بالخلق، والجعل، والملك للتسخير، والعمل، والتّحريك، والتّعطيل، أو التّصريف، والتّحويل... وغيرها.

وقدَّم السّمع على البصر، وأفرد السّمع وجمع البصر (الأبصار): ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧)، وسورة الملك، آية (٢٣)؛ للبيان.

وخصّ هاتين الحاستين بالذِّكر؛ لأنّهما أهم حواس الإدراك، والعلم المؤدِّية إلىٰ الإيمان، أو الكفر، والهداية، أو الضّلال.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: فسيقولون الله: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والتّوكيد؛ سيقولون: السّين: للاستقبال، والتّرتيب؛ أي: الإجابة مباشرة.

﴿فَقُلۡ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: الهمزة استفهامية، ألا: أداة حضٍّ، وتحريض، وتنبيه، أفلا تتقون: تطيعون أوامره، وتتجنَّبوا نواهيه، وتكفوا، وتتجنَّبوا الشّرك بالله، أو أفلا تحذرون عقابه، وتتقون سخطه، وغضبه.

[٣٢] ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾:

﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: الفاء: للتوكيد، ذلكم: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف للخطاب؛ ذلكم: اسم إشارة يشير إلىٰ القائم بالأفعال الكثيرة؛ كالرّزق، وملكية السّمع، والأبصار، والقدرة علىٰ إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وتدبير الأمر هو الله ربكم الحقّ: جمع الألوهية والرّبوبية معاً؛ إشارة إلىٰ أنّ من يفعل كلّ ذلك هو إله واحد، ورب واحد هو الحقّ، وما سواه هو الضّلال، أو الباطل.

﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾: فماذا: الفاء: للتوكيد، ماذا: اسم استفهام فيه معنىٰ النّفي، وأقوىٰ في النّفي من ما، أو ماذا= ما+ ذا. ما: اسم استفهام، وذا اسم موصول.

﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان ومكان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾: أي: الباطل، أو الهلاك.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: فأنىٰ: الفاء: عاطفة؛ أنىٰ: كيف، أو من أين، وفيها معنىٰ التّعجب، والاستفهام.

﴿تُصْرَفُونَ﴾: أيْ: كيف انصرفتم عن الحقّ إلىٰ الضّلال؟ كيف تركتم الحق واتبعتم الباطل، وعن التّوحيد إلىٰ الشّرك؟

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما حقت الألوهية، والرّبوبية لله وحده؛ حقت كلمته (وعده) للذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون، وكما انصرفوا عن الحقّ إلىٰ الضّلال، وعن التّوحيد إلىٰ الشّرك حقت كلمة ربك (أيْ: وجبت وسبقت).

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وعده، وقضائه، وعذابه؛ حق علىٰ الّذين فسقوا؛ خرجوا عن طاعة الله والإيمان.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أنَّ: للتوكيد، هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: يموتون، وهم كافرون، وهذا ما اختاروه لأنفسهم، واستمرُّوا عليه، ولم يتوبوا.

❖ ❖ ❖

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

سورة يونس [الآيات ٣٤ - ٤٢]

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: أي: اسألهم، والخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ يسأل المشركين.

﴿هَلْ﴾: استفهام يحمل معنىٰ التّقرير، والتّوبيخ.

﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾: من: استغراقية تشمل كلَّ الشّركاء: الآلهة، والأصنام، والأوثان، والملائكة، والكواكب أيِّ شريك.

﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: من: ابتدائية.

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: يخلق، والخلق: هو التّقدير، والإيجاد، خلق ابتداء من العدم، أو من شيء. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١)؛ لبيان معنىٰ الخلق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي في الزّمن.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: بالبعث من جديد.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: هذا هو الجواب؛ أيْ: قل لهم يا رسول الله ﷺ: الله الّذي يبدأ الخلق، ثمّ يعيده؛ إذا كانوا لا يعرفون الإجابة علىٰ هذا السّؤال؛ عندها قل لهم: إنّه الله وحده، أمّا إذا عرفوا الإجابة، وهذا هو المفروض، وقالوا لك: الله ،فلماذا إذن لا يؤمنون بالله وحده، وأمّا إذا أرادوا أن يكذبوا علىٰ أنفسهم، ويفتروا علىٰ الله الكذب، ويقولون: غير الله؛ فقل لهم: أنّىٰ تؤفكون.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أنّىٰ: تحمل معنىٰ الاستفهام، وتحمل معنىٰ كيف، ومن أين، وتحمل التّعجب.

﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن الحقّ إلى الباطل، أو الكذب؛ تقلبون الحقيقة باطلاً، أو تكذبون كذباً عمداً، ومختلقاً، أو كيف تصرفون عن التّوحيد إلى الكذب، والباطل (وهو الشّرك)، وفيه معنى التّعجب؛ يقال: أفكه عن الشّيء: صرفه عنه وقلبه.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: اسألهم يا محمّد ﷺ: هل: استفهام إنكاري.

﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾: من هنا: استغراقية؛ تشمل كلّ الشّركاء: الملائكة، والإنس أمثال: عيسى، وعزير، والأصنام، والكواكب.

﴿مِن﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: الحقّ: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر (ضد الباطل)، والحقّ هنا يعني: الصّراط المستقيم، وهو دين الله (الإسلام)، يهدي إلى الحقّ: التّعدِّي هنا بإلى؛ أيْ: من يستطيع أن يهدي إنساناً سائراً في طريق الضّلال، والباطل، يهديه للعودة والسّير على طريق الحقّ، أو هو خارج عن الصّراط المستقيم يستطيع أن يعيده للسير عليه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾: إذا أجابوك، وقالوا: الله؛ فذلك المطلوب، إذا لم يجيبوك على سؤالك عندها قل لهم: الله سبحانه يهدي إلى الحق؛ أيْ: قادر على أن يهدي الضّال الخارج عن الحقّ، وعن الصّراط المستقيم إلى الحقّ، وإلى الصّراط المستقيم، وليس فقط ذلك، بل هو قادر على أن يهدي للحقّ؛ أيْ: يهدي الإنسان، ويوصله إلى غايته، ونهاية الغاية (خاتمة الهداية)، وقيل: هي الجنّة؛ فالهداية إلى الصّراط المستقيم تكون على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الهداية إلى الصّراط المستقيم: اهدنا إلى الصّراط

المستقيم؛ أي: الإنسان خارج عن الحقّ، والصّراط المستقيم، وسائر في طريق الضّلال، والغي، ويدعو الله أن يهديه إلىٰ الصّراط المستقيم.

المرحلة الثّانية: أي: اهدنا الصّراط المستقيم؛ أي: الإنسان سائر علىٰ الصّراط المستقيم الآن، ويطلب من الله أن يثبته علىٰ الصّراط المستقيم حتّىٰ يصل إلىٰ النّهاية والغاية.

المرحلة الثّالثة: الهداية للصّراط المستقيم: اهدنا للصراط المستقيم؛ أيْ: وصلوا إلىٰ النهاية؛ نهاية الصّراط؛ أي: الغاية.

فالله يهدي إلىٰ الحقّ، وكذلك يهدي للحقّ للوصول للغاية القصوىٰ.

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: أفمن: الهمزة: للاستفهام التّقريري، والإلزام، والتّوبيخ.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: سبق تفسيره.

﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾: فيما يأمر به، وينهىٰ عنه، أو يُتبع منهجه، وما يدعو إليه.

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: كالأصنام، والأوثان، والآلهة.

﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: كلمة ﴿لَّا يَهِدِّيٓ﴾: فيها تضعيف؛ يفيد المبالغة، والتّكثير؛ أصلها: لا تهتدي؛ فالأصنام، أو الأوثان الّتي هي حجارة لا تستطيع أن تهدي نفسها؛ لأنّها لا تفهم، ولا تعقل، فكيف تهدي غيرها ممن يعبدونها، وغيرها لا يستطيع أن يهديها، ولو أراد ذلك.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: أيْ: ماذا أصاب عقولكم؛ لتحكموا بهذا الحكم الباطل.

﴿فَمَا﴾: الفاء: استئنافية. ما: اسم استفهام للتوبيخ، والإنكار.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: أنتم خاصّة.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والتّعجب من هذا الأمر العجيب، العاقل يطلب من غير العاقل أن يهديه، فهذا من منتهى الضلال.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: فأيُّ حكم هذا، ساء ما تحكمون: وهو اتِّباع من لا يهدي، وترك عبادة من يهدي إلى الحقّ.

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: النّافية للحال؛ أيْ: تنفي الحال، ولو استعمل لا؛ أيْ: ولا يتبع أكثرهم إلا ظناً؛ لنفي المستقبل.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: أيْ: إنّ الأكثرية تتبع مجرَّد الظّن، والأقلية الباقية لا يفعلون ذلك، والظّن: هو التردد الرّاجح، فهم حين يقولون: إن هذه الآلهة تشفع لهم، أو تقرِّبهم عند الله زلفى، أو تمنعهم من عذاب الله هذا اعتقاد مرجّح عندهم؛ رغم أنه باطل.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: والشيء: هو أقل القليل. وشيئاً: نكرة تعني: أي شيء مهما كان.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾: لا يُكتفى به في العقائد، والعبادات، فهي تُبنى على اليقين، والعلم، والصّواب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ أيْ: كثير العلم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: يقومون به من شرك، وتكذيب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فيها تهديد ووعيد، وأنّه سيجازيهم على ذلك.

[٣٧] ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾:

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ ﴾: هذا جزء من الرّد على سؤالهم لرسول الله ﷺ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾.

﴿هَٰذَا ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة؛ للقرب.

﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾: كلمة القرآن مشتق من القراءة، ولنتمكن من قراءته يجب أن يكون قريباً.

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ ﴾: ما: النافية، ما يصح، وما يحق.

﴿أَن ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد.

﴿يُفْتَرَىٰ ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمَّد المختلق.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: من غير الله.

﴿وَلَٰكِن ﴾: حرف استدراك؛ يفيد التّوكيد.

﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: أيْ: مصدقاً، ومؤيِّداً لما سبقه من الكتب السّماوية: كالتّوراة، والإنجيل.

﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: بيان للأحكام، والشّرائع، والفرائض.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾: لا: النّافية للجنس. الرّيب: هو الشّك+ التّهمة؛ فالمشركون مع شكِّهم بالقرآن بأنه منزل من رب العالمين كانوا يتّهمون النّبي ﷺ بأنّه هو الّذي افتراه، أو أعانه عليه قوم آخرون.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أيْ: منزل من ربّ العالمين وحدَه سبحانه لا غير.

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: أم: بمعنى: بل؛ أيْ: يقولون افتراه، وجاء بصيغة المضارع في قوله: يقولون، بدلاً من قالوا؛ لأنّ قولهم لم ينقطع، وهو يتكرَّر ويتجدَّد؛ فجاء الرد والتحدي على الإتيان بسورة مثله في سورة يونس وكان ذلك في مكة؛ أي: سورة واحدة، واشتد التحدي بعد ذلك في المدينة فجاء الرد والتحدي بسورة من مثله كما في سورة البقرة آية (٢٣)؛ أي: الإتيان بأي سورة تشبه سورة القرآن من البقرة إلى سورة الناس. ارجع إلى الآية (٢٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ادعوا من استطعتم من الإنس، أو الجن؛ ليشهد أنّه اختلقه، أو افتراه، وفي آية البقرة (٢٣) قال سبحانه: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، شهداءكم: خاصَّة بالشّهداء؛ أي: الّذين رأوا بأم أعينهم أن رسول الله ﷺ اختلقه: افتراه.

بينما قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾: عامة تشمل الشّهداء، وغيرهم، والتّحدي أكبر، ومطلق في قوله: من استطعتم.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد النّدرة، أو الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنّه افتراه، واختلقه.

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: بما لم يحيطوا بعلمه: لها تفسيرات عدَّة:

١ - أي: كذبوا بالقرآن قبل أن يتدبَّروه، أو يفهموا معانيه، أو يدركوا ما جاء فيه من

أمر، أو نهي، كذبوا به بمجرد سماعه من رسول الله ﷺ، ولم يكتفوا بذلك، بل اتّهموا رسول الله ﷺ بأنّه افتراه.

٢ - كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بالجنة، والنّار، والبعث، والجزاء.

﴿بِمَا لَمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ كذبوا بالّذي لم يحيطوا بعلمه.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: لما: نافية تنفي الحدث إلى ساعة الكلام، أو الحاضر.

﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: كذبوا بالقرآن، ولم يكن عندهم علم تأويله.

﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾: قيل: تفسيره؛ أيْ: كذبوا بالقرآن، ولم يأتهم تفسيره بعد (لم ينتظروا تفسيره)، كذبوا به قبل أن يتبيَّن لهم أهو كذب أم صدق، أو كذبوا به قبل أن يخبروا أخباره، والمغيبات الّتي ذكرت لهم في القرآن، ولما يأتهم ما وعدوا به من الوعيد.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كذلك: أيْ: كما كذَّب مشركو مكّة بالرّسول ﷺ كذَّب الّذين من قبلهم برسلهم، وبما جاؤوا به، والتّكذيب بالرّسل؛ أيْ: بالمعجزات الدّالة على صدق رسالتهم.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الفاء: للتّعقيب، والتّرتيب؛ أيْ: لا تتأخر بالتّفكر والنّظر في عاقبة الظّالمين.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: عذاب الظالمين، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، أو أخذته الرّجفة، أو خسفنا به الأرض، أو أهلكنا بالغرق... وغيره. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٦) لبيان معنى العاقبة.

﴿عَٰقِبَةُ﴾: من التّعقب؛ أي: المباشرة، ومن دون تأخر.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قمة الظّلم: الشّرك بالله، وإعطاء الألوهية لغير الله، وظلم النّاس، وظلم النّفس: وهي حين تخرج عن منهج الله تعالى، وتصبح ضالة جائرة، وتورد الهلاك.

[٤٠] ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: ومنهم؛ أيْ: من المكذبين الظّالمين المشركين.

﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أيْ: بالقرآن، وقد تعود إلىٰ محمّد ﷺ، والقرآن، أو محمّد ﷺ شيء واحد. السّؤال هنا: كيف يؤمن به، وهو مكذب، أو ظالم، أو مشرك.

﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: من: للتوكيد، وتشمل المفرد، والمثنىٰ، والجمع.

﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أيْ: يكذب بلسانه، ويخفي الإيمان في قلبه (بأن القرآن من عند الله، وأنّه صدق أو أنّ محمّداً رسول الله)، ولكن العناد، والحقد، والحسد والمكابرة تمنعه من إعلان إيمانه، تفسير ثانٍ: أنه سيؤمن به في المستقبل.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: يستمر في الشّك، والتّكذيب بلسانه وبقلبه.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المفسدين؛ أي: المكذبين المصرون علىٰ العناد، والتّكذيب، وعدم الإيمان.

[٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: الواو: عاطفة؛ إن: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال، ولم يقل: وإذا كذبوك تفيد الحتمية.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: كذبوك: بصيغة الماضي؛ لأنّ التّكذيب هنا يدل علىٰ حادثة معينة واحدة (وهي قولهم: افتراه)، ولم يقل: وإن يكذبوك بصيغة المضارع الّتي تدل علىٰ التّجدد، والتّكرار، والاستمرار.

﴿فَقُل﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: أيْ: أبلغهم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ولمقارنة قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ بقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٤) من سورة آل عمران، وسورة الأنعام، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان، والمقارنة.

[٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمِنْهُم﴾: تعود على المكذبين، والّذين قالوا: افتراه، ومن الّذين لا يؤمنون.

﴿مَّن﴾: للتوكيد، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يستمعون إليك: إذا قرأت القرآن، ويستمعون، ولم يقل: يسمعون؛ يستمع: هو الّذي يسمع عمداً؛ أيْ: يقصد الاستماع، أو السّمع؛ أما يسمعون: من يسمع: هو الّذي يسمع عرضاً من دون نية، أو قصد.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: لا لغرض الهداية، وإنما للطعن في القرآن، والاستهزاء به، أو التّكذيب، واللغو فيه.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: تدل على كثرة المستمعون، ولم يقل: ومنهم من يستمع إليك: تدل على قلة المستمعون كما قال تعالى في الآية (٤٣) القادمة، ومنهم من ينظر إليك التي تدل على الإفراد الذي يدل على القلة مقارنة بالجمع الذي يدل على الكثرة كما في هذه الآية (٤٢)، كما ورد في سورة الأنعام، الآية (٢٥)؛ حيث كان المستمعون (٥-٧) نفر كما قال ابن عباس.

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ تفيد النّفي، والتّعجب.

﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: والأصم هنا يعني: الّذي يصل الكلام إلى أذنيه، ويسمعه، ولكنه لا ينتفع بما يسمع؛ فكأنه مصاب بالصّمم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: الواو: العاطفة، لو: شرطية، لا: النّافية.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: أضاف عدم الفهم، أو العقل إلى مرض الصّمم.

❖ ❖ ❖

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع الحزب ٢٢

سورة يونس [الآيات ٤٣ - ٥٣]

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: ومنهم: تعود على المشركين.

﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: نظرة تعجب أأنت النّبي المختار، والنّظر هنا يعني: التأمل، والتفكر، ولا يصدقونك.

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام؛ تفيد النّفي المشوب بالتّعجب.

﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾: أيْ: أأنت يا رسول الله تستطيع أن تهدي من عُمي على بصيرته.

﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾: العُمي: جمع أعمى، والأعمى: هو المصاب بعمى البصيرة (عمى القلب).

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة؛ لو: شرطية.

﴿كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾: لا: النّافية؛ يبصرون: من البصر: وهو الرؤيا بالعين، ويعني: البصيرة، والبصيرة: منطقة بالدّماغ هي منطقة الإدراك، والوعي؛ فهم رغم كونهم يرون بأعينهم الأشياء الحسية؛ فهم فقدوا بصرهم الحقيقي، والبصيرة حين لم يؤمنوا، واتبعوا الباطل.

وقوله سبحانه: فمنهم من ينظر إليك، ولم يقل: ينظرون إليك؛ ينظر إليك: تدل على قلة الفئة النّاضرة مقارنة بالفئة المستمعة الّتي مرّ ذكرها في الآية (٤٢).

[٤٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ﴾: اسم علم على واجب الوجود المتصف بكلّ صفات الكمال، واسم الجامع لكلّ صفاته، وأسمائه الحسنى.

﴿لَا﴾: النّافية للجنس؛ تنفي كلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾: شيئاً: نكرة قد تعني ظلماً؛ أي: أن الله لا يظلم الناس ظلماً مهما كان نوعه، وإن قل، أو تعني شيئاً من الأشياء مادياً أو معنوياً؛ تعني: أيَّ شيء مهما كان نوعه، وحجمه صغيراً، أو كبيراً؛ في الدّنيا، أو الآخرة؛ فكلّ مصيبة، وكلّ بأساء، وضراء تصيبهم: فهي بما قدَّمت أيديهم، أو هي ابتلاء لهم، ولرفع درجاتهم، ولمحو خطاياهم؛ وتعني: أنّ الله لا يظلم الإنسان في الآخرة بزيادة سيئة في ميزانه، أو نقصان حسنة من حسناته والمعنيان واردان.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بكسب المعاصي، والشّرك، وجحد نعم الله، وفعل ذلك منسوب إليهم.

﴿يَظْلِمُونَ﴾: يشركون، ومجيئها كفعل مضارع؛ تدلّ على التّكرار، والتّجدد، أو الاستمرار. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٤٥] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾:

﴿ وَيَوْمَ ﴾: القيامة: الواو: استئنافية.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: الحشر: هو السّوق من قبورهم بعد النّشر، والبعث إلىٰ أرض الحشر، والجمع هناك.

﴿كَأَن﴾: للتشبيه، والتّشبيه بكأن أبلغ من التّشبيه بكاف التّشبيه.

﴿كَأَن﴾: مؤلفة من كاف التّشبيه، وإن المخففة، وأصلها: كأنّهم، وخففت كأن؛ دلالة علىٰ قلّة مكثهم في الدّنيا.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: أيْ: في الدّنيا، أو في قبورهم، أو كلاهما معاً.

والأغلب هو التّفسير الأوّل؛ أي: الدّنيا، والغرض من هذه الآية هو مقارنة زمن الدّنيا بزمن الآخرة؛ أيْ: زمن عمر الإنسان، وبقائه في الدّنيا بزمن الآخرة؛ كأنّه ساعة، أو أقل.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يحاول أن يعرف بعضهم بعضاً في أرض المحشر، ولا يدوم ذلك طويلاً، ثمّ تنقطع المعرفة، وقيل: قد يكون الغرض من التّعارف التّوبيخ، ولكي يعلم الضّال من المضل، وتقوم عليهم الحُجَّة، وليس المقام مقام إيناس، ومحبة، واجتماع.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: لم يؤمنوا بالبعث، والحشر، والحساب.

﴿خَسِرَ﴾: ماذا خسر؟ نفسه؛ لأنّه أهلكها بالضّلال في الدّنيا، وقد يخسر أهله، أو خسر؛ تعني: ضلَّ، أو خسر ثواب الجنة.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي، كانوا مهتدين إلىٰ

منهج الله تعالىٰ في الدّنيا، وسائرين علىٰ الصّراط المستقيم، وجملة: مهتدين: جملة اسمية؛ تدل علىٰ ثبوتهم علىٰ الضلال.

[٤٦] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَإِمَّا﴾: الواو: عاطفة. إما: مكونة من إن + ما. إن: شرطية؛ ما: للتوكيد، وإن: تفيد الاحتمال، أو القلة.

﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: النّون في نرينَّك: للتوكيد، في الدّنيا بعض الّذي نعدهم (أي: الّذين كذبوا بلقاء الله، والمشركين) من الخذلان، والهزيمة، والقتل، والبأساء، والضّراء.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: أو: للاختيار؛ نتوفينك: قبل أن نعذبهم، والنّون في نتوفينك: للتأكيد.

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: إلينا تقديم الجار، والمجرور، ويدل علىٰ الحصر إلينا حصراً مرجعهُم في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: ثمّ: للترتيب الذّكري.

﴿شَهِيدٌ﴾: صيغة مبالغة من شهد، يشهد. ارجع إلىٰ الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ شهيد.

﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: ما: بمعنىٰ: الّذي: مصدرية.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: في الدّنيا من تكذيب، وشرك، وكفر.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾: ولكلّ أمة من الأمم رسول، وكلّ رسول هو نبي،

وليس كلّ نبي رسولاً، وقيل: الرّسول: من بعثه الله بشريعة جديدة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: تدل على التّوكيد، والمباشرة.

﴿جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾: إلى أرض المحشر؛ كقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩].

﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل بين الرّسول، وقومه، أو أمته، وبين الّذين آمنوا، والذّين كذبوا.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: الباء: تفيد الإلصاق، والتّوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وهم: ضمير منفصل؛ تفيد التّوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا: النّافية؛ يظلمون: شيئاً. ارجع إلى الآية (٤٤) من نفس السّورة.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: المشركون، والمكذبون بالرّسل، والبعث، يقولون: وهم في الدّنيا، ويتكرر قولهم، ويتجدد السّؤال عن متى سيكون هذا الوعد؟

﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام؛ تفيد معنى الاستبطاء، والاستبعاد.

﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة؛ يفيد القرب.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾: الوعد بالعذاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، أو الوعد: متى يوم القيامة، أو يوم الحساب، أو متى هذا الوعد الّذي يعدنا به محمّد ﷺ، أو غيره من الرّسل.

﴿إِن﴾: شرطية؛ فيها معنى الشّك، الشّك في كونكم صادقين.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في دعواكم، وإنذاركم، وصادقين فيما جئتمونا به من رسالة.

[٤٩] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾:

﴿قُل﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ ردّاً على سؤالهم: متى هذا الوعد؟ (أي: متى العذاب، أو يوم القيامة...) ويعني: الضّر:

﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لا: النّافية للجنس.

﴿أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية؛ أيْ: غير قادر على دفع الضّر عن نفسي، أو جلب المنفعة لنفسي. والضّر: مصدر خلاف النفع، أو الشّر، والنّفع: هو مثل الغنى، والصّحة، والخير... وغيرها، ويجب تفريق الضَّر عن الضُّر (بضم الضاد) الذي يحصل في البدن من مرض أو مصيبة.

﴿وَلَا نَفْعًا﴾: ولا: لزيادة توكيد النّفي، وتكرار النّفي بلا: يفيد الفصل بين النّفع، والضّر؛ فهو لا يملك أياً منهما على حدة، أو كلاهما معاً، فكيف أملك، أو أقدر على المجيء بيوم القيامة، أو إنزال العذاب بكم، وقدم الضَّر على النفع؛ لأن سياق الآيات في الوعيد والتحذير لهؤلاء الذين كذبوا بلقاء الله تعالى، وكذبوا بالبعث والحساب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن أملكه، أو يقدرني عليه من الحول، والقوة، والنفع، والضّر، وقدَّم الضّر على النّفع؛ لأنّ سياق الآيات يدعو إلى تقديم الضّر على النّفع؛ حيث ذكر الله سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ [يونس:١١].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس:١٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: هذا قد يكون الرّد الثّاني، أو الجواب الثّاني على سؤالهم متى هذا الوعد (العذاب، أو الضّر...).

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: وقت محدد، أو عمر محدد، وحين يشاء الله سبحانه ينزل بالّذين كفروا العذاب، أو قد يؤخّره إلى أجل مسمًّى هو يوم القيامة، أو حياة البرزخ (عذاب القبر).

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: أيْ: وقت إهلاكهم، أو موتهم، أو عذابهم؛ إذا: ظرف زماني متضمن معنى الشّرط، ويحمل معنى حتمية الوقوع؛ أيْ: هو حتماً قادم لا محالة، ولا شك.

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: انتبه إلى قوله سبحانه: إذا: شرطية؛ جواب الشّرط: هو جاء أجلهم لا يستأخرون، وينتهي الكلام، ولا يستقدمون، ليست تتمة لجواب الشّرط.

أيْ: إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا دقيقة، ولا ثانية، وإذا لم يجئْ أجلهم لا يستقدمون ساعة، ولا دقيقة، ولا ثانية.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

هذا هو الجواب، أو الرّد الثّالث على سؤالهم متى هذا الوعد؛ فقد كان الرّد الأوّل: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وكان الرّد الثّاني: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، والرّد الثّالث: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ ما ستفعلون عندها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: أرأيتم: الهمزة: همزة استفهام، وتقرير،

والرّؤية هنا رؤية قلبية، وبصرية، وتعني: أخبروني بشكلّ مؤكد؛ أخبروني إخبار من له علم ودراية بالأمر: عما سيحدث لكم إن أتاكم عذابه.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾: إن: شرطية؛ تدلّ على الاحتمال (احتمال حدوث العذاب).

﴿أَتَىٰكُمْ﴾: استعمل أتاكم؛ لأنّه لم يجئْ بعد، وسيأتي في المستقبل، ولو جاء الآن لقال: لجاءَكم العذاب، ونسب العذاب إليه؛ للتّهديد، والوعيد الشّديد؛ فهو عذاب الله الجبار؛ القهار؛ القوي؛ العزيز، وليس عذاب أحدٍ من النّاس.

﴿بَيَٰتًا﴾: أيْ: ليلاً، وأنتم نائمون، أو غير نائمين؛ غير مستعدين؛ غير حاذرين، وبات: لا تعني: النّوم؛ فهو سواء نام، أو لم ينم؛ بات: أظله المبيت.

﴿أَوْ نَهَارًا﴾: في وضح النّهار، وأنتم في تقلُّبكم وشغلكم، أو على استعداد، أو غير استعداد له.

﴿مَّاذَا﴾: للاستفهام، وتفيد المبالغة في الاستفهام.

﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: منه: تعود على العذاب.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون الكافرون العاصون المستهزئون. ارجع إلى سورة هود آية (١١٦)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمون.

وجواب إن أتاكم: محذوف، وحذفه ليدل على التّفخيم، والتّعظيم، ويذهب الفكر إلى كلّ أنواع العذاب، والتّصورات، والأجوبة؛ فلا يكون محدداً بنوع واحد، وقد لا تطيقونه، وقد يهلككم عن بكرة أبيكم.

[٥١] ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾:

﴿ أَثُمَّ ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتوبيخ، وإنكار التّأخير، وقدِّمت الهمزة على حرف العطف، وهو ثمّ؛ تنبيهاً على أصالتها في الصّدارة، والتّقدير.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿مَا وَقَعَ﴾: ما: للتوكيد، وقع: حل ونزل بكم.

﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: صدقتم به، وبه قد تعود إلى العذاب، أو تعود إلى الله، وتعني: آمنتم بالله تعالى.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب، وإنكار، كلمة آلآن: الهمزة همزة الاستفهام فيها أدغمت بهمزة الوصل في أل التّعريف، وأدغمت الألفان، وأصبحتا ألفاً واحدة فوقها علامة المد، وحذفت همزة الوصل، وأبقيت همزة الاستفهام، وكلمة آلآن: ذكرت في ست آيات في القرآن.

﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿كُنتُم بِهِۦ﴾: بالعذاب.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أيْ: قيل لهم بعد أن يحل بهم، أو قبيل وقوعه: آلآن الإيمان لا يفيد، ولا يُجدي.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: حرف عطف؛ يفيد التّرتيب، والتّراخي.

﴿قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أي: المشركين المكذبين في الآخرة عند دخولهم النّار، وعند وقوع العذاب:

﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾: العذاب الدّائم المستمر بلا انقطاع.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾: استفهام إنكاري، وتوبيخ.

﴿تُجْزَوْنَ﴾: من الجزاء المقابل للعمل.

﴿إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية.

﴿تَكْسِبُونَ﴾: من الشّرك، والكفر، والمعاصي؛ تكسبون، ولم يقل: تكتسبون. ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٥٣] ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: يطلبون أن تخبرهم؛ من استنبأه؛ أيْ: طلب أن ينبئه؛ أيْ: يسألونك، ويبدو أنهم عادوا مرة أخرىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ ليسألوه سؤالاً جديداً بدلاً من: متىٰ هذا الوعد، أحق هو.

﴿أَحَقٌّ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري؛ أيْ: أصحيح هذا العذاب، أو الحساب، أو البعث، وفيه معنىٰ الاستهزاء.

﴿هُوَ﴾: قد تعود علىٰ البعث، والحساب، أو العذاب، أو القيامة.

قل لهم يا محمّد ﷺ:

﴿إِى﴾: إي: بالكسر، والسّكون، وإي: حرف جواب بمعنىٰ: نعم؛ تفيد تصديق المخبر، ولإعلام المستخبر، وتقع قبل القسم.

﴿وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: الواو: واو القسم؛ أيْ: نعم، وأقسم بربي إنه لحقٌّ، والقسم هنا: يفيد التّوكيد.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية.

﴿أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتّأكيد. معجزين: بفائتين من العذاب، أو نحن غير قادرين عليكم، ما أنتم بمعجزين؛ لا في أيِّ مكان، ولا في أيِّ زمان، ولا تعجزون في أيِّ شيء مهما كان.

ومن الجدير بالذّكر: أنّ الله سبحانه أمر رسوله ﷺ بأن يقسم بربه في ثلاث آيات في القرآن:

هذه الآية (٥٣) من سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

والآية (٣) من سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

والآية (٧) من سورة التّغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾.

وإذا نظرنا في سياق هذه الآيات نجدها كلّها تؤكّد قيام السّاعة، والبعث، والعذاب، أو الجزاء.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

سورة يونس [الآيات ٥٤ - ٦١]

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

المناسبة: جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: ناجين من العذاب، وكذلك: لا شفاعة لكم، ولن يُقبل منكم فداء.

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: الواو: استئنافية؛ لو: شرطية؛ تفيد النّدم والحسرة؛ أن: للتوكيد.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد.

﴿نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: ظلمت بالشّـــرك، أو الكفر، أو المعاصي، أو تعدَّت على غيرها، ولم تتبْ.

﴿مَا﴾: بمعنى: الّذي، وما: أوسع شمولاً من: الّذي.

﴿ٱلْأَرْضِ﴾: من ذهب، أو فضة، أو كنوز.

﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ افتدت به: قدَّمته فدية لها من العذاب يـــوم القيامة، والفداء: هو ما يُقدَّم من مال، وغيره من البدائل؛ لتخليص المفدى؛ مثل: فداء الأسرى، كقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧].

ولو أمعنَّا في النّظر في هذه الآية: نجد أنّ الله سبحانه لم يقل: جميعاً، ومثله معه، واكتفى بقوله: ما في الأرض؛ بينما في آيات أخرى ذكر جميعاً، ومثله معه، كما هو الحال في الآية (٤٩) من سورة الزّمر: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾، لم يذكر فـــي آية يونس جميعاً، ومثله؛ لأنّها جاءت في ســـياق النّفس الواحدة؛ فقال: لكلّ نفس، ولم يقل: للذين ظلموا (كجمع)،

والنّفس الواحدة مستحيل أن تملك ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، ولذلك حذف جميعاً، ومثله ومعه، بينما في آية الزّمر وغيرها من الآيات المشابهة ذكر الّذين ظلموا؛ فهؤلاء ثرواتهم وفدائهم سيكون أكثر من النّفس الواحدة، وأعظم، ومع ذلك لا يقبل منهم فداء، ولا شفاعة.

وهناك نقطة أخرىٰ: وهي قوله: لافتدوا به في سورة الرّعد، الآية (٣٨)، والزّمر، الآية (٤٧)؛ بينما في سورة المائدة، الآية (٣٦) قال تعالىٰ: ليفتدوا به، السّبب في تغيير صيغة الفعل: هو أنّ قوله: لافتدوا به: الآيات تتحدث عنهم، وهم في الآخرة، وبعد أن تم حسابهم، ولقاء الله سبحانه.

أما قوله: ليفتدوا به: فالآية تتحدث عنهم، وهم ما زالوا في الدّنيا، وقبل لقاء الله سبحانه في المستقبل.

والخلاصة: لافتدوا به: تأتي في سياق الآخرة، وليفتدوا به: تأتي في سياق الدّنيا.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: وأسروا: الواو: عاطفة، أسروا النّدامة؛ أيْ: أخفوا النّدامة، والنّدامة: من النّدم، وهو ما يجد الإنسان في نفسه من الأسف، والحسرة، والحزن إذا فاته فعل شيء فيه خير، أو فعل فعلاً ضاراً به، ومن المفسرين من قال: أسروا النّدامة؛ أيْ: أظهروها حين رأوا العذاب؛ فأسررت الشّيء قد تعني: أخفيته، وقد تعني: أظهرته من أفعال الأضداد.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنىٰ: حين.

﴿رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: لأنهم حين يرون العذاب يبهتوا؛ أيْ: ينقطعوا عن الكلام من هول، وشدة الموقف.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وقضي بينهم بالقسط؛ أيْ: حكم الله بين الظّالمين، وفصل بينهم بالعدل، والحقّ، وقيل: القسط: هو

القضاء، والعدل + تنفيذه (إقامته)، نحكم ونقضي بالقسط لكلّ نفس، وقد تعني: القضاء بين الأتباع، والمتبوعين، وقد تعني: القضاء بين الظّالمين أنفسهم، أو المشركين، أو الكفرة، أو الكل.

ولو نظرنا إلىٰ هذه الآية (٥٤)، والآية (٤٧) من نفس السورة: نجد كلاهما انتهىٰ بقوله سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وليس هذا تكرار؛ لأنّ الآية (٤٧): جاءت في سياق القضاء بين الأنبياء، ومكذبيهم، والآية (٥٤): جاءت في سياق القضاء بين الظّالمين أنفسهم، أو الظّالمين والمظلومين.

[٥٥] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: ذكر هذه الآية بعد ذكر: ولو أنّ لكلّ نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به؛ لتخبر ليس للظالم من شيء يفتدي به؛ لأنّ كلّ ما في السّموات، والأرض هو لله سبحانه.

﴿أَلَآ﴾: أداة استفتاح، وتفيد التّنبيه؛ تنبيه الغافل: أنّ لله ما في السّموات والأرض.

﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.

﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: فليس فقط لله ما في السّموات والأرض؛ كذلك.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه، كما ورد سابقاً.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: البعث، والحساب، والجزاء (من ثواب وعقاب)، وكلّ ما أعدَّه الله سبحانه لعباده المؤمنين، وعباده الكافرين حق، وصدق، وكلّ شيء نطق به حق لا يتغيَّر، ولا يتبدَّل.

والوعد: إذا جاء في سياق الخير فهو بشارة سارة، وإذا جاء في سياق الشّر؛ فهو إنذار، والوعد عادة يأتي في سياق الخير، والوعيد يأتي في سياق الشّر.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: تعود على المشركين؛ الكافرين؛ العاصين.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: عن البعث، والحساب، والجزاء شيئاً، والدّليل على ذلك الآية الّتي تليها؛ أيْ: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد يعود على الله (وعد الله حق).

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: القادر على أن يحيي ويميت، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدُّد الإحياء والإماتة.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه: جار ومجرور، وتقديمها يفيد الحصر؛ أيْ: إليه وحده ترجعون.

وتُرجَعون، ولم يقل: تَرْجِعون؛ تُرجَعون؛ أيْ: رجوعاً قسرياً، لا إرادة لكم فيه؛ فمن لا يكفيه دليل الإحياء، والموت على قدرة الله؛ فعليه أن يرتدع بخوف الرّجوع إلى الله سبحانه.

[٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء إلى النّاس كافة، والهاء: للتنبيه إلى أمر مهمٍّ عظيم.

﴿ٱلنَّاسُ﴾: من الإنس، والجن، والنّاس: مشتقة من النّوس: الحركة؛ أي:

الّتي يتصف بها الخلــق، ومن الإنس الألفة، ولمعرفة معنــى النّاس: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١).

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الموعظــة؛ أي: القــرآن الكريم، والموعظة: تذكرة بالثّواب، والعقــاب، وبالطّاعة، والعمل الصّالح، والإرشــاد إلى الخير، ونهي، وتحذير. ارجع إلى سورة النســاء، آية (٣٤) والنحل، آية (١٢٥) ؛لمزيد في معنى موعظة.

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: من الشّك، والنّفاق، والحيرة، والشّبه، والحقد، والحسد، والمكر، والظّن، والغيبة... وغيرها من الأمراض.

﴿وَهُدًى﴾: مصــدر هداية، أو هو الهدى يهدي للحــق، والغاية والصّراط المستقيم، وسعادة الدّارين.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: مصــدر لجلب الخير، والنِّعــم، ودفع ما يضر (وقاية لكم من الضّرر والوقوع في الذّنب).

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

وانتبه إلى المجيء بكلمة موعظة، وشــفاء، وهدى، ورحمة: كلها جاءت بصيغة النّكرة؛ للتعظيم، والشمول.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ:

﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والفضل: هو الزّيادة عما يستحق من الأجر، أو الثواب.

فضل الله: الجنة، ورضوان الله تعالى، وفضل الله قد يشمل عدم الشّرك

بالله، والتّوحيد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨].

﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: قيل: هي القرآن، أو محمّد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أو كلاهما.

وتكرار الباء بفضل الله وبرحمته: دليل علىٰ أنّ كلّ منهما سبب للفرح علىٰ حِدَةٍ، أو كلاهما معاً.

﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، الباء: للإلصاق، ذلك: اسم إشارة للبعيد، والتّعظيم، (وشمل الواحد، أو الاثنين، أو الجمع)، وتشير إلىٰ فضل الله ورحمته.

﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التّوكيد، وهو نوع من الفرح المحمود. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنىٰ الفرح وأنواعه.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، والحصر، خير: أفضل.

﴿مِّمَّا﴾: من + ما؛ من: البعضية، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿يَجْمَعُونَ﴾: من المال، والذّهب، والفضة، والمتاع.

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿أَرَءَيْتُم﴾: أيْ: أخبروني بعلم، وتوكيد؛ رؤية قلبية، الخطاب موجَّه إلىٰ مشركي قريش، وغيرهم من البشر.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، وقد تكون اسم استفهام.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: أيْ: من الحرث، والأنعام، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وقد يعني: الغيث، والمطر الّذي هو السّبب في إنتاج الحبوب، والثّمار، والأنعام، أو تعني: الإيجاد، أو إنزال حقيقي، كما أنزل الحديد.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: مثل: البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام، ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ... وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ...مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام:١٣٨-١٣٩].

والجعل: يتم بعد الخلق، والجعل هو حق للخالق وحده، فهل أعطاكم الله سبحانه تصريحاً، أو تفويضاً، أو سمح لكم بذلك، والفاء في فجعلتم: للتوكيد، وقدَّم الحرام علىٰ الحلال؛ لأن سياق الآيات في الظلم، والتحذير منه، وتحريم ما أحل الله.

﴿قُلْ ءَآللَّهُ﴾: ارجع إلىٰ كلمة الآن في الآية (٥١). الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾: أعلمكم بهذا التّحليل، والتّحريم، وسمح لكم.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمَّد المختلق، وتفترون: تدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار المستمر.

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَمَا ظَنُّ﴾: الواو: استئنافية؛ ما: اسم استفهام.

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: وفي هذه الآية كلام محذوف تقديره:

١ - ما ظنهم أنّ الله فاعل بهم يوم القيامة؛ بافترائهم الكذب عليه.

٢ - أو هل ظنوا أنّه لا توجد آخرة، ولا حساب، ولا ويل، ولا نار.

وفي إبهام الوعيد، وما سيكون حسابهم عند ربهم، تهديد عظيم لهم، ولتبقىٰ عقولهم في حيرة في نوع العذاب الّذي ينتظرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: إن: للتوكيد؛ لذو: اللام: لام التّوكيد.

﴿فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾:

١ - بأن بيّن لهم الحلال، والحرام، وهداهم بإرسال الرّسل، وإنزال الكتب، وإنعامه عليهم بالعقل، والنِّعم الكثيرة الّتي لا تعد، ولا تحصىٰ.

٢ - أو لذو فضل علىٰ النّاس بأن أخَّر عنهم العذاب.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لأنّهم منشغلون بالنِّعم، وغافلون عن المنعم، ولو قارنا (أكثرهم لا يشركون) مع قوله تعالىٰ: (كثيراً لا يشركون): نجد أن أكثرهم أكثر من كثير في العدد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: الله علىٰ ما هداهم وبيَّن لهم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٠) لبيان معنىٰ الشكر.

[٦١] ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو: استئنافية، ما: النّافية، والخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾: شـــأن: هو إبلاغ الرّسالة، والمنهج؛ أي: الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿ وَمَا ﴾: مثل السّابقة، وتفيد التّوكيد.

﴿تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾: وما تتلو من القرآن، أو الآيات علىٰ النّاس، أو لأجل تبليغ النّاس ما نُزل عليهم.

﴿مِنْهُ ﴾: الأولىٰ تعليلية.

﴿مِن قُرْءَانٍ ﴾: للتأكيد، أو للتبعيض؛ أي: بعض السور أو الآيات.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾: ينتقل إلىٰ الله سبحانه من مخاطبة رسول الله إلىٰ مخاطبة النّاس.

﴿وَلَا ﴾: النّافية.

﴿تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾: العمل يشمل القول، والفعل؛ فإذا صدر الحدث من اللسان كان قولاً، وإذا صدر الحدث من بقية الجوارح كان فعلاً.

﴿إِلَّا ﴾: أداة حصر.

﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾: كنا عليكم شاهدين؛ أيْ: رقباء مطلعين عليه حيث الملائكة الكرام الكاتبين، شاهدين علىٰ ما تعملونه (من قول، وفعل).

﴿إِذْ ﴾: ظرف زماني.

﴿تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾: من الإفاضة، كما يفيض الإناء إذا امتلأ، وأصل الإفاضة:

الاندفاع بشدة، أو بكثرة؛ تفيضون: تشرعون فيه؛ لتأديته بنشاط وإقبال؛ مما يدل على حسن الاستجابة، والإقبال على العمل بشوق.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: وما: ما: للنفي، ما يعزب عن ربك: ما يغيب عن علمه، وعزب الشّيء؛ أي: اختفى، وغاب، وما هو الفرق بين: وما يعزب عن ربك، ولا يعزب عن ربك؟ أولاً: ما: رد على قول أو ما يشابه ذلك، بينما لا: جواب لسؤال حصل أو مقدر، وما: مختصة بنفي الحال، ولا: تختص بنفي المستقبل.

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: من: استغراقية، وتفيد التّوكيد. ارجع إلى سورة سبأ، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾: وانتبه إلى قوله: ولا أصغر من ذلك؛ فعندما يكون هناك أصغر يكون هناك كذلك صغير، وأصغر من الذّرة هي الإلكترونات، والبروتونات، والنترونات الّتي تشكل النّواة.

وأصغر على وزن أفعل؛ هو ما اكتشفه العلم الحديث، وهو ما يقال له: (كوارك)؛ أيْ: أصغر من الذرة.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: وهو اللوح المحفوظ.

ولنقارن بين هذه الآية من سورة يونس، والآية (٣) من سورة سبأ.

آية (٦١) يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

آية (٣) سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

بين الآيتين ستة فروق:

الأوّل: السّـياق في آية يونس، في علم إحاطة الله بالأشياء، أمّا السّياق في آية سبأ ففي الساعة (ساعة تهدم النظام الكوني).

الثّاني: في يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾؛ ما: مختصة بنفي الحال، وفي سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾؛ لا: نافية للجنس مختصة بنفي المستقبل غالباً، وقد تنفي كلّ الأزمنة بما فيها الحال؛ فالنفي في آية يونس: أوسع، وأشمل.

الثّالث: في آية يونس قال: ﴿عَن رَّبِّكَ﴾، وفي آية سبأ قال: ﴿عَنْهُ﴾، ولم يقل: عن ربك؛ لأنّه سبق ذكر كلمة الرّب في قوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

الرّابع: في آية يونس قال: ﴿ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: بدأ بالأرض؛ لأنّ الآية تتكلم عن أهل الأرض؛ لقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، وفي آية سبأ قال: ﴿ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: بدأت بالسموات؛ لأنّ السّياق عن السّاعة، والسّاعة أمرها يبدأ من السّموات.

الخامس: في يونس قال: ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾؛ من: هنا الاستغراقية؛ لأنّ الكلام عن علم الله، وإحاطة علمه بكلّ الأشياء يستغرق كلّ شيء، أما في سبأ: ﴿مِّثْقَالِ﴾: من دون (من)؛ فلأنّ السّاعة شيء واحد، أو أمر واحد.

السّادس: النّفي في آية يونس أقوىٰ، وآكد من النّفي من آية سبأ؛ لأنّه جاء بـ(لا): النّافية للجنس، وكذلك استعمل: (من): الاستغراقية، وجاء بصيغة النّصب في يونس بدلاً من صيغة الرّفع؛ فقال: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾؛ بينما في سبأ: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾.

❖ ❖ ❖

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ
سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

سورة يونس [الآيات ٦٢ - ٧٠]

[٦٢] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَلَآ﴾: أداة استفتاح، وتنبيه للمستمع حتّىٰ لا تفوته كلمة واحدة في الآية، وللاهتمام بما يستمع إليه.

﴿إِنَّ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ جمع ولي، والولي: هو التابع المحب أو القريب المحب المعين، والولاء: هو الحب والنّصرة، أولياء الله بالطّاعة والعبادة؛ أيْ: أحباؤه، والمقربون إليه، وقد وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (٥١)؛ للمزيد في معنىٰ الولاية.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٣٨)؛ للبيان.

[٦٣] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾:

هذا تفسير لأولياء الله، وكأن سائلاً سأل: مَن هم أولياء الله؟ فجاء الرّدُّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُواْ﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتعني: الإخلاص، والتوحيد.

﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، كانوا في الدّنيا يتقون الله تعالىٰ؛ يخافونه، ويتقون: تدل علىٰ الاستمرار، والتّجدُّد، والتّكرار مدَّة حياتهم حتّىٰ ماتوا وهم في تلك الحالة. وهذا يعني أن الولاية، أو لتكون من أولياء الله يجب الإنابة والمجاهدة فهي ولاية كسبية، وكذلك يهدي إليه من يريد أو يجتبي إليه من يشاء هي ولاية خاصة، أو ولاية هبة، أو اجتباء من الله تعالىٰ.

[٦٤] ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام التّعليل، والاختصاص.

﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾: علىٰ وزن فعلىٰ، هي الخبر السّار تسمعه لأوّل مرة، وسمِّيت بشارة؛ لأنّه يظهر أثرها علىٰ الوجه بالسّرور، والفرح، وغالباً تستعمل في الخير، ولكن قد تكون في الشّر، ويُراد بها التهكُّم، والاستهزاء؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣].

﴿ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تتمثل بثلاثة أفعال:

١ - الرّؤيا الصّالحة.

٢ - بشارة الملائكة للمؤمنين المتقين عند الموت (الوفاة) ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل:٣٢].

٣ - البشرىٰ بالجنة: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

لهم البشرىٰ في الدّارين: الدّنيا، والآخرة، وإعادة ذكر (في) مرتين في الحياة الدّنيا، وفي الآخرة بدلاً من قوله: في الحياة الدّنيا والآخرة؛ للتوكيد، ولفصل كلٍّ علىٰ حدة، أو كلاهما معاً.

﴿لَا﴾: النّافية للجنس، ولكلّ الأزمنة.

﴿تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا تغيير، ولا تبديل لما وعد الله سبحانه وتعالىٰ عباده؛ كلماتُ الله أقوالُه، وما بشَّر به.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويشير إلىٰ البشارة في الدّارين.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: أعظم أنواع الفوز هو الفوز العظيم؛ الّذي هو أفضل من الفوز المبين، والفوز الكبير. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: النّاهية.

﴿يَحْزُنكَ﴾: الحزُن: بضم الزاي: هو ضيق في الصّدر مؤقت (له وقت محدَّد، وينتهي، ولو طال سنة، أو سنتين، أو أكثر).

أما الحَزَن: بفتح الزاي: فلا ينتهي أبداً إلا بالموت؛ إذن الحَزَن لا ينقضي، ولا يزول، حَزَنٌ دائم.

﴿قَوْلُهُمْ﴾: أنك ساحر، مجنون، مُفتر، كاذب، لست مرسلاً.

ويجب الوقوف في القراءة علىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾؛ أما إذا لم يقف القارئ؛ فيكون معنىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أيْ: قولهم: إن العزة لله جميعاً، وهو يُحزن رسول الله ﷺ، وهذا غير صحيح، وباطل؛ لأنّهم

هـــم لم يقولوا: إنّ العزة لله جميعاً أولاً، وثانيـــاً: أن القول أن العزة لله جميعاً لا يحزن رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْعِـزَّةَ﴾: القوة، والغلبة، والمنعة، والقهر؛ فهو لله سبحانه لا يُغلب، ولا يُقهر، والقوي الّذي لا يُحال بينه وبين مراده.

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لكلّ ما يقال؛ صيغة مبالغة، كثير السّـــمع، يسمع كلّ ما يقوله عباده في السّر والعلن، وما يقولون جميعاً في آن واحد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة ، عليم بكلّ ما يجري في كونه، وما يفعله خلقه، وما تخفي الصّدور، ولا تخفىٰ عليه خافية في الأرض، ولا في السماء.

[٦٦] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

وبما أنّ قانون العزة لله جميعاً؛ لأنّ كلّ من في السّموات، ومن في الأرض من كائن مملوكاً لله؛ فلا كائن يخرج عن إرادته سبحانه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾: ألا: أداة استفتاح، وتنبيه.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لِلَّهِ﴾: الـلام: لام الاختصاص، والملكية، وتقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: يدل على الحصر؛ أيْ: حصراً لله وحده؛ أيْ: كلّ كائن في السّـموات، وفي الأرض خاضع لله سبحانه طوعاً، أو كرهاً.

﴿مَن﴾: تختص بالعقلاء فقط، وقد تستعمل لغير العقلاء إذا أنزلوا منزلة العقلاء؛ مثل: الأصنام إذا عبدوها، ومن: استغراقية تشمل المفرد، والمثنى، والجمع، وتشمل كلّ عاقل.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: إعادة (مَن) مرة ثانية؛ يفيد التّوكيد، وفصل كلّ من السّموات عن الأرض.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾: مـا: النّافية، وقد تكون اسم موصول، أو تكون اسم استفهام؛ مثل، وأيُّ شيء يتبع أولئك الّذين يدعون مع الله إلهاً آخر ، إنهم لا يتبعون شيئاً.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أيْ: يعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿شُرَكَآءَ﴾: أيْ: هم لا يتبعون شيء إلا الظن.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: إن: نافية؛ أقوى في النفي من: ما.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿ٱلظَّنَّ﴾: التردد الراجح؛ أي: الشّك، مع رجحان كفة الإثبات.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: وإن: نافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخرص: هو القول من دون علم؛ فهو التّخمين، والحزر؛ فهو كذب، وتخمين، وقيل: الخرص: هو الحَزْر، والتّقدير الباطل، والكذب.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يأتي بدليل آخر علىٰ عظمة الله وقدرته، وأنّه هو الّذي يستحق العبادة، وهذا الدّليل هو ما ذكر في الآية الآتية.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد الحصر؛ أي: الله وحده هو الّذي جعل.

﴿جَعَلَ﴾: أيْ: هو الّذي خلق الزّمن، ثمّ جاء لهذا الزّمن؛ ليجعل منه ليلاً، ونهاراً، والجعل يكون بعد الخلق، والجعل هو توجيه الشّيء المخلوق بعد خلقه لمهمة معينة، وهو الّذي صيَّر لكم اللّيل.

﴿لَكُمُ﴾: خاصَّة، اللام: لام الاختصاص.

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: اللام: لام التّوكيد، السّكون الرّاحة، والحد من الحركة، وهذه رحمة، ونعمة من الله علىٰ الإنسان؛ لكي يرتاح، ويعود النشاط إلىٰ قواه؛ لكي يزاول عمله في اليوم التالي، وتتداخل هنا الظلمة مع التعب إلىٰ حثِّ الغدد علىٰ إفراز بعض العوامل، أو الهرمونات الّتي تؤدِّي إلىٰ النوم.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مبصراً: اسم فاعل من أبصر؛ أسند الإبصار إلىٰ النّهار، وهذا هو أمر حقيقي اكتشفه العلم حديثاً، وتفسير ذلك: كلّ الكواكب بما فيها الأرض يسبح في الظّلام، ولكن وجدت حول الأرض طبقة من الغازات

(طبقة غازية) مشكلة من غازات الهيدروجين، والنّتروجين، والهليوم، وبخار الماء... وغيرها من الغازات.

وهذه الطّبقة الغازية يسمِّيها العلماء طبقة النهار، وهي الطّبقة السفلىٰ من الغلاف الغازي للأرض الّتي أعطاها ربنا من الصّفات الطبيعية، والكيماوية ما يمكننا أن نرىٰ نور الشّمس الأبيض، ويقدر سمكها بـ (٢٠٠كم)، وأغلب أشعة الشّمس لا ترىٰ مثل أشعة غاما، والأشعة السينية، وفوق البنفسجية، وتحت الحمراء... وغيرها، وما يصل إلىٰ الأرض هو جزء من الطاقة المسمَّىٰ الضوء المرئي، وهي عبارة عن ألوان الطيف: الأحمر، والبنفسجي، والأخضر، والأزرق، والأصفر، والنيلي، والبرتقالي، وكلّ طيف من هذه الطيوف لا يرىٰ لوحده إلا بصورة ضعيفة، ولكنه لما يدخل هذه الطّبقة تبدأ ألوان الطيف تتحد، وتعطينا النور الأبيض الجميل الّذي نراه في وضح النهار.

وبما أنّ الأرض كروية فأشعة الشّمس سوف تشرق علىٰ الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض، والمقابلة للشّمس؛ أمّا القسم من الطّبقة الغازية غير المقابل للشّمس فلا تضيء، ولا تنير؛ فتكون مظلمة، وما تحتها من الأرض مظلم (أيْ: ليل).

وأمّا الطّبقة المقابلة للشمس فتضيء، وتنير، وبالتّالي النّصف من الأرض الّذي تحتها في نهار، وبما أن الأرض تدور حول نفسها؛ لذلك سرعان ما يتبدل النّهار بالليل، ثمّ اللّيل بالنّهار... وهكذا؛ مما يدل علىٰ كروية الأرض.

وبعد أن تضيء وتنير تلك الطّبقة الغازية تنعكس أشعتها علىٰ الأرض، ثمّ إلىٰ عيون النّاس؛ فيرىٰ النّاس ما حولهم من المبصرات، والكائنات، ولولا هذه الطّبقة الغازية؛ لما رأينا أيَّ شيء؛ فهذه الطّبقة الغازية هي الّتي تبصر، ولذلك

سمَّىٰ النّهار مبصراً، وأما عيوننا فلا تبصر شيئاً، والدليل علىٰ ذلك حين نكون في ظلمة، فلا نرىٰ شيئاً رغم وجود العيون.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للمخاطب؛ أيْ: يشير إلىٰ الآيات الكونية؛ مثل: هذه الآية، آية النّهار، وآية اللّيل.

﴿لِّقَوْمٍ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد، والاختصاص.

﴿يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر، واعتبار، واختار يسمعون، ولم يقل :يبصرون؛ لأن الآية تتحدث عن الليل؛ لتسكنوا فيه، فالعين في الليل لا ترىٰ؛ أيْ: معطلة، والسّمع يبقىٰ دائماً لا يتعطل، ولذلك قال: لقوم يسمعون.

[٦٨] ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر أفعال المشركين باتخاذ الأصنام، والأوثان شركاء؛ يذكر في هذه الآية نوعاً آخر من الشّرك، والباطل: وهو اتخاذ الولد.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: قالوا؛ أي: المشركون، واليهود، والنّصارىٰ.

﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: يعني: ادعوا، أو ظنوا، أو حكموا؛ زعموا أنّ لله ولداً: عيسىٰ ابن الله، عزير ابن الله، أو الملائكة بنات الله، وفعل اتخذ: علىٰ وزن افتعل، واتخذ: من أخذ، ولكن لما كثر استعمال أخذ أصبح اتخاذ، والاتخاذ فيه معنىٰ الاستمرار.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً لله؛ أيْ: أسبح الله سبحانه من هذا الافتراء؛ أيْ: هذا لا يمكن أن يكون، والله منزَّه عن ذلك، ومنزَّه؛ أيْ: مُبعد، والنّزاهة البُعد.

﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: هو: ضمير فصل؛ للحصر، والتّوكيد.

﴿ٱلْغَنِىُّ﴾: أيْ: غير المحتاج لأحد، لا لولد، ولا لبنت، أو ذرية؛ لأنّ:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لـه: اللام: لام الاختصاص، والملكية. ما: هي أوسع استعمالاً من: (من)، وأكثر إبهاماً؛ لتشمل كلّ ما في السّموات، وما في الأرض، وأصل الكلام: ما في السّموات وما في الأرض له، ولكنّه قدَّم له، أو أحياناً يقدِّم لله: للحصر، والقصر؛ له: تفيد الملكية، فهو مالك السّموات، ومالك الأرض، وما فيهنَّ؛ فهو الخالق، والمالك، والحاكم.

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾: إن: نافية أقوىٰ أدوات النّفي؛ أيْ: ما عندكم من سلطان، والسّلطان: هو الحُجَّة القوية الّتي لا تدحض؛ لقوتها، وقد يعني سلطان القهر، والقوة.

﴿مِّن﴾: استغراقية؛ تستغرق كلّ شيء.

﴿بِهَٰذَآ﴾: الباء: للإلصاق، وهذا اسم إشارة للقرب، والهاء: للتنبيه، بهذا الّذي تقولونه: اتخذ الله ولداً؛ أيْ: ليس عندكم لا دليل، ولا برهان، ولا قوة للقول بهذا الباطل، والبهتان.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أتقولون: الهمزة: للاستفهام، للتّوبيخ، والتّقريع. تقولون: تفترون علىٰ الله الكذب، والباطل، وما عندكم من أيِّ سلطان؛ أيْ: دليل وحُجَّةٌ.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: لا: النّافية للجنس. تعلمون: لأنّ كلّ قول لا برهان عليه، ولا حُجَّة، ولا دليل: هو جهل، وليس علماً.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يشير لهؤلاء الّذين قالوا اتخذ الله ولداً.

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق، الكذب: هنا معرفة مُعرف بأل التّعريف، ويشير إلى قولهم: اتخذ الله ولداً؛ فالكذب محدَّد، ولم يقل: يفترون على الله كذباً.

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا: النّافية للجنس. الفلاح: هو الفوز، والنّفع الباقي أثره، ويعني: النجاة من النّار، والفوز بالجنّة.

[٧٠] ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿مَتَٰعٌ﴾: المتاع: هو كلّ ما ينتفع به، أو يتمتع به، ويرغب في اقتنائه الطّعام، والشّراب، وأثاث البيت، والسّلعة الأداة والمال، والمتاع: يطلق على القليل، أو الكثير، وهو متاع زائل.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: في: ظرفية، زمانية، ومكانية.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: مشتقة من الدّنو؛ أيْ: متاع زائل، وفانٍ، وقليل جداً بالنّسبة لمتاع الآخرة.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي الزّمني؛ أيْ: يوم القيامة.

﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور، وتقديمها للحصر، والقصر؛ أيْ: إلينا وحدنا مرجعُهُم.

﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: لكي يتم حسابهم، والحكم، والقضاء فيهم.

﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾: ثمّ: للتوكيد، والتّرتيب الذِّكري.

﴿ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾: الشّديد: صيغة مبالغة شديد الإيلام لا أحد يطيقه.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: الباء: للإلصاق، أو السّببية، أو البدل. ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون، وينكرون الله، ويشركون بالله، ويكفرون: تدل على أنّهم لم يتوبوا، وماتوا وهم على الكفر؛ لأنّ يكفرون بصيغة المضارع؛ تدلّ على التّجدد، والاستمرار.

❖ ❖ ❖

نصف الحزب ٢٢

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم
مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ
أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَاۖ وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

سورة يونس [الآيات ٧١ - ٧٨]

[٧١] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: الواو: استئنافية، اتلُ عليهم، أو أخبرهم، أو اقرأ عليهم، والخطاب موجَّه إلى النّبي ﷺ، أو أفراد أمته. والتّلاوة: هي في الأصل موالاة الكلمات الكلمة بعد الكلمة، واتلُ؛ أي: اقرأ: والتّلاوة أخص من القراءة؛ فكلّ تلاوة قراءة، وليست كلّ قراءة تلاوة. والتّلاوة لا تكون عادة إلّا من كتاب الله تعالى، ولها أجر؛ الحرف بعشر حسنات.

﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾: النّبأ: هو الخبر العظيم؛ أيْ: أخبر قومك خبر نوح العظيم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾: إذ: ظرف زماني للزمن الماضي، وتعني: حين.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾: يا: أداة نداء للبعد، يا قوم: نداء فيه معنى اللّين، والعطف على قومه.

﴿إِن﴾: شرطية، وفيها معنى الاحتمال أن يكون مقامه قد كَبُرَ على قومه.

﴿كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: كان: للتوكيد.

﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: كبر؛ أيْ: عظم، وشق عليكم، أو صعب عليكم ما أدعوكم إليه.

﴿مَقَامِي﴾: مقامي؛ أيْ: طول إقامتي، أو مكثي بينكم، أو طالت دعوتي إليكم (٩٥٠ سنة)، انتبه إلىٰ تشديد الميم، وفتحها مَقامي؛ لأنّ هناك مُقاماً بضم الميم، وهنا مَقامٌ بفتح الميم من دون تشديد، وأمّا الفرق بين هذه الثّلاث فهو:

مَّقام: تعني: المُقام المؤقت؛ سواء أكان الوقوف علىٰ الحجر لبناء الكعبة، أم الدّعوة؛ دعوة قومه المؤقتة، ثمّ تنتهي ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل:٣٩]، ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [البقرة:١٢٥].

بينما مُقام: مكان إقامة دائمة، وسكن؛ مثل: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب:١٣]، ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٦٦].

أما مَقام: فهو المنزلة الرّفيعة، أو الدّرجة الرّفيعة، وقد تعني: الخيرات كقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

﴿وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: وتذكيري لكم بآيات الله، وتشمل الآيات الكونية، أو التنزيلية، أو المعجزات الدّالة علىٰ وحدانية الله، وعظمته. والباء: للإلصاق، والاستمرار.

﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فعلى: الفاء: للتوكيد؛ علىٰ الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة تشير إلىٰ الحصر، أو فقط علىٰ الله وحده توكلت: أعتمد عليه وأطلب منه المساعدة والعون في دعوتي إياكم لتبعدوه وتوحدوه.

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾: أجمعوا: أي: اتفقوا علىٰ رأي واحد؛ اتفقوا معاً. أجمعوا: فيها معنيين: الإجماع، والجمع؛ الجميع اجتمعوا علىٰ رأي واحد؛ أي: اتفقوا.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: الواو: تعني: مع؛ شركاءَكم: رؤساءَكم، أو ذوي الأمر؛

اجتمعوا واتفقوا على رأي واحد، ثمّ ينصح أعدائه بقوله؛ لأنّه واثق من عون الله له.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: ثمّ: للتدرج في التّحدي (الدّرجة الثّانية).

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: غمة: معناها السّتر، والتّغطية؛ أيْ: لا يكن أمركم مكتوماً، أو مستوراً مخفياً، بل أظهروه، واكشفوا ما اتفقتم عليه، أو حكمتم به للملأ.

﴿ثُمَّ﴾: الدّرجة الثّالثة.

﴿اقْضُوا إِلَيَّ﴾: اشرعوا في تنفيذ ما قضيتم (حكمتم به).

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تمهلون (لا تعطوني وقتاً طويلاً، أو مهلة طويلة) نفِّذوا الحكم مباشرة ضدي، ومن دون تأخير، وهذا أقصى التّحدي؛ فإني لست مبالياً بكم، ولم يقل: ولا تنظروني؛ أيْ: تمهلوني، وإنما تنظرون: حذف الياء؛ ليدل على قصر زمن الإمهال.

ولنعلم: أنّ ما ورد في سورة يونس من قصة نوح هو جاء ليظهر موقف التحدي والصراع بينه وبين قومه، ولم يتطرق إلى كيفية كانت دعوته، وطريقته؛ فهذا تراه في سور أخرى؛ مثل: سورة هود، والأعراف، وسورة نوح... وغيرها.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: التولي: الابتعاد، أو أعرضتم عما جئتكم به، ولم تقبلوا دعوتي؛ فلن أسألكم عليه من أجر.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: فما: الفاء: للتوكيد.

﴿سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: من أجر: من: استغراقية؛ للنّفي المطلق، وتفيد التّوكيد، من أيِّ أجر مهما كان نوعه، والأجر: الجزاء على العمل وهو المال، والجمع: أجور، والأجر الّذي يطلبه هو الثّواب من الله، ولا يعني: المال، أو المتاع.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: إن: نافية، وتعني: ما أجري، وإن: أكثر توكيداً للنفي من: ما.

وفي سورة هود قال: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾، الأجر: أعم من المال؛ فهو يشمل المال، وغير المال؛ مثل: التّمر، والزّرع، والحب، أمّا المال: فهو نوع من الأجر، والذي يطمع به نوح، وغيره من الأنبياء: هو الثّواب؛ الّذي هو أفضل من الأجر، والمال.

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: إلا أداة حصر. على الله: وحده.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: وأمرت: من ربي أن أكون من المسلمين، ولم يقل: أوّل المسلمين؛ لأنّ هناك من أسلم قبله لله؛ من المسلمين الموحدين المطيعين المنقادين لأوامر الله، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٦٣) من سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فقد تعني: أول المسلمين من أمة محمد ﷺ، وقد تعني: أول المسلمين درجة، والآية (١٠٤) من سورة يونس، وهي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والإيمان أعلى درجة من الإسلام.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: عاطفة، وهاء الضّمير تعود على قوم نوح الّذين كفروا، ولم يؤمنوا له.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، نجيناه: تعني: عملية النّجاة تمت ببطء (استغرق زمن طويل)، كي يصنع الفلك، ولو قال: فأنجيناه: هذا يدل على أنّ النّجاة تمت بسرعة.

﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾: مَن: استغراقية؛ تشمل كلّ واحد آمن معه، وتشمل الاثنين، أو أكثر، ومن معه، ولم يقل: والذّين معه؛ لأنّ من معه: تدل على قلّة عدد الّذين آمنوا معه، أمّا الّذين معه فتدل على الكثرة، وقيل: كانوا حوالي (٧٠).

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: الفلك: السّفن، وتطلق على المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة يونس، والأنعام، آية (١٦٥)؛ للبيان.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أغرقنا بالطّوفان.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الكونية، والتّنزيلية، والمعجزات، والتّكذيب: نوع من الكفر، ويعني: عدم الإيمان بها، والتّصديق.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: فانظر: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، وبالتّالي إلى أمته؛ أيْ: فانظروا كيف كان مصير المنذرين، وهو الهلاك، والدّمار بأشكاله المختلفة.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنى التّعجب.

﴿كَانَ عَقِبَةُ﴾: من خصائص القرآن الكريم حين يذكر العاقبة فيقول: كان، وليست كانت العاقبة؛ تعني: العذاب.

وحين يؤنث فيقول: كانت عاقبة تعني: الجنّة وهذا من خصائص القرآن الكريم.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّرتيب، والتّراخي.

﴿بَعَثْنَا﴾: البعث؛ يعني: هناك منهج كان موجوداً، ثمّ اندثر؛ فيبعث الله سبحانه من يجدِّده على لسان رسول جديد، والبعث مقارنة بالإرسال فيه إثارة، وتهيج، وأقوى من الإرسال. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد نوح، واستعمال من: بدلاً من قوله: ثمّ بعثنا بعده. من تعني: مباشرة، أو بوقت قليل بعثنا من بعد نوح.

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: أمثال: هود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ولوط.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: فجاؤوا أقوامهم بالبينات؛ الفاء: تدل على التّوكيد.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جمع: بينة؛ وتعني: البرهان، والدّليل، وتعني: الآيات، وفيها المعجزات الدّالة على صدق دعواهم، ورسالاتهم.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب. ما: النّافية.

﴿كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: اللام: للتوكيد؛ ليؤمنوا: ليصدقوا.

﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: الباء: للإلصاق، وما: اسم موصول، أو مصدرية؛

أيْ: فما كانت تلك الأقوام أقوام الأنبياء الّذين أرسلوا بعد نوح ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، بـل كذبوا كتكذيب قوم نوح، وكأنّه سبحانه لم يبعث إليهم أحد، أو ما كانت أقوام الرّسل تؤمن بما كذبت به قبل بعثة الرّسل، بل استمروا على تكذيبهم، وعنادهم، ورفضهم لرسلهم.

﴿كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: أيْ: بالبينات، والآيات.

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: أيْ: كما طبعنا على قلوب هؤلاء الّذين كذبوا رسلهم من قبل نطبع على قلوب المعتدين، فلا يؤمنون، والطّبع أشد من الختم، ويعني: لا يدخل قلوبهم أيُّ إيمان، ولا يخرج من قلوبهم؛ أيُّ كفر؛ لأنّهم هم الّذين اختاروا ذلك لأنفسهم.

لنقارن هذه الآية (٧٤) من سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

مع الآية (١٠١) من سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

في آية يونس: حدَّد ما كذبوا؛ فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾، وتعني: آياتنا (خصص).

أمّا في آية الأعراف: فأطلق، ولم يحدِّد ما نوع ما كذبوا تركها لتشمل كلّ شيء، الآيات وغيرها.

وفي آية يونس قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ مبني للمجهول.

وفي آية الأعراف: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الفاعل معلوم: هو الله، والطّبع في هذه الآية (آية الأعراف) أشد من الطّبع في آية يونس، والكافرين أسوأ من المعتدين.

[٧٥] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للترتيب، والتّراخي في الزّمن.

﴿ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ﴾: من بعد هؤلاء الرّسل. انظر إلىٰ الآية السّابقة.

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾: ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿ مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾: الملأ: هو أشراف القوم، ورؤساؤهم، وسموا بالملأ؛ لأنّهم الّذين يملؤون عيون النّاس؛ أيْ: لا ترىٰ العيون غيرهم دائماً علىٰ التلفزيون، والإذاعة، أو ممثلين للقوم في مجلس النّواب، أو الشّعب، رؤساء العشائر، والقبائل.

﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: بالمعجزات الدّالة علىٰ نبوّة موسىٰ، وهارون، وصدق رسالتهم، والدّالة علىٰ عظمة الله، ووحدانيته، ومنها: العصا، واليد، ومنها: الجدب، والطّوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدّم...

﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾: الفاء: تدل علىٰ التّوكيد، والتّرتيب، والتّعقيب. استكبروا بغير حق؛ استكبروا أن يؤمنوا بالله، ويصدقوا بموسىٰ، وبالغوا في الاستكبار؛ السين والتاء: تدل علىٰ المبالغة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾: كافرين، ومشركين ومجرمين: بالقتل، وسفك الدّماء، واستحياء النّساء. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين.

في هذه الآية (٧٥) من سورة يونس: نرىٰ أنّه سبحانه أخر ذكر الآيات فقال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾، بينما في

الآية (١٠٣) من سورة الأعراف: قدَّم كلمة آياتنا؛ فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾، وتعليل ذلك: في سورة يونس لم يذكر أيَّ شيء عن الآيات، ونوعها، ما هي، فلم تكن هي موضع الاهتمام، بينما في سورة الأعراف: قدَّم ذكر الآيات؛ لأنّ السّياق كان الاهتمام بالآيات؛ لدعوة فرعون، وملئه إلىٰ الإيمان.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: الحقّ: ما جاء به موسىٰ من الآيات.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا﴾: إنّ: للتوكيد، هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب؛ تشير إلىٰ الآيات العصا، واليد... وغيرها.

﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: اللام: لام التّوكيد، سحر مبين: سحر ظاهر لا يخفىٰ علىٰ كلّ إنسان، وسحر مبين: سحر ظاهر، وتام، وكامل يشمل كلّ أنواع السّحر، ولا يحتاج إلىٰ دليل، أو برهان: أنه سحر. ارجع إلىٰ سورة طه، آية (٥٨) وسورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لبيان معنىٰ السّحر.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ﴾:

﴿أَتَقُولُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتوبيخي؛ أيْ: قال موسىٰ منكراً، وموبخاً لهم: أتقولون.

﴿لِلْحَقِّ﴾: اللام: للاختصاص، والتّعليل. الحقّ: هنا الآيات: العصا، واليد... وغيرها.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: أيْ: قال موسىٰ: أتقولون للحق: إنّه لسحر، أو هو سحر، ثمّ قال: أسحر هذا؛ فهو يدعوهم إلىٰ ضرورة النّظر إلىٰ الحقّ بغض النّظر من أين جاء، ومن جاء به.

﴿لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: شبه الحقّ برجل كأنّه يمشي علىٰ قدميه.

﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: الهمزة استفهام إنكاري. هذا: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: الواو: حالية؛ تفيد التّوكيد، ولا: النّافية للجنس؛ يفلح: من الفلاح هو الفوز والنجاة والظفر بالمرغوب.

﴿ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: جمع ساحر؛ أيْ: لا يفوز السّاحر، ولا ينال الخير، أو يدرك ما يتمنّاه.

[٧٨] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: الملأ من قوم فرعون.

﴿أَجِئْتَنَا﴾: استفهام التّهكم؛ أجئتنا؛ أيْ: نسبوا المجيء لموسىٰ عليه السلام نفسه؛ أي: المجيء بالمعجزة العصا، واليد لموسىٰ، وليس إلىٰ الله سبحانه.

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: تصرفنا، وتبعدنا عن تقليد آبائنا، أو تُثنينا، وأصل لتفلتنا: من الالتفات: وهو تحويل الوجه، وصرفه عن شيء ينظر إليه.

﴿عَمَّا﴾: عن: يفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾: أيْ: من التّقليد، وعبادة الأصنام، والفساد، والضّلال.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: السّيادة، والملك في أرض مصر، والكبرياء: العظمة، والملك، والتّجبر، والسّلطان، والسّيطرة: هم وجدوا في دعوة موسىٰ عليه السلام مصيبة كبرىٰ الأولىٰ: هي ترك عقيدة آبائهم، والثّانية خسارة السّلطة، والجاه، والمنصب.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: لذلك أعلن فرعون، وملؤه وقومه؛ لكما: خاصة؛ أي: موسىٰ وهارون.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النّافية.

﴿نَحْنُ﴾: فرعون وبطانة فرعون وملئه أو قومه.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للتوكيد؛ توكيد النّفي بعدم الإيمان إيمان العقيدة الإيمان بالله تعالىٰ، والتّصديق بما جاء به موسىٰ وهارون.

❖❖❖

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ
آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ
وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

سورة يونس [الآيات ٧٩ - ٨٨]

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾: لملئه: ﴿ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: ساحر عليم: صيغة مبالغة من علم؛ أي: كثير العلم بالسّحر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤٩) للتعرف علىٰ من هو فرعون.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ لما: ظرف زماني بمعنىٰ: حين، الفاء: تدل علىٰ مجيء السّحرة مباشرة من دون تباطؤ.

﴿جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: إلىٰ فرعون.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟﴾: أي: اطرحوا، أو ألقوا ما أنتم ملقون، وكان هذا هو القرار بعد المشاورة بينهم: أن يستجيبوا لطلب موسىٰ بأن يلقوا أولاً.

وفي هذه السّورة لم يذكر سبحانه ما جرىٰ من حوار بين السّحرة، وفرعون قبل إلقاء الحبال، والعصي، وبين السّحرة وموسىٰ من سيلقي أولاً، وذكر ذلك في سورة طه، آية (٦٥-٦٦).

[٨١] ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾:

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والترتيب؛ ألقوا حبالهم وعصيهم كما ورد في سورة طه، آية (٦٥-٦٦)، والشعراء، آية (٤٤).

﴿قَالَ مُوسَىٰ ﴾: للسحرة.

﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾: ما: اسم موصول، أو ما: اسم استفهام؛ أي: الّذي جئتم به نوع من السّحر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾: إن: للتوكيد، سيبطله: أمام النّاس، والسّين: للاستقبال القريب؛ أيْ: عما قريب الله سيبطله؛ أيْ: سيظهر بطلانه، أو سيزيله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾: لا: النافية؛ لا يبارك ولا يديم عمل المفسدين.

سمّى السّحرة مفسدين؛ لأنّ السّحر من أسباب الفساد في الأرض، وعملهم يعتبر فساداً؛ أيْ: تخريباً، وشراً في الأرض. المفسدين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: ثبوت الفساد عندهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان في معنى الفساد.

[٨٢] ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾:

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ﴾: أيْ: يظهر، ويبيِّن ويُمكِّن، وينشر الحقّ. والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامره؛ كأمره للعصا أن تتحول إلى حية تسعى تلقف ما يأفكون.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: كره المفسدون، المشركون، الكافرون. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.

[٨٣] ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿فَمَآ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. ما: النّافية.

﴿ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾: أيْ: صدق موسى، أو اتبع موسى بعد الإلقاء، وفوز موسى على السّحرة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: الهاء في قومه: إما تعود إلى ذرية موسى؛ أي: أتباعه، أو تعود إلى ذرية فرعون، أو كلاهما، أما بالنّسبة لذرية فرعون. فالذّرية: تعني القليل من ذرية فرعون، وهي امرأته، ومؤمن آل فرعون، وماشطة فرعون، أو ذرية موسى: وهم أولاد بني إسرائيل الصّغار من آمن بموسى وكتم إيمانه.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾: على خوف، ولم يقل: من خوف.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد الاستعلاء والمشقة بسبب إيمانهم، والخوف: تعريفه هو توقع الضّرر المشكوك في وقوعه.

﴿مِّن﴾: للابتداء. فرعون وملئهم.

﴿وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد. أن يفتنهم بالعذاب، والبطش.

﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾: أيْ: أن يأمر فرعون زبانيته بالقيام بتعذيب هؤلاء الّذين آمنوا بموسىٰ ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾: جاء بصيغة الجمع (ملئهم)؛ لأنّهم خافوا من زبانية فرعون أن يفتنهم بصيغة المفرد؛ لأنّ فرعون هو الّذي يصدر الأوامر إلىٰ زبانيته.

والتّفسير الثّاني: أنّ طائفة من بني إسرائيل، وهم أشراف بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم، وذريتهم من اتباع موسىٰ؛ خوفاً من فرعون عليهم، وعلىٰ أنفسهم أن يفتنهم؛ أيْ: يعذبهم فرعون وملؤُهُ.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: إنّ: للتوكيد. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤٩) لمعرفة من هو فرعون.

﴿لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: اللام: لام الاختصاص، عال في الأرض: متكبر.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لمن: اللام: للتوكيد، والاختصاص. المسرفين: جمع مسرف جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت ثبوت الإسراف عنده.

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لقد أسرف الّذي تجاوز حدوده، وادّعىٰ الألوهية، وقال: أنا ربكم الأعلىٰ، والمسرفين في الظلم، والعدوان، والفساد في الأرض، وقتل الأبرياء.

[٨٤] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ ﴾: نداء فيه عطف، وحنان، ولين. قال موسىٰ هذا القول بعد أن شكا بنو إسرائيل من سوء معاملة قوم فرعون لهم، ومتىٰ يكون الفرج.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك، والاحتمال.

﴿ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾: إيمان العقيدة، والتصديق.

﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾: جواب الشّرط؛ فالتّوكل من متطلبات الإيمان، وهو الاستعانة بالله في كلّ الأمور بعد تقديم الأسباب. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنىٰ التّوكل.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾: جاء بشرط آخر: هو الإسلام، والإسلام هنا؛ يعني: التّوحيد، والطّاعة، والإخلاص، والاستسلام لله وحده.

ملاحظة: إذا جاء جواب شرط بعد جواب شرط آخر، كما ورد في هذه الآية، وورد جوابان لشرط واحد؛ فجواب الشّرط الأخير: هو المقدَّم؛ لأنّ جواب الشّرط الأوّل متضمن في الشّرط الأخير، عادة، فالتّوكل هنا لا ينشأ إلا أن يكون الفرد مؤمناً، ومن البديهي أن يكون مسلماً، قبل أن يكون مؤمناً.

[٨٥] ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾:

بعد أن حثَّهم موسىٰ علىٰ الإيمان.

﴿ فَقَالُواْ ﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب، واستجابة لموسىٰ من دون تأخير.

﴿عَلَى ٱللَّهِ ﴾: تقدَّم الجار والمجرور علىٰ الله يفيد الحصر، والقصر؛ أيْ: حصر وقصر التّوكل علىٰ الله وحده لا غيره؛ أيْ: لا نتوكل إلا علىٰ الله.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أي: اعتمدنا، أو استعنّا بالله. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿رَبَّنَا﴾: أيْ: يا ربنا؛ حذف أداة النّداء الياء؛ لشعورهم بأن الله قريب يسمع دعائهم.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا: النّاهية.

﴿فِتْنَةً﴾: أيْ: لا تعذبنا علىٰ أيدي قوم فرعون، أو تنصرهم علينا، فيفتنوننا؛ أيْ: يردونا إلىٰ الكفر، أو الفتنة، التّقصير في الدِّين، أو يضلونا عن الهدىٰ. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الفتنة.

﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، القوم الظّالمين؛ أيْ: قوم فرعون (الأقباط).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين، الطّاغين.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾: نجنا: من نجّىٰ، ولم يقل: أنجنا، نجنا: تدلّ علىٰ البطء، وطول الزّمن، وأنجنا: تدلّ علىٰ السّرعة، وقصر الزّمن، والشّدة.

﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: الباء: باء السّببية. رحمتك: الرّحمة: هي الإنعام علىٰ المحتاج، وتعني: دفع الضّر، أو الوقاية منه.

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: قوم فرعون، وغيرهم من الكافرين، وهم أشد عصياناً من القوم الظّالمين، الكافرين: تتضمن الظّالمين.

[٨٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الوحي.

وحدث الإيحاء بعد أن خُربت بيوت عبادتهم من قبل فرعون، وجنوده، ومنعوا من الصّلاة، وإقامة شعائر دينهم، وذلك في المرحلة السّابقة؛ لخروجهم من أرض مصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: التّبوُّء: هو اتخاذ المكان مباءَةً؛ أيْ: مرجعاً يبوء؛ أيْ: يرجع إليه الإنسان في كلّ مرة، أو المكان الّذي ينزل به الإنسان، ويسكن فيه، والتّبوُّء: التّوطن في مكان واحد.

﴿لِقَوْمِكُمَا﴾: اللام: لام التّوكيد، قومكما: أيْ: بني إسرائيل.

﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: الباء: للإلصاق، ومصر هنا تعني: مصر أرض مصر القديمة.

﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: أيْ: أمكنة للصلاة، والعبادة؛ أيْ: صلوا فيها خوفاً من فرعون وجنوده، أو اجعلوها مستقبلة القبلة؛ أيْ: متجهة إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أو مقابلة بعضها بعضاً للحراسة، والأمن (أسهل للمراقبة).

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: وإقامة الصّلاة بأركانها، وشروطها، وفي أوقاتها، والمحافظة عليها، والصّلاة أهم الشّعائر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنّصرة، والعون في الدّنيا، وبالجنّة في الآخرة،

والبشارة؛ تعني: الخبر السّار لأوّل مرة. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾:

كان هذا دعاء موسىٰ علىٰ فرعون، وملئه بعد أن تبيَّن له أنّهم مصرون علىٰ الكفر، والجحود، وإنكار الرّسالة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ﴾: إنك: إن: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿ءَاتَيْتَ﴾: الإيتاء: هو العطاء الممكن أن يُستَردُّ من صاحبه؛ أيْ: إيتاء من دون تملك، أمّا العطاء فهو يعني تملك. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿زِينَةً﴾: الزّينة: هي ما يُتزيَّن به من الحلي؛ كالذهب، والفضة، واللباس، والأثاث، والزّخرف، والأموال.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: ليضلوا: اللام: لام التّعليل.

﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: عن دينك، وكيف يقول موسىٰ: آتيت فرعون وملأَه ﴿زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: حقيقة هل أعطاهم الله المال؛ ليضلوا؟! طبعاً لا، ولكن فتنة لهم، وهم الّذين اختاروا الضّلال، وجحدوا النِّعمة، وأضلوا غيرهم، وبذروا تبذيراً.

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: والطّمس: المحق، والإزالة، أو تغير الصّورة؛

لأنّها كانت وسيلة إضلال، والطّمس قد يعني: المسخ، والتّشويه؛ حتّىٰ لا يصح لها قيمة ولا ينتفع بها. قيل: سبائك الذّهب تحولت إلىٰ حجارة.

﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: أيْ: أحكم الأربطة علىٰ قلوبهم؛ أي: اطبع، أو اختم علىٰ قلوبهم؛ فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر.

﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾: قيل: العذاب الأليم: هو الغرق؛ فقد استجاب له ربه، وكان غرق فرعون وجنوده في البحر، وقيل: كان موسىٰ يدعو وهارون يؤمن؛ لقوله بعد ذلك: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩].

وقد يسأل البعض كيف يدعو موسىٰ علىٰ قومه هذا الدّعاء بعدم الهداية، والإيمان، وهو نبيهم، والرّد علىٰ هذا: أنّ موسىٰ عليه السلام لم يدعُ بهذا إلا بعد أن أُوحي إليه أنّه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، كما حدث لنوح عليه السلام أيضاً عندها قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

❖ ❖ ❖

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

سورة يونس [الآيات ٨٩ - ٩٧]

[٨٩] ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

قال تعالىٰ استجابة لدعاء موسىٰ:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: أجيبت دعوة موسىٰ، وهارون؛ حيث كان موسىٰ يدعو وهارون يؤمِّن علىٰ دعاء أخيه، أو يدعو هارون سراً.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: الفاء: للتوكيد، استقيما: علىٰ منهج الدّعوة، والتّبليغ، أو استقيما علىٰ الحقّ، وقيل: كان بين الدّعاء والاستجابة بهلاك فرعون (٤٠ سنة)، كما روىٰ الطبري.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: تتعجلان الاستجابة، ومتىٰ ستقع واتركا أمر التّدبير، ومتىٰ سيتم لله وحده، وحكمته.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قد تعود علىٰ الّذين يستعجلون بالإجابة علىٰ الدّعاء، أو قد تعود علىٰ فرعون، وقومه.

[٩٠] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: جاز المكان، أو جاوزه وتجاوزه، إذا عبر المكان، أو اجتازه حتّىٰ تركه وراءه.

﴿بِبَنِيٓ﴾: أيْ: عبرنا ببني إسرائيل البحر، ببني: الباء: للإلصاق.

﴿ٱلْبَحْرَ﴾: الأحمر.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب مباشرة؛ لحقهم فرعون وجنوده.

﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾: البغي هو أخذ حق الغير بقهر، وقوة؛ أي: الظّلم والقهر، وعدواً عدواناً عليهم.

أيْ: لحقوا بهم للبغي عليهم، والعدوان، والفتك بموسىٰ وهارون وبني إسرائيل الّذين خرجوا معهما، وإعادتهم إلىٰ مصر؛ ليعذبوهم، ويستعبدوهم، كما كانوا يفعلون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾: حتّىٰ: حرف غاية نهاية الغاية، إذا ظرف زماني، أدركه الغرق: فكأن الغرق يجري وراء فرعون ليدركه.

﴿قَالَ﴾: فرعون، ﴿ءَامَنتُ﴾: صدقت (قاله بلسانه)، ﴿أَنَّهُۥ﴾: أن: للتوكيد.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ﴾: لا: النّافية للجنس تنفي كلّ الأزمنة.

﴿إِلَٰهَ﴾: لا معبود.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يشير إلى الله تعالى، ويدلّ على التّعظيم.

﴿ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: رغم أنّ فرعون نطق وقال: آمنت بالّذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

لم يتقبّل الله سبحانه توبته الّتي جاءت متأخرة؛ حيث أدركه الغرق؛ فهي توبة إكراه، وليست توبة خالصة، أو نصوحاً، قالها بسبب الغرق، وبعد نزول العذاب، ولو كان المطلوب هو إيمان إجبار لأجبر سبحانه كلّ الخلق على الإيمان، ولما كفر أحدٌ.

[٩١] ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾:

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾: استفهام إنكاري، وتعجُّب؛ أي: الآن تقول: آمنت حين أدركك الغرق، وبلغت روحك الحلقوم. ارجع إلى الآية (٥١) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿وَقَدۡ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾: قبل الغرق، وطوال عمرك.

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: الضّالين، الكافرين، المضلين، المتكبرين، المسرفين، المفسدين في الأرض بالقتل، والظلم، والطغيان.

[٩٢] ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾:

﴿ فَٱلْيَوْمَ ﴾: وكان يوم عاشوراء؛ كما ذكر الإمام البخاري في صحيحه: أنّ رسول الله ﷺ قال هذا يوم ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون.

﴿نُنَجِّيكَ ﴾: نخرجك من البحر حتّىٰ لا يكون هناك شك في غرقك.

﴿بِبَدَنِكَ ﴾: الباء: للإلصاق، والبدن: جسد بلا روح، ولا نفس.

﴿لِتَكُونَ ﴾: اللام: لام التّعليل. لتكون: أنت.

﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾: لمن بعدك.

﴿ءَايَةً ﴾: عبرة، وموعظة، وعلامة علىٰ هلاكك، وحتّىٰ لا يظن أحد أنّك نجوتَ من عذاب الله. قال ابن عباس ﷺ: بعد غرقه وموته، طفت جثته علىٰ وجه الماء، وقيل: علىٰ نجوة من الأرض، وعليه ملابسه، ودرعه الّتي يعرفونها.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾: وإن: تفيد التّوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: كثيراً من الجن، والإنس.

﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد. والآيات: البينات، والأدلّة، والآيات القرآنية، والكونية، والمعجزات.

﴿لَغَٰفِلُونَ ﴾: اللام: للتوكيد، غافلون: جمع غافل: وهو ترك ذكر الشّيء عمداً، وعدم اليقظة، والتّفكير. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أنزلناهم منزلاً كريماً. ارجع إلىٰ الآية (٨٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: قيل: هو بيت المقدس، أو فلسطين (الأرض المباركة).

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الطيبات: جمع طيب: وهو الحلال الطاهر. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾: الفاء: استئنافية، ما: النّافية.

﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: الاختلاف هنا في بني إسرائيل، كما قال ابن عباس: من كون بعضهم آمن بمحمّد ﷺ، وبعضهم استمر في كفره، وأنكروا رسالته؛ فهم كانوا متفقين غير مختلفين الكلّ ينتظرون قدوم النّبي المنتظر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يحكم بينهم، وبين من آمن بمحمّد، وكفر به من أهل الكتاب.

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في أمر محمّد ﷺ، والإيمان به، أو بأمور الدِّين، والسبت، وأخذهم الرّبا وقد نُهُوا عنه.

﴿فِيمَا﴾: ما: تستعمل للشيء غير المحدَّد؛ لتشمل كلّ اختلاف، وتستعمل للمفرد، والمثنى، والجمع، بعكس الّذي: الّتي تستعمل للشيء المحدد.

[٩٤] ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾:

أولاً: حاشا للنّبي أن يكون من الشّاكين، أو الممترين.

قال ابن عباس ﷺ: لم يكن رسول الله ﷺ في شك، ولم يسأل. قال ﷺ: «لا أشـــك ولا أسأل»، وإن كان الخطاب موجَّهاً للنّبي ﷺ فهو موجَّه إلى كلّ من يشك في القرآن، وأنه الحقّ من ربك، سواء أكان من أتباع محمّد ﷺ، أم غيره.

﴿فَإِن﴾: الفاء: استئنافية. إن: شـــرطية تستعمل للأمور الافتراضية، والّتي فيها شك في الحدوث.

﴿كُنتَ فِي شَكٍّ﴾: الشّك: هو عندما تتساوى درجة الإثبات، ودرجة النّفي.

﴿مِّمَّآ﴾: مركبة من الاستغراقية، وما: تستعمل لذوات ما لا يعقل، وصفات من يعقل، وأوسع من حرف من، وأكثر إبهاماً، شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: أنزلنـــا؛ تعنـــي: جملة واحـــدة، أو دفعة واحـــدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر. الكتاب: القرآن.

﴿إِلَيْكَ﴾: إلى: تفيد عموم الغايات: البداية، الوسطى، النهاية؛ أيْ: لينتهي، أو يصل إلى أيدي النّاس، وعقولهم.

﴿فَسْـَٔلِ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، والإنجيل.

﴿مِن قَبْلِكَ﴾: هم اليهود، والنّصارىٰ، أمثال: عبد الله بن سلام.

﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: لقد: اللام: لام التّوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾: وهو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير، والحق: يشمل القرآن، أو الوحي.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: نون المخاطب، هنا محمّد ﷺ، وبالتالي أمته، وحاشا أن يكون رسول الله ﷺ من الممترين.

﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الممترين: من المراء: هو الجدال بالباطل بعد ظهور الحقّ، جمع ممترٍ: وهو الّذي يجادل بالباطل بعد أن تبيَّن له الحقّ.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ولا: النّاهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: ولم يقل: تكن، وإنما أكّد بزيادة النّون في كلمة تكونن، والخطاب وإن كان موجّهاً إلىٰ رسول الله ﷺ فالمقصود به أمته، وكلّ من يكذب بآيات الله (القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات، والبينات الدالة علىٰ عظمة الله ووحدانيته).

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: التّكذيب أقل درجة من الكفر، وحدد الكذب هنا بآيات الله، ولم يطلق الكذب ليشمل كلّ شيء.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: في الدّنيا، والآخرة؛ الخاسرين لأنفسهم، وربما لأهليهم.

وفي هذه الآية حثٌّ على التّثبيت والعصمة، وعلى سبيل الإنذار.

[٩٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وجبت وثبتت: حقت، جاءت بصيغة تدل على أنها وقعت رغم أنّها ستكون في المستقبل، والزّمن كله واحد عند الله: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لأنّه خالق الزّمن، والمكان.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قيل هي:

١ - أنّهم أصحاب النّار.

٢ - وقد تكون: لأملأن جهنم من الجِنة، والنّاس أجمعين.

٣ - وقد تكون كلمة العذاب.

٤ - وقد تكون كلمة ربك: أنّهم لا يؤمنون.

﴿حَقَّتْ﴾: ثبتت، ووجبت على الّذين كفروا، وعلى الّذين سبقوا؛ لأنّهم هم اختاروا ذلك، وما حقت عليهم بقهر، وجبروت، أو بالظّلم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النّافية؛ تنفي كلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله، وآياته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر.

وتقدير الحقّ سبحانه على أنّهم لا يؤمنون نابع من علمه الأزلي بحالهم، أنهم سيختارون طريق الكفر، ويموتون وهم على الكفر.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾: أيْ: مجيء الآيات، وتكرارها لن يفيدَهم، أو يهديهم إلى الإيمان.

﴿ءَايَةٍ﴾: بينة، أو دليل، أو برهان، أو آية قرآنية، أو كونية، أو معجزة؛ لأنّ الله سبحانه يعلم ذلك علماً أزلياً، ولم يفرض عليهم أن يؤمنوا.

فهم سيستمرون على كفرهم، وسيموتون وهم كافرون، ومن دون توبة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، ونهاية الغاية؛ أيْ: إلى حين يرون العذاب.

﴿يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: عندها يؤمنون، ولكن إيمانهم هذا لن ينفعهم آنذاك، وفي ذلك المكان.

❖ ❖ ❖

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

سورة يونس [الآيات ٩٨ - ١٠٦]

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: عاطفة؛ لولا: أداة حضٍّ، وحثٍّ، وفيها معنىٰ: النّفي، والتّوبيخ.

﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾: يعني: أهل قرية، والقرية تعني: الأهل، والمساكن، قرية ما: نكرة من القرىٰ الّتي أُهلكت، واستؤصلت.

﴿ءَامَنَتْ﴾: قبل معاينة العذاب، أو مجيء بشائر العذاب، ولم تؤخر إيمانها إلىٰ حين معاينة، أو بدء وقوعه؛ لأنّه عندها لن ينفعها إيمانها لم تكن آمنت من قبل؛ أيْ: لن يقبل الله إيمانها، ولن يبدّل، أو يحوّل العذاب؛ فقد وقع القول عليهم؛ لأن القانون السّماوي، وهو سنة الله في أنَّ أيَّ قرية لا تؤمن إلّا حين نزول العذاب فلن تنتفع بإيمانها آنذاك.

واستثنىٰ من كلّ القرىٰ الّتي هلكت: قرية يونس عليه السلام، قرية نينوىٰ في شمال العراق، أو قوم يونس فهم آمنوا قبل أن يأتيهم العذاب؛ فكشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا بعد أن تابوا بصدق، وندموا، وبعد أن تركهم يونس مغاضباً؛ أيْ: بعد أن أغضبوه، وقبل أن يؤمنوا؛ فتركهم من دون أمر إلهي، وأبق إلىٰ الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين، وسنرىٰ هذه القصة كاملة في سورة الأنبياء.

وبعد أن نبذه الله بالعراء، وأنبت عليه شجرة من يقطين، ثمّ أرسله إلىٰ قومه الّذين آمنوا، وكانوا يزيدون علىٰ مئة ألف؛ فآمنوا.

﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلىٰ أن جاء أجلهم.

﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية، عموم الغايات.

أما لو قال: حتّىٰ حين؛ لكان يعني: نهاية الغاية موعد موتهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿شَآءَ رَبُّكَ﴾: المشيئة: هي تسبق الإرادة.

ولو شاء ربك: مشيئة قسر، وإكراه؛ لفعل ذلك، ولآمن كلّ من في الأرض جميعاً، ولكنه سبحانه لم يشأْ، ولم يجبر إنسان علىٰ الإيمان.

﴿لَءَامَنَ مَن﴾: اللام: للتوكيد؛ مَن: للمفرد، والجمع. مَن هنا: استغراقية؛ تستغرق كلّ إنسان، أو تشمل الجنس كلَّه.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في: ظرفية مكانية، ولم يقل: علىٰ الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوي المحيط بالأرض يعتبر تابعاً إلىٰ الأرض.

﴿كُلُّهُمْ﴾: توكيد.

﴿جَمِيعًا﴾: لزيادة التّوكيد. إذن كلهم جميعاً: تأكيدان؛ لا يبقىٰ معه أيُّ ريب.

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وفيه معنىٰ النفي، والتعجب.

﴿تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: وذلك لشدّة حرص رسول الله ﷺ على إيمان كلّ إنسان.

﴿أَفَأَنتَ﴾: نكرة: تجبر، وتقديم ضمير أنت يدلّ على عدم حصول الإكراه، وتقدير الكلام الّذي يقدر على إكراه؛ هو الله لا أنت.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: وقد قال سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ لأن الله سبحانه يريد إيمان اختيار، ومحبة، وليس إيمان إكراه، وقسر.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية. كان: ما كان لنفس القدرة، والاستطاعة أن تؤمن.

﴿لِنَفْسٍ﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿أَن﴾: مصدرية؛ تفيد الاستقبال.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بمشيئة الله وإرادته. والإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، وتكون للعمل الذي ليس لنا فيه أي تدخل أو يد.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: الرّجس في اللغة: اسم لكلّ ما استقذر من عمل حسياً، أو معنوياً، ويطلق على ما يُستقبح في الشرع؛ فيها مبالغة في ذمّ بعض الأشياء، وسمّاها الله سبحانه: رجساً. وبما أن فعل الرجس يؤدي إلى الإثم

والذنب والضلال، وهذا بدوره يؤدي إلىٰ العذاب؛ فالرجس قد يعني: العذاب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان في معنىٰ الرجس.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: لا يعقلون: الحجج، والدلائل، ومن يعقل الشّيء يعرفه بدليله، ويفهمه بأسبابه، ونتائجه. أمثلة لا يعقلون: أن الهداية، والإيمان بيد الله، ولا شيء يحدث إلا بإذنه؛ ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين، أو الظالمين، أو الفاسقين.

[١٠١] ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾:

بعد أن بيَّن الله سبحانه: أن الإيمان الّذي يدعو إليه سبحانه هو الإيمان الاختياري، وليس القسري، ومع ذلك لا يحصل الإيمان الاختياري إلا بمشيئة الله، وبإذنه.

وما علىٰ البشر إلّا أن ينظروا إلىٰ ما حولهم في هذا الكون، وما في السّموات، والأرض من الآيات، والدلائل الّتي تشير إلىٰ وحدانية الله، وعظمته وقدرته، والتي تدعو إلىٰ الإيمان بالخالق، وعبوديته؛ فيقول سبحانه:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾: نظرة تفكر، واعتبار، نظرة بصرية، وقلبية معاً.

﴿مَاذَا﴾: أداة استفهام؛ تفيد المبالغة في الاستفهام بدلاً من قوله: ما في السّموات والأرض، ماذا في السّموات والأرض.

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: من الآيات الكونية: من النّجوم، والمجرات، والأقمار، والشموس، ودورانها، وحركتها.

والأرض وما فيها: من الجبال الراسيات، والأنهار، والبحار، والنباتات، والأشجار، والحيوانات.

﴿وَمَا تُغْنِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾: وما: استفهامية؛ تفيد النّفي.

﴿الْآيَاتُ﴾: الكونية، والقرآنية، والمعجزات، والدّلائل، والبراهين.

﴿وَالنُّذُرُ﴾: جمع نذير: الرُّسُل. والنذر: مصدر لفعل أنذر.

﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: الجواب: لا تغني شيئاً، ولا فائدة منها لهؤلاء القوم، أو نعم؛ ما تغني شيئاً، ولا فائدة منها.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾:

الخطاب موجَّه إلى كل الذين لا يؤمنون، والضّالين المكذبين بآيات الله بما فيهم مشركو مكة.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: للتوكيد. هل: استفهام؛ بمعنى: النّفي المشرب بالتّعجب، والاستنكار.

﴿يَنتَظِرُونَ﴾: أيْ: يتوقعون أن يحدث لهم أو يصبهم إلا مثل ما أصاب غيرهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِثْلَ أَيَّامِ﴾: وقائع، أو مصائب.

﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾: أيْ: سبقوهم، ومضوا؛ مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وشعيب؛ أيْ: ننجي رسلنا والذّين آمنوا، ونهلك المكذبين.

﴿مِثْلَ أَيَّامِ﴾: العرب تسمِّي، أو تقصد باليوم: الحدث البارز الّذي حدث

فيه؛ مثل: يوم حنين، ويوم بُعاث، ويوم الخندق، ورغم أنّ اليوم هو ظرف زمني، ولكن يقصد به الحدث الّذي كان في مثل هذا اليوم في السّنين الماضية.

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: الفاء: للتوكيد. انتظروا: ما سيحل بكم، أو انتظروا عذاب الله وعقابه، وفيه تهديد، ووعيد.

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: ولم يقل: وأنا؛ إني: آكد من أنا؛ أيْ: أنا بكلّ توكيد سأنتظر معكم.

﴿ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: المنتظرين لذلك اليوم.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي الزمني.

﴿نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: والذّين آمنوا، ولم يقل: والذّين آمنوا معهم؛ لأنّ الرّسل قد ينقطع إرسالهم، والذّين آمنوا فيمتد إرسالهم إلىٰ يوم القيامة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: مثل ما أنجينا، أو نجينا رسلنا السّابقين، ومن آمن؛ ننجي من يأتي بعدهم من الّذين آمنوا.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: حقاً: من الحقّ، والحقّ: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير؛ أيْ: كتبنا، أو الأمر الثّابت.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: عبّر بصيغة المضارع بدلاً من الماضي؛ لاستحضار صورة نجاتهم من العذاب كأنّها تحدث الآن (حكاية الحال) وننجي: من أنجىٰ؛ تدل علىٰ القصر في الزمن.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿ٱلنَّاسُ﴾: الثقلين: الإنس، والجن.

﴿إِن﴾: شرطية للأمور الافتراضية، والنّادرة؛ بعكس إذا: للأمور الحتمية، والكثيرة الحدوث.

﴿فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾: الإسلام؛ هل هو حق أم باطل؟ والشّك حين تتساوىٰ كفتي النّفي والإثبات.

﴿مِّن دِينِى﴾: من: ابتدائية.

﴿فَلَآ﴾: الفاء: للتأكيد؛ لا: النّافية لكلّ الأزمنة، وللجنس.

﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الأصنام، أو الشّركاء.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَلَٰكِنْ﴾: للاستدراك، والتّوكيد.

﴿أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: الّذي: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: وصفه بالتوفي؛ لأنّ التوفي لا يشك فيه أحدٌ، وهو الأمر المخيف، والمرعب الّذي لا مراء فيه، ولا شك، وفيه تهديد بـ(يتوفاكم)؛ حيث يأمر ملك الموت بقبض أرواحكم؛ فهو الّذي يجب أن يخاف، ويُتّقىٰ.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ولم يقل: وأمرت أن أكون من المسلمين؛ لأنّ السّياق في الآيات السّابقة في سياق الإيمان.

[١٠٥] ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: الخطاب موجّه إلى النّبي ﷺ، وإلى كلّ فرد من أمته.

وإقامة الوجه يعني: الذّات (مجاز مرسل)، وإقامة الوجه تعني: التّوحيد، والإنابة، وإقامة الصّلاة، والتّقوى، والاستقامة على الصّراط المستقيم، والإخلاص.

﴿لِلدِّينِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً بعيداً عن كلّ الملل، والخرافات، والمذاهب، والبدع.

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: لزيادة التّوكيد.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية، استغراقية.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: جمع مشرك: من اتخذ مع الله إلهاً آخر، أو أكثر.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: النّاهية.

﴿تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تعبد، أو تطلب العون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مَا﴾: لغير العقلاء، ولصفات العقلاء، وما: أوسع من: الّذي، وتعني: الشركاء من الأصنام، والأوثان، أو الكواكب، أو الأولياء، وعيسى، وعزير، والملائكة.

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾: ما: النّافية.

﴿يَنفَعُكَ﴾: إن أطعته، ولا يضُرُّك إن عصيته.

وتكرار لا: تفيد تأكيد النفي؛ نفي النفع، ونفي الضّر، ونفي كلاهما.

﴿فَإِن﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية؛ أيْ: فإن عبدت، أو دعوت غير الله سبحانه.

﴿فَعَلْتَ فَإِنَّكَ﴾: إذن من الظالمين. إنك: تفيد التّوكيد.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب.

﴿مِّنَ﴾: ابتدائية.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم بالشّرك. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

وقدّم النّفع على الضّر في هذه الآية؛ لأن سياق الآيات في الإيمان، والإيمان نفع للعبد؛ لأنّه يوصله إلى الجنّة، ورضوان الله.

❖ ❖ ❖

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ | آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

سورة يونس [الآيات ١٠٧ - ١٠٩]

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه النّهي عن عبادة الأوثان، وأنّها لا تنفع، ولا تضر يُذكر سبحانه أنّ الله عز وجل هو الضّار، وهو النّافع وحده.

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه، أو النّادر الحدوث.

﴿يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾: من المسّ، وهو الاتصال الخفيف اليسير؛ مجرد تماس شيء بشيء من دون إحساس بالشّيء.

﴿بِضُرٍّ﴾: الباء: للإلصاق، ضر بكره؛ أيْ: ضر مثل ألم الفقر، والمرض، وعدم الأمن، والفاقة.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّافية للجنس.

﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾: كاشف: مزيل له، أو رافع له.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، وتعود على الله سبحانه.

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾: وإن مثل: وإن يمسسك.

﴿يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾: أيْ: في المستقبل يردك بخير؛ مثل: الغنى، والصحة، والأمن، والرخاء، والعافية، والسكينة.

﴿بِخَيْرٍ﴾: الخير تعريفه: هو الحلال، الطّيب، النّافع، الحسن.

﴿فَلَا﴾: مثل الأولى.

﴿رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: لا دافع لفضله، أو مانع لفضله أحدٌ، أو لا رادّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه.

﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ﴾: وهو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: الغفور: صيغة مبالغة من الغفر؛ كثير الغفر؛ أيْ: لمن تاب، ولو كان ذنباً عظيماً؛ مثل الشرك؛ فإنه يتوب عليه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: على وزن فعيل؛ صيغة مبالغة من الرحمة؛ كثير الرحمة لعباده المؤمنين.

لمقارنة هذه الآية، مع الآية (١٧) من سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى سورة الأنعام؛ لمعرفة الفرق بينهما.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٤).

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: القرآن العظيم، وهو الحقّ؛ أي: الّذي لن يتغيَّر، أو يتبدَّل، أو الإسلام.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية؛ تفيد الابتداء.

﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: اختار طريق الإيمان، والإسلام، واتبع منهج الله، اهتدى إلى الحقّ.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط، إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَهْتَدِى﴾: فعل مضارع؛ يدلّ على التّجدد، والتّكرار، والاستمرار.

﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: أيْ: ثواب الاهتداء، والنفع من جراء الاهتداء يعود به على نفسه بشكلٍ مستمر. اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق؛ فالاهتداء لصالح نفسه.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: مثل: فمن اهتدىٰ؛ فإنما يهتدي لنفسه.

وهناك فرق بين لنفسه، ويضل عليها؛ استعمل عليها (علىٰ تعني: الاستعلاء، والشدة)؛ أيْ: عاقبة الضّلال تقع علىٰ نفسه وليس لصالح نفسه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: ما: النّافية؛ أيْ: ما أنا الموكل إلىٰ أمركم، أو المتولي بتدبير شؤونكم، أو المحامي، أو المدافع عنكم الّذي يمنع عنكم العذاب، أو الهلاك.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

[١٠٩] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾:

﴿وَٱتَّبِعْ﴾: ما أنزل عليك، وأوحاه الله إليك، وتمسك به؛ بالامتثال، والتّبليغ. ولمعرفة معنىٰ الوحي: ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿مَا﴾: تشمل كلّ ما أوحىٰ الله إليك.

﴿وَٱصْبِرْ﴾: علىٰ دعوتك، وعلىٰ أذىٰ قومك، وعلىٰ ما أصابك. والأمر بالصبر: يدلّ علىٰ أن هناك عقباتٍ كثيرةً قادمةً، واصبر حتّىٰ تكون قدوة لغيرك من الدعاة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ حتّىٰ نهاية الدّعوة، أو حتّىٰ يأتيك اليقين؛ أي: الموت.

أو ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾: يفصل الله بينك وبينهم بالنّصر، والظّفر، أو يُظهر دينه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أحكم الحاكمين؛ أحكم من حكم؛ أيْ: له الحكم، والأمر، والقول، والفصل؛ يحكم، ويقضي، ويفصل بين العباد، والأمم، والحق، والباطل، وهو خير وأفضل من حكم؛ لأنّه سبحانه يعلم الظواهر، والسرائر، وما يفعله خلقه، وأحكم من الحكمة؛ أيْ: أنت أحكم الحكماء.

❖ ❖ ❖

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

سورة هود [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١١)، وترتيبها في النّزول (٥٢) نزلت بعد سورة يونس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾:

﴿الٓرۚ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: كتاب: هو القرآن، كتاب: التنكير للتفخيم، والتعظيم.

﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: آياته محكمة، متقنة؛ أيْ: نظمت آياته بشكل محكم:

١ - محكمة لا تناقض فيها، ولا خلل، ولا لبس.

٢ - ومحكمة غير متشابهة؛ فلا تحتاج إلىٰ تأويل.

٣ - ومحكمة موجزة غير مفصلة.

٤ - محكمة في النّظم، والبلاغة.

٥ - محكمة غير منسوخة.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾: ثمّ: هنا ليست للترتيب، والتّراخي في الزّمن، وإنما تعني: الحال؛ فمعنىٰ كتاب أحكمت آياته، ثمّ؛ أيْ: في الحال (في نفس الوقت) فصلت آياته علىٰ أحسن التفصيل، أو تعني: التّرتيب في الذّكر؛ أي: التّرتيب التّسلسلي؛ أيْ: بالتّعاقب، أحكمت، ثمّ فصلت. فصلت آياته أدق التّفاصيل في اللفظ،

والمعنى، أو فصلت؛ تعني: فسرت، ووضحت، أو فصلت بالحلال، والحرام، والثّواب، والعقاب، والوعد، والوعيد.

﴿مِن لَّدُنْ﴾: من الابتدائية.

﴿لَّدُنْ﴾: ظرف مكان، أو زمان؛ بمعنى عند، ولم يقل: من عند؛ لأنّ لدن أبلغ من كلمة عند، وأقرب، ولدن: مشتقة، أو مأخوذة من اللدانة، أو اللدونة؛ أي: الليونة، أو التّلدن معناها التّمكث، أو التّريث الدّال على الحكمة في صياغة الآيات.

﴿حَكِيمٍ﴾: تعني: الحاكم، الحاكم لخلقه، وكَوْنِهِ؛ أيْ: أعدل، وأقسط الحكام، والقضاة، أو الحاكم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في خلقه، وشرعه، وكونه، والحكمة: من معانيها إحسان القول، والعمل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد بيان في معنى حكيم.

﴿خَبِيرٍ﴾: الّذي يعلم بواطن الأمور، والأسرار، وما تخفي الصدور.

[٢] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن: المصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد، ولا: النّاهية، أو النّافية.

﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾: من العبادة، والعبادة: لا تكون إلا للخالق، وهي الخضوع للمعبود، وطاعته فيما أمر، أو نهى عنه، ولا تكون إلّا مع العلم، والمعرفة بالمعبود، والعبادة تشمل كلّ قول طيب، وعمل صالح، ولها جزاء.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إلا: أداة حصر، وبهذا ننفي العبادة لغير الله ﷻ.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: فيها نفي: أن هناك إلهاً غير الله، وإثبات الألوهية لله وحده.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾: إننـــي: فيها توكيد بزيادة النّـــون، مقارنة بقوله: إني؛ ليؤكد قوله: إنني لكم.

﴿مِّنْهُ﴾: من الحكيم الخبير؛ مرسل إليكم نذير وبشير.

﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: نذير للعاصين، وبشير للطائعين. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لبيان البشارة، والنذارة.

وقدَّم النّذير علىٰ البشـــير؛ لأنّ جوَّ السّورة، والسّمة فيها هي الإنذار؛ لأنّها تتحدَّث عن أقوام أُهلكوا مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط. وعن يوم القيامة، وقد يكون تقديم الإنذار لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

وهذه الآية تبيِّن: أن رســـول الله ﷺ نذير وبشير، وفي سورة فصلت، آية (٤) تبيِّن أن القرآن كذلك بشـــير ونذيـــر: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾:

﴿وَأَنِ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: من الكفر، والشّرك، والمعاصي، او الذّنوب، استغفروا ربكم: اطلبوا منه المغفرة، والغفر: هو السّتر والعفو.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: ثم: تفيد التّدرج التّسلسلي، أو التّعاقب، ولا تفيد التّرتيب، والتّراخي في الزّمن؛ لأنّ التّوبة مطلوبة مباشرة، والتّوبة تعني: الإقلاع عن الذّنب،

وعدم الرّجوع إليه، والنّدم عليه، والإكثار من العمل الصّالح، والنّوافل، وإعادة الحق إلىٰ صاحبه، وهناك توبة الإنابة من دون ارتكاب الذّنب، وهناك التّوبة من الذّنب.

وقدم الاستغفار علىٰ التوبة؛ لأن الاستغفار يعني: الاعتراف بالذنب أولاً.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: المتاع: هو ما ينتفع به، وما يُتمتع به، ويطلق علىٰ القليل، والكثير؛ مثل: السّعة في العيش، والرّزق، والطّعام، والشّراب، والمسكن، والملبس، والأداة، والسّلعة. المتاع الحسن: الطّيب الحلال.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الموت، مسمًّىٰ محدَّد لا يتبدل، مسمًّىٰ في اللوح المحفوظ، أو أم الكتاب، والأجل: هو الوقت المضروب لانقضاء الشّيء، وأجل الإنسان: هو الوقت المضروب لانتهاء حياته.

أمّا العمر: وهو الأجل، ولكن يمكن أن يزداد، أو ينقص إذا شاء الله، وهذا يدل عليه قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١]. ارجع إلىٰ سورة فاطر؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾: ويؤتِ: من الإيتاء: وهو العطاء الّذي ليس فيه تملك؛ بينما العطاء فيه تملك، والإيتاء: أعمّ؛ يشمل: الأشياء الحسية، وغير الحسية. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

ويؤت؛ أي: الله سبحانه كلّ ذي فضل فضله، يؤت: كلّ عامل، أو مؤمن، أو محسن ثواب، أو أجر عمله، أو إحسانه.

﴿ذِى فَضْلٍ﴾: صاحب فضل، والفضل: هو الزّيادة علىٰ الأجر المستحق. ارجع إلىٰ الآية (٢٦٨) من سورة البقرة؛ لبيان الفضل.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: أصلها: وإن تتولوا؛ إن: شرطية؛ تستعمل في الأمر المحتمل

حدوثه. وإن تولوا: تعرضوا عن الإيمان، أو تبتعدوا عنه، أو تتهاونوا في العبادة، وتقصروا في طاعة الله؛ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير.

وهناك فرق بين تولوا، وتتولوا:

تولوا: تستعمل في قلة التّولي عن الإيمان، وطاعة الله، كما يحدث لبعض المؤمنين.

أمـا تتولوا: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ الآية (٥٢) من نفس السـورة؛ فتدلّ علىٰ كثرة التّولي، والإعراض، كما يحـدث في تولي الكفرة، أو شدة التّولي.

﴿فَإِنِّيٓ﴾: الفاء: للتوكيد، إني: لزيادة التّوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: الخوف: وهو توقع الضّرر مع الشّك بوقوعه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: كبيـر وصف لليـوم، ويوم كبير: يـوم القيامة، ونكَّرهُ؛ للتّهويل، والاسـتعداد له، كبير في أحداثه؛ حيث تضـع كلّ ذات حمل حملها، وترىٰ النّاس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ... وغيرها من الأحداث الجسام.

[٤] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ﴾: إلىٰ: جار ومجرور، ولفـظ الجلالة: تقديمه في الآية؛ ليدلّ علـىٰ الحصر؛ فقط إلىٰ الله وحـده مرجعكم لا إلىٰ غيـره، بالموت، ثمّ بالبعث، والحشر.

ولـم يقل جميعاً كما قال تعالىٰ في الآية (١٠٥) من سـورة المائدة، وهي قولـه تعالـىٰ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ المخاطـب في آية المائـدة المؤمنين والكافرين؛ جميعاً: أيضاً تستعمل إذا كان السّياق، أو المخاطب طوائف مختلفة،

أقوام مختلفة، يهود، نصارىٰ، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بدون جميعاً تعني: المخاطب جهة واحدة، أو فئة معينة من النّاس، أو طائفة واحدة هي طائفة المسلمين.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: شيء: نكرة؛ تعني: قدير علىٰ أيِّ شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وصفته، ولا يعجزه أيُّ شيء في السّموات، ولا في الأرض.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة من قادر. ارجع إلىٰ سورة التغابن، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

[٥] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿أَلَآ﴾: أداة استفتاح، وتنبيه، وإيقاظ من هو غافل؛ لئلا يفوته ما سُيذكر من الآيات.

﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾: يثنون: من ثنىٰ الثّوب؛ أيْ: طواه عدَّة مرات ربما ليُخفي ما فيه من عيب؛ قد تعني: يخفون ما في صدورهم من العداوة، والحقد للنّبيّ ﷺ، ويظهرون له المحبة والمودة، أو ينحرفون، ويعرضون بصدورهم حين يمرون برسول الله ﷺ، ويحاولون أن يتواروا عنه خوفاً من أن يدعوهم للإيمان، أو الإسلام.

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾: اللام: للتّعليل؛ أيْ: يريدون الخفاء.

أيْ: من الله تعالىٰ، أو تعود علىٰ الرّسول ﷺ.

﴿أَلَا﴾: أداة للتّنبيه.

﴿حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: الثياب: المتنوعة التي تغطي البدن كله، وهي الخارجية، أما ما يغطي العورة والجسم مباشرة تسمى اللباس؛ أي: حين يبالغون في الاستخفاء كالّذي يستغشي ثيابه؛ أيْ: يتغطّى بها حتّى لا يظهر منه شيء.

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: الإسرار يكون في النّفس، والإخفاء أشد من الإسرار (يعلم السّر وأخفى)، وتكرار ما يفيد التّوكيد؛ أيْ: يعلم كلَ ما يسرون على حِدَةٍ، وما يعلنون على حِدَةٍ، أو كلاهما.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم كثير العلم.

﴿بِذَاتِ﴾: ذات تفيد الصّحبة.

﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: الأمور المصاحبة للصدور، أو السّاكنة فيها. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا
وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ
عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ
إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ
مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨
وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢

سورة هود [الآيات ٦ - ١٢]

[٦] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَمَا مِن﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية؛ من: استغراقية تشمل كلّ دابة بلا استثناء؛ من: للمفرد، والجمع.

﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وقيل: دابّة: هو كلّ ما دبّ على الأرض (شيء) من إنسان، وحيوان، وقيل: دابة اسم فاعل، ويغلب على غير العاقل. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة، وهل تشمل الإنسان أم لا.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ولم يقل: على الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوي حول الأرض يعتبر من الأرض، فكلمة في الأرض تشمل على الأرض، وفي باطن الأرض.

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: إلّا: أداة حصر.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: يدلّ على الحصر من دون استثناء؛ أيْ: أنّ الله هو الرّزاق لا غيره.

﴿رِزْقُهَا﴾: من طعام، وشراب.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: المستقر: اسم مفعول يدلّ على اسم مكان، واسم زمان يعلم زمن استقرارها، ومكانها، وقيل: يعلم مستقرَّها قبل أن تأتي الأرض، أو أين تستقر في الأرض، أين تعيش، وتسكن، وقيل: المستقر؛ يعني: في الأصلاب، أو في الأرحام قبل أن تولد.

﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: مكان موتها، وفنائها، أين ستموت، وتهلك، وتتحلل أجزائها (أيْ: أين تدفن)، أو بالعكس.

مستودعها: قد يعني: قبل مجيئها إلىٰ الأرض، والزمن، ومستقرها: بعد أن تستقر علىٰ الأرض؛ أين، ومتىٰ إلىٰ أن تموت، وبعد موتها مكاناً وزماناً.

﴿كُلٌّ﴾: تشمل كلّ دابّة، والرّزق، والمستودع، والمستقر.

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: الكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ؛ مدوَّن في اللوح المحفوظ، ومدوَّن في السّطور. المبين: الواضح، ظاهر لكلّ ملك من الملائكة، ولكلّ من يقرؤه بفهم وتدبُّر، والمبين: المظهر لنفسه، ولكلّ شيء يحتاج معرفته.

[٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: هو: ضمير فصل تفيد التّوكيد، والحصر، الّذي: اسم موصول؛ يفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: وقد بيَّن كيفية هذا الخلق في سورة الأنبياء، آية (٣٠)، وفي سورة فصلت، الآية (٩-١٢)، وسورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩).

ولماذا لم يتم الخلق بكلمة (كن) ؟

لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قد تكون للدّلالة علىٰ عظمة وطلاقة قدرته سبحانه، ولكي يُمكن الإنسان

من اكتشاف الحقائق العلمية، واستخدامها كآيات دالة على وجود، وعظمة الخالق، والقدرة على إعمار الأرض، والعيش عليها.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: قبل خلق السّموات، والأرض.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: يندرج تحت الإيمان بالغيب، والخوض في كيف كان عرشه على الماء، لا يأتي بثمرة، بل نؤمن به، كما أخبرنا سبحانه وتعالى، وعلّمنا سبحانه: أنّ العرش أعظم من خلق السّموات، والأرض، وخلق السّموات، والأرض أعظم من خلق النّاس، وما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة. رواه أبو ذر الغفاري. أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فهو صاحب العرش؛ أي: المالك، والحاكم.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: اللام: لام التّعليل، خلق السّموات والأرض لكم؛ لكي تتمكنوا من العيش في الأرض، وبالتّالي ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولكي يبلوكم لا بُدَّ من إيجاد كوكب تستطيعوا العيش فيه، و﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧]، والله سبحانه ليس بحاجة أن يختبر، أو يبتلي عباده؛ فهو سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة الابتلاء، وهذا الابتلاء ليبيِّن لهم أنفسهم نتيجة ابتلائهم.

﴿وَلَئِن﴾: الواو: استئنافية؛ لئن: اللام: لام التّوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والنّدرة.

﴿قُلْتَ﴾: يا محمّد ﷺ لأولئك الكافرين المنكرين للبعث والحساب أنكم:

﴿مَبْعُوثُونَ﴾: أيْ: ستبعثون من بعد الموت، وستحاسبون على أعمالكم.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: لام التّوكيد، وكذلك نون النّسوة زيادة في التّوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الكفر.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من: ما؛ أيْ: ما هذا.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب، وتعني: هذا الّذي تقوله.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر: مجرَّد تخيُّل وحيل، وليس حقيقة.

﴿مُّبِينٌ﴾: سحر ظاهر لكلّ إنسان، وسحر مظهر لنفسه لا يحتاج إلى أحد أن يبرهن، أو يدلل أنّه سحر.

ووصفوه بالسّحر؛ لأنّهم رأوا تأثيره القوي في الأنفس، أو كونه غريباً خارقاً للعادة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٢)، وطه، آية (٥٨)؛ للبيان.

[٨] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٧).

﴿أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: أجلنا عنهم العذاب، ولم نعاقبهم، ولم نستأصلهم مباشرة، ونُهلكهم، وأخّرنا عنهم العذاب.

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: الأمة تعني: الحين، أو فترة من الزّمن.

﴿مَّعْدُودَةٍ﴾: تفيد القلّة، وتعني: محدَّدة معلومة؛ أيْ: إلى أجل معلوم.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: للتوكيد. يقولن: والنّون في يقولن؛ لزيادة التّوكيد.

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما: اسم استفهام؛ يحبسه؛ أيْ: ما يمنع نزوله كأنهم يكذِّبونه، ويستبعدون نزوله بهم، أو يستهزئون به.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه، وتوكيد.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: أيْ: ليس منصرفاً عنهم؛ أيْ: لا ينقطع، أو يهدأ، أو يتوقف، أو يخفُّ.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أيْ: نزل وأحاط بهم من كلّ جانب، حاق: فعل ماض؛ أي: اعتبره وقع، وحصل رغم أنّه قادم في المستقبل؛ لأنّ الزّمن الماضي، والحاضر، والمستقبل كلّها متساوية عند الله؛ لأنّه هو خالق الزّمن. ارجع إلىٰ سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد السّببية؛ أيْ: بسبب، أو بدل ما كانوا به يستهزئون؛ بسبب استهزائهم بالعذاب، وعدم تصديقهم بوقوعه.

[٩] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧).

﴿أَذَقْنَا﴾: من ذاق؛ أيْ: شعر بطعم الطّعام؛ أيْ: مجرد الشّعور بالطّعم، وليس الأكل، ويستعمل الذوق مجازاً في إدراك غيره من الأشياء المعنوية؛ كالرّحمة، والنّعمة، والعذاب، وذوق الرّحمة يدلّ علىٰ لذة التّمتع بها بأقلّ حالاتها، فما بالك إذا تجاوز ذلك.

وكلمة ذاق: تستعمل في الشّيء المحبوب، أو المكروه؛ مثل: الرّحمة، أو العذاب، أو الخير، أو الشّر، وتصح للكثير، والقليل، والشّديد، والخفيف،

واللسان أداة الذّوق، ويقسم إلى مناطق خاصة بالطّعم الحامض، والحلو، والمالح، والمر، وشبه الرّحمة هنا بالطّعام الّذي يذاق.

﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: الرّحمة بشكل عام تعني: كلّ ما يجلب ما يَسرُّ، ويدفع ما يَضرُّ.

أي: الإنعام على العبد مثل: سعة العيش، والصّحة، والأمن، والغنى. نحن هنا أمام سؤالين:

الأوّل: لماذا قدَّم منا على رحمة، ولم يقل رحمة منا؛ أي: التّأخير، أو التّقديم

والثّاني: قال: منا، ولم يقل: من عندنا، أو من لدنا.

الجواب على السّؤال الأوّل: إنّ السّياق في هذه الآية، وغيرها على قدرة الله سبحانه في خلق السّموات والأرض، والبعث، والإذاقة، وكلّ دابة على الله رزقها، فقدَّم (منا)، ولو كان السّياق في الرّحمة؛ كما ورد في سورة فصلت الآية (٥٠) ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾؛ لقدَّم الرّحمة.

الجواب على السّؤال الثّاني: منا، وليس من عندنا؛ (منا): يستعملها القرآن للمؤمن والكافر، وكلّ الخلائق؛ (من عندنا): هي أخص يستعملها عندما تخص المؤمن غالباً، أمّا من لدنا: فهي أخصُّ، وأقرب مقارنة من عندنا، وتستعمل للمحسن، أو أولياء الله، وأنبيائه.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي الزّمني؛ نزعناها بعد فترة طويلة.

﴿نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾: سلبناها إياه، أو حرمناه إياها، أو أخذناها منه، ونزعناها: تدل على شدة الأخذ؛ أي: الأخذ بقوّة، وشدة وإكراه؛ لأنّه يتمسك بها بشدة، ولا يريد التّخلي عنها، ويحرص عليها؛ فلا بُدَّ من استعمال النّزع بدل الأخذ.

﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾: إنّه: إنّ: للتوكيد.

﴿لَيَـُٔوسٌ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد، يؤوس: صيغة مبالغة من اليأس؛ أيْ: يظل يائساً، واليأس: هو انقطاع الأمل في الشّيء، والإنسان لا يقطع الأمل في الله إلا إذا كان كافراً، والمؤمن لا ييْئَس من رحمة الله.

﴿كَفُورٌ﴾: من كفر، ويكفر: صيغة مبالغة من الكفر؛ أيْ: كثير الكفر؛ أيْ: كثير الجحد، والسّتر؛ لأنّ الكفر: هو أصلاً السّتر، وكفور: قد تعني: قليل الشّكر.

وفي سورة فصلت، الآية (٤٩) قال سبحانه: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾: والقنوط: أشد حالات اليأس، وهو حالة خاصة من حالات اليأس.

وأمّا الفرق بين أنعمنا، وأذقنا:

فأذقنا: قد تكون في الخير، أو الشّر.

أمّا إذا أنعمنا: فالإنعام فقط يكون في الخير.

وكلمة أذقنا، أو أذقناه: يصاحبها دائماً كلمة رحمة، أو نعماء في كلّ القرآن، وقد تخص الإنسان، أو النّاس.

أما كلمة ذوقوا: فيصاحبها ذكر العذاب، أو تعملون، أو تكسبون، أو تمكرون...

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾: ارجع إلى الآية (٩).

﴿نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: النّعماء: وردت هذه الكلمة فقط في هذه

الآيــة، وهي هنا مقابل الضراء؛ فالإنســان إما في نعماء، أو فــي ضراء؛ النّعماء: مأخوذة من النّعمة: بفتح النّون، والنّعمة هي اســم مــرة، والنّعماء لا يراد بها هنا ذكر النّعم الكثيرة، بل يراد بها الإشارة إلىٰ جنس النّعم، وصفتها.

ولماذا اختار كلمة النّعماء بدلاً من النّعمة؛ لأنّ النّعماء تظهر علىٰ صاحبها، أمّا النّعمة فقد تظهر، وقد لا تظهر، سواء بالبصر، أم الكلام.

نعماء بعد ضراء: الضّــراء، والمضرة الّتي تكون ظاهرة علىٰ الشّــخص؛ من الضّر: وهو الشّــيء الّذي يؤلم النّفس، ويضــر بها؛ أيْ: أذقناه نعماء بدلاً من الضّراء.

﴿مَسَّتْهُ﴾: والمس: أقل اللّمس، أو الإدراك، أو الدّرجة في الإصابة.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ يقولن: مضارع فيه توكيد بالنّون.

﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾: ولم يقل: ذهبت الســيئات عنــي في اللغة يجوز التذكير والتأنيث، وجاء بالتذكير هنا يعني أثر الســيئات؛ أي: العذاب؛ أي: ذهب أثر الســيئات (العذاب) عني ولم يحمد ويشــكر الله؛ ليقولنّ: ذهب السّيئات: جمع ســيئة، وهي كلّ ما يســيء إلىٰ النّفس؛ أيْ: زال وذهــب عني البؤس، أو الفقر، والضّر، والخوف، وعدم الأمن، والمرض؛ اكتفىٰ بذكر النّعماء، ولم يذكر المنعِم.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾: إنّه: إنّ: للتوكيد؛ لفرح: اللام: لزيادة التّوكيد، فرح: كثير الفرح، وهذا الفرح من الفرح المذموم، ويعني البطر. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الفرح وأنواعه.

﴿فَخُورٌ﴾: صيغــة مبالغة من الفخر؛ كثير الفخــر، والفخر: نوع من التّكبر

على النّاس بالقول؛ أيْ: يُزكي الإنسان نفسه، ويمدح نفسه، ويثني عليها، ويأتي في مقام الذّم.

انتبه إلى كلمة نِعمة: وردت بالإفراد، وكسر النّون في (٤٧) آية في القرآن، وتعني: الرّحمة، ومضافة إلى الله، وهي شيء حسن، وخير، ووردت كلمة نَعمة: بالإفراد، وفتح النّون في آيتين فقط، وجاءت في سياق النّعمة، والرّفاهية المذمومة، أو الرّخاء المذموم.

فهي تدل على شيء مذموم، أو ترد في سياق الذّم؛ كقوله تعالى في سورة المزمل، آية (١١): ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾، وسورة الدخان، آية (٢٧): ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾.

[١١] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾: إلا: أداة استثناء. الّذين: اسم موصول.

﴿صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: صبروا على الابتلاءات الّتي ذكرها الله في الآية (٩)، ولم ييْئَسوا من رحمة الله تعالى، وكذلك الصّبر على تجنب المعاصي، والصّبر على الطّاعات.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفروض، والنّوافل، وأطاعوا الله، ورسوله في: افعل، ولا تفعل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، وتشير إلى منزلتهم العالية.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: من الغفر: وهو ستر الذّنب، ومحيه؛ أي: العفو، وكذلك إثابتهم على أعمالهم الصّالحة.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: هناك الأجر العظيم، والكريم، والكبير، وغير ممنون.

أجر كبير: على الصّبر، وعمل الصّالحات من الله العلي الكبير.

وحذف كلمة الّذين آمنوا في هذه الآية؛ لأنّ العمل الصّالح لا يقبل إلا مع الإيمان؛ فاكتفى بذكر عملوا الصّالحات، والصّبر نصف الإيمان أيضاً.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: استئنافية؛ لعلك: استفهام فيه معنى التّحذير، والنّهي والأصل في لعل: للترجي المتوقع.

﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: أيْ: تتردَّد، ولا ترغب في تلاوة بعض الآيات على أهل مكة من المشركين، أو تبليغهم إياها؛ مخافة إعراضهم، وإنكارهم، واستهزائهم بالآيات الّتي تتعلَّق بأمر الآلهة، والتنديد بها، وبعبادتهم إياها.

﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾: ضائق: اسم فاعل يدل على ضيق عارض أو عابر، ويعني: الشعور بالحرج، وانقباض في الصدر لعدم سماعهم لآيات القرآن والإعراض عنه، أو أن يقولوا منكراً من القول وزوراً.

﴿بِهِ﴾: تعود على القرآن.

مخافةَ ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: أن: للتّعليل، والتّوكيد؛ لئلا يقولوا، أو كراهة أن يقولوا.

﴿يَقُولُواْ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التّجدُّد، والتّكرار، والاستمرار في أسئلتهم الّتي لن تنتهي.

﴿لَوۡلَآ﴾: أداة حضٍّ، وتمنٍّ، وحثٍّ.

﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾: الكنز: هو المال المجمع، والمدخر، والكنز: يعني: الذّهب، أو الفضة، والكنز: يعني: المال المخفي.

﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾: أو: للتخيير، جاء معه ملك: من الملائكة، ولم يحدِّدوا شكله، ملك ينزل على صورة بشر، أو ملك يأتي بأجنحته، وعلى صورة ملك من الملائكة، وإذا نزل بصورة بشر كيف سيعرفون أنّه ملك، وعندها يشكُّون في أمره، وماذا لو أنزلنا معك ملك، أو أنزلنا عليك كنز، ولم يؤمنوا ماذا سيحدث لهم، وقد ردّ الله سبحانه على سؤالهم هذا في سورة الأنعام، آية (٨-٩). ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨].

فلا تدعْ ذلك يجرك إلى ترك بعض ما يوحى إليك من ربك، أو تركن إليهم شيئاً قليلاً طمعاً في إيمانهم، بل اصبر على دعوتك، وما أرسلت به، ولا يضيق صدرك بما يقولون، والأصل في التّقدير: أن يحدث ضيق الصّدر أوّلاً، ثمّ التّرك ثانياً؛ أيْ: ضائق به صدرك: تارك بعض ما يوحَى إليك؛ فقدَّم التّرك على ضيق الصّدر؛ لأنّ أمر التّبليغ والدّعوة بشكل كامل أهم من ضيق الصّدر، ولذلك جاء بكلمة ضائق به صدرك، وضائق اسم فاعل يدل على ضيق مؤقت، وعارض.

إذا حدث وضاق صدرك بما يقولون فهذا أمر مؤقَّت، أو أمر عارض سيزول سريعاً.

ولو قال بدلاً من ضائق به صدرك: ضيِّق به صدرك؛ لدلَّ ذلك على أنّ ضيق الصّدر صفة ثابتة في رسول الله ﷺ، وهذا ليس صحيح.

وانتبه إلى قوله: ضائق به صدرك أن يقولوا، ولم يقل: وضائق بما يقولون صدرك؛ فقد قدَّم صدر رسول الله ﷺ على أقوالهم؛ لأن صدر الرّسول ﷺ هو أهم مما يقولون.

وكذلك جاء بكلمة (تاركٌ): بالتّنوين، وليس (تاركُ) بالضّم؛ لأنّ (تاركٌ) بالتّنوين: يدل على اسم الفاعل، وتعني: في الحال، والمستقبل؛ بينما تاركُ: تدل على أنّ التّرك حدث، وانتهى، ورسول الله ﷺ لم يترك شيئاً لم يبلِّغه، فجاء بصيغة الحال، والمستقبل؛ أي: احذر أن تترك بعض ما يوحَى إليك من ربك في الحال، والمستقبل؛ كقوله: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة:٤٩].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد. نذير: من الإنذار، وهو الإعلام مع التّحذير، والتّرهيب. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

وليس عليك واجب الرّد على أسئلتهم، أو اقتراحاتهم، ولم يقل: إنما أنت نذير، وبشير، أو بشير، ونذير؛ لأنّهم ليسوا من أهل البشارة؛ حين يقولون تلك الأقوال الدّالة على تكبُّرهم وعنادهم، فلا يهمك إذا استجابوا، أم لم يستجيبوا إنما أنت نذير.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾: والله سبحانه المتولي، والمدبر لكلّ أمر، وشيء، والحافظ، والمعين، والقائم بأمور العباد، وتقديم على كلّ: تفيد الحصر، والقصر؛ فهو الوكيل على كلّ شيء، ولا أحد غيره.

الفرق بين كلمة ضائق، ويضيق صدرك، ولا تك في ضيق مما يمكرون:

أوّلاً: كلمة ضائق به صدرك: ضائق اسم فاعل (قاعدة: وإذا أردت الأمر العارض استعملت اسم الفاعل)، إذن: ضائق تعني: ضيق عارض، بسبب موقف ما عارض، أو موقف معين، أو مرحلة معينة.

ثانياً: كلمة ضيق: صفة مشبهة تدل على الثّبوت، والدّوام وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون ضيق الصّدر؛ فقد شرح الله صدره؛ فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١].

ثالثاً: واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن ولا تك في ضيق مما يمكرون؛ أيْ: لا يضيق صدرك بأدنى الضّيق، وهنا تدل على درجة الضّيق؛ بسبب ما يمكرون.

❖ ❖ ❖

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

سورة هود [الآيات ١٣ - ١٩]

[١٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة: للإضراب الانتقالي، الهمزة: للاستفهام.

﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: بصيغة المضارع؛ أيْ: يقولون بتكرار واستمرار أنّ محمّداً افترىٰ القرآن، والافتراء: هو اختلاق الكذب المتعمد.

قل: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾: أي: فأتوا بعشر سور مثله، وتعني من الفاتحة إلىٰ سورة هود؛ أي: إشارة إلىٰ ما تقدم سورة هود، وهن عشر سورة؛ فالله سبحانه تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تحداهم بأن يأتوا من مثله، ثم تحداهم بعشر سور، ثم تحداهم بسورة واحدة، وفي سورة يونس، الآية (٣٨): تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله، وكذلك في سورة البقرة، الآية (٢٣): ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ لمعرفة الاختلاف بين هذه الآيات: ارجع إلىٰ آية البقرة (٢٣).

﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة يونس، والآية (٢٣) من سورة البقرة للبيان، والفرق بين من استطعتم وشهداءكم.

[١٤] ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾:

﴿فَإِلَّمْ﴾: الفاء: عاطفة؛ إن: شرطية؛ لم: نافية. وانظر كيف لم يفصل بين (فإن) و(لم) في هذه الآية أن جمع بين فإن+ لم= فإلم، بينما في الآية (٥٠) من سورة القصص فصل بين (فإن)، و(لم)، ولبيان الفرق بينهما؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٥٠).

﴿يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾: إلى ما تدعوهم إليه من الإتيان بعشر سور مثله مفتريات.

﴿لَكُمْ﴾: بدلاً من لك؛ جاءت بصيغة الجمع؛ تعظيماً لرسول الله ﷺ، أو الخطاب موجَّه لكلّ النّاس. وانتبه إلى الجمع بين فإن، وبين لم، فقال: فإلم في هذه الآية، بينما في سورة القصص آية (٥٠) فصل بين فإن ولم. ارجع إلى سورة القصص آية (٥٠) للبيان ومعرفة سبب الجمع والفصل.

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: يأمرهم بالعلم حتّى يكون إيمانهم على علم.

﴿أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: أنزل جملة واحدة، وبعلم الله؛ أيْ: لا يمكن أن يكون فيه أيُّ خطأ مهما كان نوعه.

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله معبود؛ إلا الله وحده. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: هل استفهام، فيه معنى الأمر، ومعناه: لا يكفي العلم، بل لا بُدَّ من الدّخول في الإسلام، وأن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ؛ أيْ: لا بُدَّ من التّوحيد، والإخلاص لله تعالى.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾:

المناسبة: هذه الآية جاءت بعد قوله تعالىٰ: لولا أنزل عليه كنز، وقوله: يمتعكم متاعاً حسناً إلىٰ أجل مسمًّىٰ.

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: هذه الآية عامة يقصد بها كلّ إنسان يريد الحياة الدّنيا، وزينتها (سواء أكان مؤمناً، أم كافراً؛ لأنّ ذلك من عطاء الرّبوبية).

﴿يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: يطلب ويبتغي ويركض وراء الحياة الدّنيا. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥٢) من سورة آل عمران، وهي قوله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فهذه الآية خاصة بأصحاب رسول الله ﷺ، ولم يذكر فيها كلمة (الحياة)؛ لأن الموقف كان في معركة أحد، وموقف قتال فناسب ذلك حذف كلمة الحياة من كلمة الدنيا.

﴿وَزِينَتَهَا﴾ الزّينة: قيل: هي تحسين الشّيء بغيره، والزّينة: قيل: هي الأمر الزّائد عن ضروريات الحياة، ومقوماتها، وتشمل الذّهب، والفضة، والأثاث، والملابس، والخيل المسومة، والمنازل، والقصور، والمراكب.

وجاء بفعل يريد: كفعل مضارع؛ ليدل علىٰ التّكرار، والتّجديد، والاستمرار علىٰ الإرادة، ولم يقل :من أراد الحياة الدّنيا، وانتهىٰ.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾: الوفاء: يعني: إعطائه أجره كاملاً دون نقص في حقه، كما يحصل بين العامل ورب العمل؛ فإذا أتقن المهنة، والعمل سواء كان مؤمناً، أو كافراً؛ فلا بُدَّ من أن يأخذ أجره كاملاً، والوفاء يتم في الدّنيا والآخرة، ومنهم من قال: في الدّنيا كقوله تعالىٰ في سورة فاطر، الآية (٣٠): ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: وهم: تفيد التّوكيد، وتعود على كلّ من يريد الحياة الدّنيا.

﴿فِيهَا﴾: في الدّنيا.

﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا: النّافية؛ نافية للجنس. يبخسون: من البخس: وهو الإنقاص، بخسه حقه بخساً: نقصه حقه، ولم يوفه؛ أيْ: لا ينقصون شيئاً من أجورهم في الدّنيا والآخرة.

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يعني: الذين يريدون الحياة الدّنيا وزينتها.

﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: إلا: أداة حصر، ليس لهم في الآخرة إلا حصراً النّار.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾: أعمالهم حبطت بسبب كفرهم، وشركهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ للبيان.

وباطل ما كانوا يصنعون: أيْ: غير حقٍّ ما صنعوا فيها؛ أيْ: لم يطبقوا ويلتزموا بالقرآن والسنة.

وردت في هذه الآية أربع كلمات كلمة حبط، وما صنعوا فيها، كلمة (الصّنع)، وباطلٌ (كلمة باطل) ما كانوا يعملون، كلمة (العمل).

ما هي الفروق بين هذه الكلمات، وبالتّالي معانيها.

ما هو الفرق بين الصّنع، والعمل:

العمل: يشمل القول، والفعل (الأقوال، والأفعال)، والعمل قد يكون جيداً، أو رديئاً، أو عادياً، والعمل: قد يتم بإجادة، أو عدم إجادة؛ فعندما يتم بإجادة: نطلق عليه الصّنع، فالعمل: أعم من الصّنع.

الصّنع: هو إجادة العمل؛ أيْ: يتم بجهد، وجودة، وهذا يسمَّى الصّنع، والصّنع يكون في الدّنيا؛ أيْ: خاص بالدّنيا.

أمّا الفرق بين الحبوط، والبطلان:

فالحبوط: (حبطت أعمالهم): حبط، الحبط: أصله مشتق إصابة الماشية بمرض الحبط، أو الحبن؛ حين تنتفخ الماشية بالسّوائل، أو الماء؛ بسبب مرض الكبد، ويظنها الجاهل بها سمينة، ولحمها كثير، ولكنه حين يذبحها ليأكل منها يجدها مليئة بالمرض؛ فلا يُستفاد منها بشيء.

الحبط: خاص بالأعمال فقط، ولم ترد كلمة حبط إلا مقرونة بالعمل، وسبب حبوط أعمالهم، وذهاب ثوابها: هي كفرهم، وشركهم، ومعاصيهم، أو ذنوبهم، وعدم توبتهم، والحبوط: يكون في الآخرة، وهو خاص بالآخرة، بينما كان الصّنع خاصاً بالدّنيا.

البطلان (باطل): يكون في العمل، وغير العمل؛ مثل: الاعتقاد، والقضاء. والباطل: ضد الحق، وهو ما لم يشرع بالكلية، والبطلان عام، والعمل كذلك عام.

وإذا عدنا إلى الآية: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: نجده قَرَنَ أمراً خاصاً: هو حبط، مع أمر خاص: هو الصّنع (ما صنعوا فيها)، وقرن باطلاً: وهو أمر عام، مع أمر عام: هو العمل (ما كانوا يعملون).

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾: فيها حبط في الآخرة ما صنعوا في الدّنيا (فيها:

تعود على الآخرة، والدنيا معـاً)؛ أيْ: حبط في الآخرة ما صنعوه في الدّنيا؛ فهي تعود على الصّنع. الصّنع: لا يكون إلا في الدّنيا، والحبوط: يكون في الآخرة.

﴿مَاصَنَعُواْ﴾: مـا: مصدرية؛ حبط صنعهم، أو ما: اسـم موصول؛ حبط: الّذي صنعـوا، ولم يقل الحقُّ: ما صنعوه، وإنما قال: ما صنعوا، ما صنعوا: عامة تشمل كلّ ما صنعوه، ولو قال: ما صنعوه؛ تعني: جزءاً، أو قسماً مما صنعوا.

حبط: (فعل ماض): مـا صنعوا فيها: صنعوا فعل مـاض، إذن جاء بفعل ماض+ فعل ماض.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: وباطل: اسم فاعل؛ يدلّ على الثّبوت.

﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فعـل مضـارع يـدل علـى التّجـدُّد، والتّكرار، والاستمرار، إذن ثبوت مع تجدُّد، وتكرار.

[١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أفمـن: الهمزة: للاسـتفهام الإنكاري، أو التّقرير، والفاء: للتّوكيد، ومن: اسم موصول، وتشمل المفرد، أو الجمع.

﴿مَّن﴾: مبتدأ، والخبر محذوف تقديره كمن لا يريد الحياة الدّنيا وزينتها، أو أفمـن كان علـى بيّنة من ربه، كمن لـم يكن، أو أفمن كان علـى بينة من ربه كالأعمى، والأصم، أو الضال الكفور، والمراد بهذه الآية رسول الله ﷺ (الذي هو على بينة من ربه)، أو هل يسـتوي أيُّ مؤمن هو على بينة من ربه، مع من يريد الحياة الدّنيا وزينتها؟

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾: البينة بشكل عام: قد تعني: القرآن، أو الرّسول، أو الدِّين، أو الحُجَّة، والدّليل القاطع.

﴿مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: وتعني: الرّسولَ ﷺ، أو أيَّ مؤمن.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يقرؤه، أو يتبعه، وتعني: القرآن، أو النّبي ﷺ.

﴿شَاهِدٌ﴾: جبريل عليه السلام، أو الرّسول ﷺ.

﴿مِّنْهُ﴾: من الله ﷻ، أو النّبي ﷺ.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾: هذه الآية تبيِّن لنا نحن أمام بينة وشاهدان. البيّنة كما سبق الحجة والدّليل القاطع، وكلّ ما يحتاج إليه لإقامة الحكم، وقيل: هي القرآن، أو الرّسول ﷺ، أو الدّين، أمّا الشّاهدان: فهما: ويتلوه شاهد منه، ومن قبل كتاب موسىٰ إماماً ورحمة.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: أيْ: يتبعه القرآن شاهد منه آيات القرآن الّتي تشهد علىٰ صدقه، ووحدانية الله وعظيم قدرته؛ آيات القرآن الّتي تدل علىٰ الإعجاز العلمي في الآفاق، وفي أنفسهم كما قال الحق سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]؛ ففي كلّ زمان يظهر شاهد جديد علىٰ صدق القرآن، وعظمته، وأنّه منزل بالحق من الله سبحانه.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار، والاستمرار إلىٰ يوم القيامة، وأنّ القرآن: هو المعجزة الخالدة إلىٰ يوم القيامة.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾: ومن قبله: الهاء: تعود علىٰ القرآن العظيم، أو علىٰ محمّد ﷺ، أو كلاهما، ومن قبله كتاب موسىٰ؛ أي: التّوراة،

ومن قبله: قد تعود على الإنجيل، ومن قبل الإنجيل كتاب موسى التّوراة شاهد على القرآن، أو على نبوة محمّد ﷺ.

﴿إِمَامًا﴾: يُهتدى به؛ أيْ: مصدر هداية، وإماماً: ليبشر بقدوم الرّسول محمّد ﷺ.

﴿وَرَحْمَةً﴾: ذا رحمة؛ لأنّه يجلب النّفع، ويدفع الضّرر، ووقاية من السّيئات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أصحاب موسى عليه السلام، أو محمّد ﷺ، أو أهل الحق من أمة موسى، وعيسى، ومحمّد عليهم الصّلاة والسلام، يؤمنون به: يصدقون بالقرآن العظيم.

﴿بِهِۦ﴾: تعود على القرآن، وعلى محمّد ﷺ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بالقرآن، ومحمّد ﷺ، والكفر: هو السّتر؛ فالإيمان موجود قبل الكفر؛ لقوله: ومن يكفر به؛ أي: المكفور به الإيمان سابق على الكفر.

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: جمع حزب، والحزب: جماعة ملتفة على مبدأ، أو مبادئ واحدة، وتعني: جميع الملل من اليهود، والنّصارى، وقريش، أو القبائل من الأعراب.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾: أيْ: إليها مصيره.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: من القرآن؛ لا تك، ولم يقل: ولا تكن؛ أيْ: حذف النّون.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد. لا: النّاهية.

﴿تَكُ﴾: في أدنىٰ شك، أو في أيِّ لحظة، أو طرفة عين في مرية منه.

﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: في: ظرفية. مرية: هي الجدال بعد ظهور الحق؛ أيْ: لا تجادلهم بعد ظهور الحق، أو في شك منه بعد ظهور الحق.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: إنّ: للتوكيد؛ أي: القرآن.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: الحق: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر أبداً.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النّافية؛ لا يؤمنون: تكبراً، وعناداً، وكفراً، وتقليداً لآبائهم، وليس من قلة الآيات، والأدلة الشّاهدة عليهم.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: الواو: استئنافية. من: اسم استفهام، وتقرير (يأتي بشكل السّؤال حتّىٰ يُجيب المخاطب، ويقول: لا أحد؛ فتقام عليه الحجة)، والإقرار: هو سيد الأدلة؛ ليس هناك من أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً، وأظلم: علىٰ وزن أفعل. والظلم: هو نقصان الحق، والخرج عن منهج الله تعالىٰ، ويشمل ظلم النفس، وظلم الآخرين.

﴿مِمَّنِ﴾: أدغمت من الأولىٰ بمن الثّانية؛ من الأولىٰ: ابتدائية، ومن الثّانية: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: افترىٰ: اختلق متعمداً الكذب.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة يشمل كلّ أنواع الكذب، والقليل، والكثير، ولم يقل: الكذب (المعرف بأل؛ ويعني: كذباً معيناً).

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يعرضون من العرض: وهو إظهار الشّيء الخفي؛ أيْ: يُظهر ما كانوا يخفون في الدّنيا. يقفون صفوفاً أمام ربهم للحساب.

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: الرّب: اشتقت من المربي: وهو القائم بتدبير أمورهم، وتصريفها، وهو خالقهم، ورازقهم.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: جمع شاهد، أو شهيد؛ أي: الشّهداء بالحق، والأشهاد: قد يكونون من الملائكة الحفظة، أو الرّسل، والأنبياء، أو أهل العلم من أمة محمّد ﷺ.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: حين قالوا: اتخذ الله ولداً؛ أيْ: نسبوا له الولد، أو الشّريك في الملك، أو الولي، أو حرم هذا ولم يحرمه، وأحل ذلك ولم يحله، وقالوا: هو من عند الله، وما هو من عند الله.

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة يشار إليهم يوم العرض يوم القيامة؛ ليفضحهم، ويخزيهم؛ الّذين كذبوا على ربهم.

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: ألا: أداة تنبيه، واللعنة: تعني: الطّرد من رحمة الله، والإبعاد، والقائل هنا قد يكون الحق سبحانه، أو الأشهاد، أو الملائكة، ولم يقل: ألا لعنة الله على الكاذبين؛ لأنّ الكذب جزء من الظّلم فجاء بالّذي هو أعم، فالكافرون أعم من الظّالمين، والظّالم تشمل كذلك المشرك، والظّالم لغيره، والظّالم لنفسه بالخروج عن منهج الله تعالى.

[١٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذم.

لم يكتفوا بالكذب على ربهم؛ فهم كذلك يصدون عن سبيل الله، وسبيل الله دينه: وهو الإسلام؛ يحاربون، ويهاجمون؛ يمنعون النّاس من الدّخول في دينه، أو يشوهون سمعته، ويتهمون الإسلام بالتّطرف، والعنف.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يلتمسون لسبيل الله (دينه) الزّيغ والتّحريف، ويريدون لأهل دين الله الضّلال، ويتهمون الدّين، وأهل العلم بالغلو، والانحراف، ويصفونه بالمعوج المنحرف المتطرف.

﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: هم: ضمير الفصل؛ تفيد التّوكيد، والباء: تفيد للإلصاق، والتّوكيد؛ لأنّهم افتروا على الله الكذب، وقاموا بالصّد عن السبيل، ويبغونها عوجاً؛ فزاد توكيدهم بالكفر بالآخرة باستعمال هم: ضمير الفصل مرتين، وهم: الثانية تفيد زيادة التّوكيد.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: لا يؤمنون، لا يصدقون بالحساب، ولا بالبعث، أو بالجنة، أو النّار.

❖ ❖ ❖

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ
ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٣

سورة هود [الآيات ٢٠ - ٢٨]

[٢٠] ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد يشير إلى الّذين كذبوا على ربهم، وصدوا عن سبيل الله، وكفروا بالآخرة.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾: لم: حرف نفي، معجزين: جمع مُعْجز في الأرض، والمُعجز: من لا تقدر عليه، ويستطيع الهرب؛ أيْ: يفلت منك، ولا تلحق به.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: نفى عنهم صفة الإعجاز أصلاً؛ أيْ: لن يفلتوا من عذاب الله وعقابه.

﴿مُعْجِزِينَ﴾: جاء بالاسم الّذي هو أثبت وآكد من الفعل.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: حيث كانوا يعيشون، ولم يذكر السماء كما في سورة العنكبوت آية (٢٢)؛ لأن السياق في الآخرة، والموقف موقف محاسبة، أو إذا كانوا غير معجزين في الأرض؛ فكيف يكونون معجزين في السّماء، وأمّا حين يذكر السّماء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت:٢٢]؛ لأن سورة العنكبوت تدعوا إلى النظر والتدبر حيث قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ﴾ [آية:٢٠]، والتحدي أكبر، وأوسع، ويشمل السّموات السبع حتّى لا يظن أحد أنه إذا لم يستطع أن ينجو في الأرض

يمكن أن ينجو في السّماء، ومنهم من قال: أن هذه الآية قد تشير إلىٰ غزو الفضاء الّذي بدأ ينتشر.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: نافية.

﴿كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: بالإضافة إلىٰ عجزهم في الأرض ما كان لهم من غير الله من أولياء: جمع ولي: وهو المعين، والمحب، والنّاصر.

﴿مِّن﴾: استغراقية؛ استغرقت النّفي المطلق، وتفيد التّوكيد، لا ولي، ولا اثنان، ولا أكثر من ذلك.

وعبارة من دون الله من أولياء؛ أيْ: في الدّنيا.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: لعظم كفرهم، وإضلالهم غيرهم، وصدهم عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً.

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾: قدَّم السّمع علىٰ البصر؛ لأهمية السّمع علىٰ البصر، وكذلك من ناحية التّشكل الجنيني؛ فتشكل السّمع يكون قبل البصر، وكذلك من الناحية التشريحية: فموقع السّمع أمام موقع البصر. ارجع إلىٰ سورة المُلك، آية (٢٣)، وإلىٰ سورة البقرة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: رغم وجود آلة السّمع؛ فهم لم يستفيدوا منها بالاستماع إلىٰ الرّسول ﷺ، وآيات القرآن؛ لكونهم يكرهون الاستماع للحق، وما أنزل الله.

﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾: أيْ: نفىٰ عنهم السّمع أوّلاً، ونفىٰ عنه البصر ثانياً، لا هذه، ولا هذه، ولا كلاهما؛ منهم لم يستفيدوا من سمعهم، ولا أبصارهم؛ فيؤمنون بالله ورسوله.

ولكن في الآخرة يتغير ذلك فيصبح سمعهم وأبصارهم كالحديد من شدتها، وحدَّتها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢].

[٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٢٠).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: للتأكيد.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بأن أوردوها النّار.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أيْ: غاب عنهم، أو غابت عنهم أصنامهم، وأولياؤهم، ولم يهتدوا إلىٰ أصنامهم، وكذلك أصنامهم لم تهتدِ إليهم.

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: علىٰ الله من الكذب المتعمد بأنّ له شريكاً، وولداً، وأن الأصنام ستشفع لهم، وتقربهم عند الله زلفىٰ، وغيره من الأكاذيب.

[٢٢] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً، أو لا بُدَّ، أو لا محالة، وقد تحمل معنىٰ القسم، وجَرَم معناها قطع، جرم يده: قطع يده، وجَرَم أذنب، وجنىٰ جناية.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أنّ للتوكيد.

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: جمع أخسر علىٰ وزن أفعل، وخاسر: اسم فاعل مأخوذ من الخسارة.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: هم أشد خسارة من الخاسرين، وعذابهم أشد ومضاعف، والأخسرون؛ لأنّهم كذبوا، وصدوا عن سبيل الله غيرهم، وابتغوها عوجاً. أمّا الخاسرون: فهم لم يصدوا غيرهم واكتفوا بعدم الإيمان بالآخرة،

واستحبوا الحياة الدّنيا على الآخرة، وأفسدوا في الأرض. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، والآية (٦٣) من نفس السورة للمقارنة.

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

مقابل الظّالمين الّذين صدوا عن سبيل الله ويبغونها عوجاً الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قرنوا الإيمان بالعمل الصّالح، صدقوا بالله، واتبعوا ما أنزل الله ورسوله، وعملوا الصّالحات.

﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أطاعوا أوامر الله تعالى في السر والعلن، وأخلصوا في توحيدهم؛ خافوا ربهم، والخبت: التواضع، والسكون (السكينة)، أو الطمأنينة إلى حكم الله وقضائه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: الملازمون لها. ارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الأعراف.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء ابتداءً من زمن دخول الجنّة.

[٢٤] ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾:

الفريق الأوّل: الظّالمون، والّذين يبغونها عوجاً، وهم بالآخرة هم كافرون؛ حالهم يشبه حال الأعمىٰ، وحال الأصم.

والفريق الثّاني: الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات؛ حالهم يشبه حال البصير، وحال السّميع.

فعندنا أربعة تشبيهات؛ لكلّ فريق تشبيهان، ولو كان تشبيهاً واحداً لقال: مثل الفريقين كالأعمىٰ الأصم، والبصير السّميع من دون الواو، والتّقديم والتّأخير في السّميع علىٰ البصير ليس له علاقة بالأفضل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، ألا: أداة حضٍّ علىٰ التّذكر.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: لم يقل: تتذكرون؛ أي: المسألة لا تحتاج إلىٰ زمن طويل للتذكر، والتّفكير؛ لأنّ أيَّ إنسان ذي لبٍّ، أو عقل لا يحتاج إلىٰ طول تذكر، أو تفكر؛ ليدرك أنّ الأعمىٰ، والأصم لا يستوي مع البصير والسّميع، والإنسان مطلوب منه أن يتذكر مسائل العقيدة بسرعة، وليس هو بحاجة إلىٰ وقت طويل؛ لأنّ مسائل العقيدة مستقرة في القلب، ولا تحتاج إلىٰ طول تذكير، أو تفكير.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: لام التّوكيد. قد: حرف تحقيق. وإذا قارنا (ولقد) مع قوله تعالىٰ في سورة الأعراف آية (٥٩) (لقد) بدون الواو: نجد أن آية الأعراف لم يتقدمها ذكر رسول، أو نبوة؛ فهو كلام ابتداء، أما في سورة هود، وسورة المؤمنون، والعنكبوت، والحديد: فقد تقدمها ذكر رسول، والواو عاطفة، أو استئنافية.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: أرسلنا، ولم يقل: بعثنا. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿نُوحًا﴾: من سلالة إدريس، وإدريس: هو أبو جد نوح، وجاء في صحيح البخاري عن ابن عبّاس: كان بين آدم ونوح ما يقارب عشرة قرون؛ أيْ: (١٠٠٠ سنة)، ونوح كان أول الرّسل من أولي العزم، وذكر اسمه في (٤٣) آية.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: الّذين سكنوا شمال العراق ما بين دجلة والفرات، وهم من بقايا ذرية آدم الّذين سكنوا مكّة، ثمّ رحلوا إلىٰ شمال العراق.

القوم هنا: تعني الرّجال والنّساء، والقبيلة، والعشيرة، وهنا ملاحظة يجب العلم بها: أنّ كلمة قوم دائماً يرد معها عقوبة في نهاية الآيات.

﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: لكم نذير من الله؛ الإنذار: هو الإعلام، والتّحذير؛ أيْ: لأنذركم خاصة، أو أقول لكم منذراً بالإيمان بالله، والاستجابة له، وامتثال أوامره، وعلىٰ تجنب ما حرم عليكم.

﴿مُّبِينٌ﴾: يعني: كلّ واحد يعلم أنّه إنذار واضح، ولا يحتاج إلىٰ بينة، وهو ألا تعبدوا إلا الله.

[٢٦] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لا: النّاهية؛ تعبدوا إلا: أداة حصر؛ الله حيث كانوا يعبدون أصناماً كثيرة؛ مثل: ودٌّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر... وغيرها، ولمعرفة معنىٰ العبادة: ارجع إلىٰ الآية (٢) من نفس السورة.

﴿إِنِّىٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: أليم تعود على العذاب، وليس اليوم.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: عذاب أليم يوم الطّوفان، أو أحذركم يوم الطّوفان، وأحداثه.

[٢٧] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: الفاء: تدل على التّعقيب، والمباشرة مجرَّد ما دعاهم إلى عبادة الله وحده مباشرة، قال الملأ الّذين كفروا من قومه: الملأ: أشراف القوم، وزعماء القوم وأعيانهم الّذين يملؤون أعين النّاس مهابة واحتراماً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٧٥، ٨٨)؛ للبيان.

﴿مَا نَرَىٰكَ﴾: ما: النّافية؛ نراك: رؤية بصرية.

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾: البشر: يعني الإنسان، وسمي بشراً لكونه ظاهر على الأرض بعكس الجن الذي يمتاز بالخفاء؛ إلا: أداة حصر؛ أيْ: حصراً أنت بشر مثلنا لا مزية لك علينا، ولا فضل يعطيك حق النّبوة، أو تكون رسولاً علينا.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: الرّؤية هنا قد لا تدل على الصّواب والحقيقة؛ فالرّؤية تحيط بظواهر الأمور؛ فهم حكموا بظواهر الأمور.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول تشير إلى الأراذل.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَرَاذِلُنَا﴾: مفردها رذل: الدّون من كلّ شيء، وتعني: السّفلة، أو أحقر النّاس في أعينهم، والحقيقة هم أفضل الناس، وأفضل منهم خاصة.

﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾: الّذين لا رؤية لهم؛ أيْ: سطحيو النّظر، لا يفكرون، ولو أمعنوا النّظر لما اتبعوك.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: من فضل: من: ابتدائية.

﴿فَضْلٍ﴾: أيْ: زيادة تؤهلكم للنّبوة؛ مثل: المال، أو فضل في الخلق، أو الملك، أو الجاه.

﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾: بل: حرف إضراب إبطالي.

﴿نَظُنُّكُمْ﴾: الظّن: هو أنا نحسبكم، أو نرجِّح أنكم كاذبون.

[٢٨] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾: يا: النّداء، كلمة قومي فيها بعض الحنان على قومه، والاستعطاف.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة استفهام، وتعجب، وتقرير، والرّؤية رؤية قلبية، أو فكرية؛ بمعنى: العلم، وبشكل مؤكد.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: إن: شرطية. البينة: الحجة الدّامغة، والبرهان الّذي يثبت صحة ما أقول، وقال: بينة من ربي، ولم يقل: بينة من ربكم؛ لأنّ البينة جاءت إليه، ولم تجئ إليهم، وهم لم يؤمنوا بعد ليقول: ربكم.

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾: وآتاني: من الإيتاء: وهو عطاء بدون تمليك، ويشمل الإيتاء الحسي والمعنوي، وهو أشمل من العطاء؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان، والفرق بين العطاء والإيتاء. وبما أنّ الكلام عن

الرّحمة؛ فقد قدَّمها على من عنده، ولم يقل: وآتاني من عنده رحمة، ورحمة من عنده، ولم يقل: رحمة منه؛ لأنّ رحمة من عنده أخص بالمؤمنين من خصوصيات القرآن، أمّا رحمة منه: فهي رحمة عامة للمؤمن، والكافر، ورحمة من عنده؛ تعني: النّبوة، والرّحمة: هي كلّ ما يجلب ما يَسرُّ ويدفع ما يَضرُّ.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: أيْ: أُخفيت وأُبهمت ولم تعلموها، والتبست عليكم؛ وعُميت من العمى عمى البصيرة؛ أيْ: لم تفهموها؛ عمِّيت بالتضعيف، ولم يقل: عَمِيَت.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أيْ: أنلزمكم قبولها، والهمزة: همزة استفهام إنكاري؛ أيْ: لا نقدر أن نُلزمكم أنفسنا، وأنتم غير راغبين في قبولها، أو كيف أوصلها إليكم، وأنتم لها كارهون، وهي عبادة الله وحده، أو لا إله إلا الله.

﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾: كارهون: جملة اسمية؛ تدل على أنّ (كارهون) صفة ثابتة: تدلّ على التّجدُّد، والتّكرار، فربما في المستقبل أوصلها لكم، أو تقبلوا بها.

أنلزمكموها: جاءت هذه الكلمة بعد أن رفض قوم نوح الاستجابة لدعوته؛ فأحسَّ نوح بالصّعوبة الشّديدة في إبلاغهم الدعوة؛ فأصبحت كأنّها مستحيلة؛ لأنك ترغم إنساناً على شيء، وهو كاره له، كافر به.

فجاءت هذه الكلمة لتعبر عن هذه الحالة الّتي تمتاز بالإكراه، ومحاولة إبلاغ الشّيء إلى من لا يؤمن به، ويرفضه؛ فبدأت بهمزة الاستفهام الإنكاري، وفيها ضميران: الكاف، والهاء، وأشبعت الميم المضمومة؛ فأصبحت واواً، وفيها فعل وفاعل، ومفعول به أوّل، ومفعول به ثان.

❖❖❖

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

سورة هود [الآيات ٢٩ - ٣٧]

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: نداء فيه رقة، وحنان لقومه.

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾: لا: النّافية.

﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾: على تبليغ الرّسالة، أو الدّعوة للإيمان.

﴿مَالًا﴾: ولم يقل تعالى: ولا أسألكم عليه أجراً هنا حدَّد نوع الأجر، ولو قال: لا أسألكم عليه أجراً (لم يحدِّد قد يكون مالاً، أو غير المال)، والأجر أعمّ من المال.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: إن: نافية، وأقوى في النّفي من (ما)؛ أجري: والأجر يعقب العمل، وقد يكون في الدنيا، أو في الآخرة، ولا يأتي الأجر إلا في سياق الخير، ولذلك جاء بها ليؤكد لهم أنّه لن يطالبهم بأيِّ أجر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ جاءت بعد نفي تؤكد الحصر؛ فقط أجري على الله وحده، والأجر يكون مقابل عمل، والأجر: هو ثواب عن عمل دنيوي، والأجر؛ يعني: النّفع دائماً، وأمّا الجزاء: فقد يستخدم في النّفع، والضّر، وهو أعم من الأجر، والجزاء: يكون على عمل سيِّئ، أو صالح.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: ردٌّ على قولهم: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون؟ وما: الواو استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: ولو بشكل عارض، أو مؤقت؛ أيْ: لا يمكن أن أطردهم مهما كان السّبب، لا في الماضي، ولا في المستقبل، ولو قال: بطاردٍ؛ لكان يعني: في المستقبل، ويحتمل أن يكون قد طردهم في الماضي.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: إنّهم: إنّ: للتوكيد.

﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: أيْ: كيف أطردهم، وهم سيلقون ربهم، ويخبرونه بما فعلت بهم، ويحاسبني على طردهم، وظلمهم، ومن ينصرني من الله إن طردتهم؛ فهو يدرك أنّه سيحاسب، ولو كان رسولاً.

﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: تجهلون حين تسألوني أن أطردهم. ارجع إلى آية الأعراف، آية (١٣٨)؛ لمقارنة قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وقول لوط عليه السلام: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:٥٥]. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لبيان تجهلون، ومعنى الجهل.

[٣٠] ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: من: استفهامية، يا قوم: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: من ينجيني من عذاب الله إن طردتهم؛ هذا هو السّبب الثّاني، والسّبب الأوّل: أنّهم ملاقو ربهم، والأمر ليس بيدي.

﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: إن: شرطية؛ تعني، ولو مرة واحدة، وتفيد الشّك في حصول ذلك. ولو قال: من ينصرني من الله إذا طردتهم؛ لكانت تعني: مرات عديدة، أو حتمية الحدوث.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري تذكرون؛ ألا: أداة حثٍّ، وتحريض على اليقظة، والتّذكر؛ لأنّ هذا الأمر واضح، ولا يحتاج إلى طول تفكير، فلا تنسوا ذلك، واتعظوا إنّ طردهم ليس بأمر حكيم، وله عواقبه.

في سورة هود هذه قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، وفي سورة الشّعراء آية (١١٤) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ المؤمنين: تدلّ على ثبوت صفة الإيمان عندهم.

في سورة هود: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: أي: الّذين إيمانهم يتجدّد، ويتكرّر؛ فهم أقل درجة من المؤمنين؛ فهو يعلن لهم لن يطرد أحداً مهما كان نوع إيمانه.

[٣١] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَآ﴾: الواو: استئنافية؛ لا: النّافية تنفي كلّ الأزمنة وتنفي الجنس، وتفيد الإطلاق، والعموم، وأوسع حروف النّفي؛ أي: لا أقول لكم على وجه الاستمرار (الآن وفي المستقبل).

﴿أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: أي: لا أقول لكم خاصة فيها تودُّد وحنان.

﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: أي: كلّ أنواع النعم، والخيرات، والرّزق، أو خزائن الذّهب، والفضة لكي تحثكم إلى اتباعي، أو تدعو الفقير منكم إلى الاستجابة لدعوتي. وخزائن الله كما بيّن الإعجاز العلمي: أن هذه الخزائن موجودة في النّجوم. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٢١)، وسورة الأنعام، آية (٥٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: أي: أنا بشـــر رسول، ورغم ذلك لا أعلم الغيب؛ حتّىٰ تتبعوني كي أدلكم عليه، وأعلم ماذا سيحصل لكم، ويحل بكم.

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: أي: من الملائكة إنما أنا بشر، وقد يظن السّامع لهذه الآية: أنّ الملائكة أفضل من الرّســل، والأنبياء، وهذا ليس بضروري، وإنما قال نوح ذلك حين قالوا له ما نراك إلا بشراً، ولأنّ قومه ظنوا أنّ الرّسل لا يكونون من البشر إنما من الملائكة، أو لا أدَّعي أني من الملائكة، وجئتكم علىٰ صورة بشر، وتكرار لا ثــلاث مرات: للتوكيد، ونفي كلّ واحدة من هــذه الأمور علىٰ حِدَةٍ، وكلّها معاً.

وقول: يا قــوم لا أقول لكم: فيها رقة، وحنان، وتلطف؛ كأســلوب يجب اتِّباعه في الدّعوة إلىٰ الله، ونشر دينه من قبل الدّعاة.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: النّافية.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾: أي: تحتقر أعينكم؛ لفقرهم، أو مكانتهم، والازدراء من زرىٰ عليــه؛ أيْ: عابه، وتزدري أعينكم جاءت بصيغــة المضارع الّتي تدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار، والاســتمرار في الازدراء؛ أي: ازدراؤهم لم يتوقف بعد، ولم يقل: ازدرت أعينكم وانتهىٰ الأمر، ولم يقل: للذين تزدرونهم؛ إكراماً لهم.

﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾: لن: حرف نفي للمستقبل القريب، أو البعيد؛ أي: لن يؤتيهم الله خيراً قريباً، أو في المستقبل القريب؛ أي: في الدّنيا، أو في المستقبل البعيد؛ أي: الآخرة، والخير: هو الحلال الطيب، الحسن، النّافع.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أنفسهم: جمع قلة؛ لأنّه يتحدث عن الّذين آمنوا من قومه؛ نفوسهم: جمع كثرة، تعني: كلّ النّفوس على الإطلاق.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿فِيٓ﴾: ظرفية، وجاء بكلمة الله، ولم يقل: ربهم أعلم بما في أنفسهم؛ لأنّ السّياق، والمقام: هو سياق الدّعوة إلى الله.

﴿إِنِّيٓ﴾: إنّي: للتوكيد.

﴿إِذٗا﴾: حرف جواب.

﴿لَّمِنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ من الظّالمين: أي: إن قلت لهم لن يؤتيهم الله خيراً.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جمع ظالم؛ الظّلم هنا: يعني نقصان حقهم، ويعني: الجور، والعدول عن الحقّ.

[٣٢] ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَٰدَلۡتَنَا﴾: من الجَدلْ، وهو الحوار الّذي يحدث بين طرفين أو أكثر؛ لإظهار حُجة، أو لدفع شبهة، أو إثبات حق، وقد يحدث فيه مشادة كلامية؛ فهو حوار غير هادئ.

والمراء: هو الجدال بعد ظهور الحق، وقد يستعمل للوصول إلى الحقّ؛ كقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

أمّا الحجاج: هو إظهار حُجَّة الخصم على الخصم.

﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: لم يقل: لما تجادلنا؛ ليدل على أنّ نوح هو الّذي كان يلاحقهم، ويجادلهم، وهم لا يريدون الكلام إليه.

﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: يعني: أنّ نوحاً هو الّذي كان يجادلهم، ويكثر جدالهم، وهم كانوا يهربون منه، ويجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم كي لا يسمعوا دعوته.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: هنا تبدأ مرحلة التّحدي؛ فقد انتهت مرحلة التّكذيب، وعدم التّصديق، وبما أنّ نوحاً عاش بينهم (٩٥٠ عاماً) يدعوهم؛ فأصبحوا غير مكترثين به، وبدعوته، وبوعيده.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: ولم يقل: وعدتنا، بل قال: تعدنا: فعل مضارع يدلّ على التّجدُّد، والتّكرار؛ لأنّه كان يكرر، ويكرر، ويحذرهم المرات العديدة، أمّا وعدتنا فتعني: مرة، أو مرتين.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد. ما: اسم موصول؛ تعني: الّذي تعدنا، وهو العذاب.

﴿إِن كُنتَ﴾: إن: شرطية؛ تحتمل الشّك، والاحتمال أن تكون من بين الصّادقين في إنذارك، ووعيدك، وكلامك.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿قَالَ إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتّوكيد؛ أي: هو الله حصراً يأتيكم به؛ أي: العذاب؛ أي: بيده الأمر، وليس بيدي، ولا بيد غيري.

﴿يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: كما تشاؤون بناءً على طلبكم؛ تقديم (به).

﴿بِهِ﴾: تعني: العذاب؛ به: جار ومجرور، وتقديمه يدل حصراً، وقصراً الله وحده يأتيكم به، ولو قال: يأتيكم الله به؛ فهذا يعني: الله سبحانه يأتيكم به، وهناك آخرون غير الله يأتون به، وهذا غير صحيح.

﴿إِن شَآءَ﴾: إن: شرطية. شاء: إذن، أو أراد.

﴿وَمَآ أَنتُم﴾: الواو: واو الحال: للتأكيد. ما: النّافية للحال، والاستقبال.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد. معجزين: الآن، ولا في المستقبل. ارجع إلى سورة يونس، الآية (٥٣)؛ للبيان.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾: ولا: الواو: عاطفة، لا: النّافية.

﴿يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾: النّصح: الإرشاد، والدّلالة على الخير.

﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾: إن أردت أن: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد.

﴿أَنصَحَ لَكُمْ﴾: أنصح: فعل مضارع؛ يدلّ على التّجدُّد، والاستمرار؛ نصح له، ونصحه نصحاً، ونصيحة: تحري ما يصلح له، وأراد له الخير، والنّفع، ودله عليه.

﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: هل يغوي الله سبحانه عباده؟ حاشا لله.

والغواية: هي الضّلال، والبعد عن الصّراط المستقيم؛ أي: الهلاك، والفساد. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٤٢)؛ لبيان معنى: الغواية.

﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: يضلكم، أو يهلككم، وهذا غير صحيح،

وغوىٰ: بمعنىٰ: خاب، وضـــل، وانهمك في الجهل، وغابت عنه الحجة، وضاع ونسي.

الجواب: إنّ الله ســبحانه لا يغوي أحداً من البشــر، وإنما يترك له الخيار ليختار: إمــا طريق الهداية، وإما طريق الضّلال؛ فإن ســار فــي طريق الضّلال، واختار ذلك لنفســه، واستمر هذا الإنسان العاصي الكافر في طريقه، وأصر علىٰ ذلك؛ فالله سبحانه يتركه وشأنه، ويخلي بينه وبين ما يريد من الضّلال، والإغواء، وحين يصبح، أو يصل درجة عالية من الضّلال، والإغواء؛ حينئذٍ لا تنفعه نصيحة النّاصحين، سواء من رسول، ولا نبي، ولا أحد.

ومعنىٰ الآيــة الإجمالي: لا ينفعكم نصحي مهمــا حاولت من النّصيحة، والنصح لكم إن كان الله ســبحانه يريد أن يترككم في ضلالكم، وغوايتكم الّتي أنتم مصرون عليها.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: هو: ضمير فصل للحصر.

﴿رَبُّكُمْ﴾: أولىٰ بكم إن يشــأ يعذبكم، أو إن يشأ يرحمكم؛ أي: المربي، والمدبر، والحاكم.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه وحده؛ تقديــم الجار والمجرور: يفيد الحصر، والقصر إليه وحده مرجعكم؛ إليه ترجعون رغماً عن إرادتكم.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، أم منقطعة، والهمزة: للاستفهام.

جاءت هذه الآية في وسط قصة نوح، أو خلال قصة نوح؛ لأنّ كفار قريش

لم يصدقوا رسول الله ﷺ حين كان يخبرهم عن قصة نوح، وقالوا: إنّ محمّداً افترىٰ هذه القصة؛ فجاء الرّد علىٰ ذلك من الحق سبحانه.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿إِنِ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: أي: اختلقت هذه القصة، وهي كذب؛ فعليَّ إجرامي، والافتراء: هو الكذب المتعمَّد المختلق.

﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾: عليَّ عقوبة ذنبي، وعقوبة افترائي؛ لأن من يفتري علىٰ الله تعالىٰ هو مجرم.

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾: وإن لم أفترِ عليكم؛ فعليكم عقوبة إجرامكم، وأنا بريء مما تجرمون (تشركون، تكفرون).

﴿تُجْرِمُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع الّتي تدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار، واستمرارهم في إجرامهم، وهو ليس إجرام واحد، بل إجرام في كثير من الأمور، ولو كان إجرام واحد لقال: أنا بريء مما أجرمتم. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٥) من سورة سبأ وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ولم يقل عما تجرمون؛ لأن هذه الآية في سورة سبأ جاءت في سياق الدعوة إلىٰ الله والتبليغ لكي يحبب قلوبهم للإيمان، وآية هود تخص نوح ، وآية سبأ تخص رسول الله ﷺ.

[٣٦] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾: الوحي: إعلام خفي بطريقة الوحي من عالم الغيب

سبحانه من علمه الأزلي أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، ولمعرفة معنى الوحي: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿أَنَّهُۥ لَن﴾: للتوكيد؛ حرف مشبه بالفعل؛ لن: نافية تنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَن قَدْ﴾: تحقيق للتوكيد.

﴿ءَامَنَ﴾: وقيل: كانوا حوالي (٨٠) فرداً، كما قال ابن عبّاس، ومنهم أولاده الثّلاثة: سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر تفيد التّوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَبْتَئِسْ﴾: تحزن؛ يقال: ابتأس الرّجل إذا بلغه خبر يكرهه، والابتئاس: هو الحزن المحبط.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: من الشّرك، وعدم الإيمان، ولم يقل بما كانوا يعملون؛ لأنّ من خصائص القرآن لا يستعمل مع العقوبات، أو في سياق العقوبات، وإهلاك الأمم السّابقة؛ إلا كلمة (فعل) مثل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، كذلك نفعل بالمجرمين.

عندها دعا نوح على قومه؛ فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

[٣٧] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: والفلك: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع،

وللمذكر والمؤنث، واصنع: الصّنع: هو الإحداث، والإنشاء، والصّنع: هو إجادة العمل والإتقان والمهارة.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: تحت رعايتنا، ومراقبتنا، وحفظنا، وجاء بصيغة الجمع؛ للدلالة على كثرة العناية، والاهتمام، وكمال الحفظ، والرّعاية الإلهية.

﴿وَوَحْيِنَا﴾: إليك كيف تصنعها.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لا: النّاهية؛ أي: أنهاك؛ أي: لا تطلب المغفرة، أو تدعوني لرفع العذاب عن هؤلاء الّذين ظلموا أنفسهم بالكفر، والشّرك، والمعاصي، أو تأخيره، أو إمهالهم، أو أيّ شيء آخر.

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، والموت؛ مغرقون: صفة ثابتة تدل كأنّه حصل الإغراق، وانتهى الأمر، انتبه إلى قوله: واصنع الفلك: فعل أمر، ولم يحدِّد متى يصنع الفلك.

❖❖❖

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

سورة هود [الآيات ٣٨ - ٤٥]

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾:

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾: فعل مضارع؛ يعني: يصنع الفلك الآن، ويدل على أنّ الصّنع بدأ منذ حين ومستمر، وأمّا في سورة المؤمنون، الآية (٢٧): ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾؛ أي: في المستقبل، وأتى بصيغة المضارع، ولم يقل: وصنع الفلك (يسمّى حكاية الحال)؛ ليتصور المستمع عملية الصّنع؛ كأنها تجري أمامه، ونوح الّذي ليس له خبرة في صناعة الفلك، وكأنّه مهندس مختص رغم أنّه لم يصنع أيَّ فلك من قبل.

﴿وَكُلَّمَا﴾: الواو: حالية؛ كلما: ظرف زمان.

﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: ولم يقل: مر به؛ لأنّه كان يصنع الفلك في مكان منخفض من الطّريق الّذي يمرون به.

﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استخفوا به، ضحكوا منه، أو استهانوا به، والسخرية: خاصة بالأشخاص، وأما الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص بالله، وآياته، ورسوله، وبالجنة، والنار، والزقوم... وغيره؛ ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة التّوبة؛ لمزيد من البيان.

ولأنه كان يبني سفينة في البر بعيدة عن البحر، أو أيِّ ماء، وأخبرهم أنها ستجري على الماء، وهم لم يروا سفينة قط.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشّك، أو الاحتمال، ولم يقل: إن تسخروا مني؛ لأنّه شمل نفسه والمؤمنين الّذين آمنوا معه؛ لأنّهم كانوا يسخرون من الكل، تسخروا: فعل مضارع؛ يدل على التّجدُّد، والتّكرار؛ فالسّخرية مستمرة، ولم تنتهِ، ولم يقل: سخرتم.

﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾: أي: يوم القيامة، أو عندما يأتي الطّوفان.

﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: الآن، كانوا يقولون: رسول تحول إلى نجار، أو كيف ستسير هذه الفلك، أو السّفينة على الماء، الكاف: كاف التّشبيه.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: ظرف للاستقبال البعيد، والتّراخي. وإذا أردنا مقارنة (فسوف تعلمون) مع (سوف تعلمون) في الآية (٩٣) من نفس السورة، وكذلك مع الآية (٣٩) من سورة الزمر؛ ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٩) للبيان.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: بعد فترة من الزّمن، وهذا يدل على نوح عليه السلام يعلم أنّ العذاب الطّوفان قادم.

﴿مَن يَأْتِيهِ﴾: من: اسم استفهام، أو اسم موصول، وتفيد الابتداء.

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يفضحه، ويذله في الدّنيا، ولا يستلزم الثّبات؛ فقد يأتي ويذهب.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: في الآخرة، لا يتحول، ودائم، ويحل ضد الرّحيل، وتفيد النّزول من أعلى، حل بالمكان: نزل ليقيم فيه؛ أي: هناك عذابان، وليس عذاباً واحداً. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٠) لمعرفة الفرق بين يحل عليه عذاب مقيم، ويأتيه عذاب مقيم.

[٤٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾:

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: يصنع الفلك حتّى جاء موعد الطّوفان.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمنة معنى الشّرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: الأمر هنا المقصود به العقوبة (الطوفان)، أو العذاب إهلاكهم بالطّوفان، وجاء: تحمل معنى الصعوبة، والمشقة مقارنة بكلمة أتى الّتي تحمل معنى المجيء بسهولة، والطّوفان أمر ليس سهل فهو مخيف، ومرعب، وفيه الهلاك، والغرق.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: التفسير القديم: التّنور تنور الخبز، فار التّنور: نبع الماء منه، وكانت هذه علامة على بدء الطّوفان، وعلامة لنوح، والّذين آمنوا أن يتجهوا إلى الفلك حالاً؛ فقد جاء موعد الإبحار، وتصور كيف ينبع الماء من تنور الخبز؛ فهذه معجزة تذكرنا بكيفية نبع الماء من بين أصابع الحبيب محمّد ﷺ، وتدل على عظمة الله تعالى وقدرته.

أمّا التفسير العلمي، وفار التنور: أيْ: يثور البركان، وتخرج الحمم منه، وبخار الماء الشّديد، ويتحول إلى مطر غزير، يصحب ذلك هزة أرضية تشبه (التسونامي) ترفع السّفينة كالموج الّذي يشبه الجبال عشرات الأمتار.

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: قلنا، ولم يقل: قيل؛ تدل على العناية، والرّحمة بنوح، والّذين آمنوا معه؛ حيث أسند القول إليه سبحانه، وبصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: احمل فيها: في الفلك. وفي سورة المؤمنون

آية (٢٧) قال تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، السلوك: الدخول بسهولة، والحمل يكون بعد الدخول، فآية هود جاءت في سياق الحمل، وآية المؤمنون جاءت في سياق الدخول والاستواء والنزول.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: ذكر وأنثى، واحمل فيها ما تحتاجه من طعام، وشراب، ومتاع، ولا تعني: احمل فيها من كلّ أنواع الحيوانات، والنباتات؛ فهذا أمر مستحيل؛ لكون الفلك كان لا يزيد طولها عن (١٥٠ ذراعاً)، وعرضها (٥٠ ذراعاً)، وتعني: احمل فيها الزوج والزوجة (ذكر وأنثى).

وقيل: كانوا قلة عددهم (٣٠-٨٠).

وأما من فسر ذلك: احمل فيها من جميع أصناف الحيوانات، والنباتات؛ فقد قدر العلماء: أن هناك أكثر من (١٢) ألف مليون كائن حي، وهذا من المستحيلات، وكيف يجلب معه الحيوانات المفترسة ويضعها مع الحيوانات الأهلية.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾: القول: العذاب، والهلاك بالغرق؛ مثل: كنعان، وزوجة نوح.

﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: أي: احمل فيها من كلّ زوجين اثنين، وأهلك.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾: ما: النّافية.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ﴾: مع نوح.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلٌ﴾: قيل: (٧٢) رجلاً وامرأةً، ونوح وعائلته وأولاده يصبح العدد حوالي (٨٠) كما قال ابن عباس ﷺ.

[٤١] ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾: القائل: نوح عليه السلام؛ لمن آمن معه.

﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾: ولم يقل: عليها؛ فيها: لأنّ الفلك كانت مركبة من عدة طبقات (أدوار)؛ فهي كالظّرف لهم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: مَجْريها: تقرأ قراءات مختلفة؛ منها: بفتح الميم، وكسر الرّاء، ومُجرها: بضم الميم، ومُجريها، ومَجرها، ومَرساها، مَجْرها: مصدر (من فعل جرىٰ): اسم زمان، واسم مكان، زمان الجري، ومكان الجري، ومنهم من قرأها مُجرِيها، ومُرسِيها: بضم الميم، وبياءين.

﴿وَمُرْسَاهَا﴾: ولها قراءات مختلفة؛ باسم الله مجريها ومرساها؛ قد تعني:

باسم الله جريانها، وإرساؤها.

باسم الله جريها، وأرساها.

بسم الله تجري، وباسم الله ترسو.

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: تفيد التّوكيد.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾: أيْ: هو الرّبان الحقيقي؛ فهو يُزجي السّفينة إلىٰ مسارها الصّحيح، ولولا رحمته؛ لما نجا أحد.

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾: أي: السّفينة (الفلك).

﴿تَجْرِي بِهِمْ﴾: بنوح، ومن آمن معه، جاء بصيغة المضارع بدلاً من جرت؛ ليصور لنا جريان السّفينة أمام أعيننا في وسط هذه الأمواج العالية.

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: للدلالة على شدة ارتفاع الموج، وشدة الرياح، وشدة الطّوفان.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: هذا ما نراه عند حدوث هزة أرضية شديدة تشبه (التسونامي) الّذي يرفع الموج عشرات الأمتار.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: نادىٰ: تدل على أنّ الابن كنعان كان بعيداً؛ لأنّ النّداء: هو رفع الصّوت.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: المعزل: اسم مكان منقطع؛ عزل نفسه فيه، وابتعد عن أبيه، وإخوته.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾: يا بني: نداء فيه عطف وحنان، والواجب: أن ينادي الابن أباه، وإذا نادىٰ الأب ابنه؛ كان على الابن أن يستجيب لنداء أبيه، ولكنه عَمِيَ على بصيرته، فلم يستجبْ.

﴿ارْكَب مَّعَنَا﴾: تعال، واركب معنا في الفلك.

﴿وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾: ولم يقل: ولا تكن من الكافرين، هذا النّداء تودُّد، وعطف من أب لابنه الّذي سيغرق عن قريب إن لم يركب في الفلك مع أبيه

وأهلــه، ولم يطلق على ابنه كافر؛ فقال مع الكافريــن؛ أيْ: في صحبة الكافرين؛ أيْ: لم يتهم ابنــه بالكفر، أو يصفه بذلك؛ مما يــؤدِّي بالابن إلى الإصرار على عدم الرّكوب، ورغم جريان السّفينة لا زال هناك إمكانية للركوب، والوقت وقت نجاة؛ النّجاة أوّلاً، ثمّ الإيمان إذا شاء الله، وأذن بعد ذلك.

لنقــارن بين هذه الآيــة (٤٢) من ســورة هــود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

والآية (٣١) من سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.

الآية في ســورة هود: الرّاكبون في الفلك غير خائفين من الغرق؛ أيْ: نوح ومن آمن معه، وهم ركبوا الفلك بأمر من الله تعالى، والفلك تمخر الأمواج، وما يحدث يدل على عظمة، وقدرة الله تعالى.

أمّا في آيــة لقمــان: الرّاكبون في الفلــك خائفون من الغــرق، وهم من المشــركين، والأمواج؛ كالظّلــل؛ أيْ: أصبحت فوق رؤوســهم، وهم في مقام خوف، ورهبة يدعو إلى التّضرع إلى الله؛ لإنقاذهم وهو مقام تحذير.

[٤٣] ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾:

﴿قَالَ سَآوِي﴾: قال الابن كنعان لأبيه: ســآوي: السّــين: أداة للاستقبال القريب؛ أيْ: سألجأ إلى جبل بعد قليل.

﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: يعصمنــي: يحميني من الماء من الغرق، والعصمة: هي المنع، والحفظ ظاناً أنّ الموج، أو الماء لن يبلغ الجبل لارتفاعه، وقال نوح راداً على ابنه:

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾: لا: النّافية للحال، والاستقبال.

﴿عَاصِمَ﴾: قد تكون اسم مفعول، وتعني: لا مخلوق، ولا مانع، ولا حافظ، أو لا معصوم اليوم؛ أي: الناجي، ولا يُغني، ولا يفيد جبل، ولا دعاء، ولا إيمان، ولا فرار. وعاصم: قد تكون اسم فاعل؛ أي: لا عاصم إلا الراحم (إلا الله وحده).

﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: من عذاب الله؛ أي: الطّوفان، والغرق.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَن﴾: اسم موصول؛ تفيد الاستغراق. كلّ من رحم الله؛ أيْ: بالنجاة.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾: وبدأ الموج يرتفع، ويرتفع حتّىٰ لم يعد يرىٰ الأب ابنه؛ أي: فصل، وحجز الموج بين نوح وابنه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾: أيْ: ليس وحده من غرق، وإنما غرق معه الكثير. مُغرقين: بضم الميم؛ أيْ: لم يغرق بنفسه بسبب السّباحة، أو غيرها، وإنما أغرقه الله رغم حذره، وحيطته، وأغرق معه كلّ كافر ومشرك.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: القائل مبني للمجهول، والمهم هنا المقولة؛ أيْ: ما قيل، وهو:

﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: يا: أداة نداء للبعد. أرض ابلعي ماءك: ولم يستعمل يا أيتها الأرض؛ أيْ: يستعمل هاء التّنبيه؛ لأنّ الأرض لم تكن غافلة عما يحدث، ولا تحتاج إلىٰ تنبيه بينما الإنسان هو الّذي يحتاج إلىٰ تنبيه، أرض: اسم جنس.

﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: ابلعي: فعل أمر يدل علىٰ قوّة الأمر، وفيها إيجاز؛ لأنّ الموقف جداً صعب، ابلعي بسرعة من دون تأخير، ومن دون جهد؛ كبلع الإنسان

الماء من الفم إلىٰ المعدة، أو مرور الطّعام من الفم إلىٰ المعدة وبسرعة، ولم يقل: ابتلعي ماءك؛ مما يدل علىٰ تأخر في البلغ، وجهد، ومشقة؛ أيْ: دَعِي الماء يغور في أعماقك.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: يدل علىٰ أن الماء كله منبعه من الأرض، ونسبة الماء في الأرض نسبة شبه ثابتة، وهكذا عاد الماء إلىٰ مخزنه.

والطوفان لم يغمر كلّ اليابسة كما يظن البعض، وإنما غمر جزءاً من الأرض، ولم يكن علىٰ الأرض آنذاك إلا قوم نوح.

﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾: أي: كفي عن المطر، أو أمسكي، والسّحاب: يسمّىٰ السّماء، والإقلاع هو الإمساك، ويدل هذا علىٰ أنّ الماء؛ أي: ماء الفيضان ماء حلو، وليس مالح.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: ذهب، وغار في الأرض؛ أي: نقص، والغيض: هو الابتلاع السريع.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: تم بسرعة نجا من نجا، وهلك من هلك، تم هلاك الكافرين من قوم نوح، ونجاة من آمن مع نوح، ثمّ ذهبوا إلىٰ مكة في نهاية الطوفان، ومات نوح، وقيل: دفن في الحرم.

﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾: استوت: استقرت، أو رست علىٰ الجودي. قيل: هو جبل في شرق تركيا، وليس هو جبل أرارات كما قال البعض؛ لأن جبل أرارات: جبل بركاني، لو استوت عليه السّفينة لاحترقت، واسمه جبل الجودي، وجدت عليه سفينة نوح، وتم هذا الاكتشاف عام (١٩٤٨م).

﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قيل: ارجع إلىٰ مطلع الآية، والقائل هنا غير معلوم، قد يكون الله، أو الملائكة، أو الصّالحين من العباد.

﴿بُعْدًا﴾: هلاكاً، والمصدر يدل على الثّبوت، وبعداً لا تحتاج إلى فاعل، أو زمن. والقول بعداً للقوم الظالمين هو دعاء على القوم الظالمين بالهلاك غير مقيد بزمن ولا بفاعل؛ أي: دعاء عام.

﴿لِّلْقَوْمِ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿الظَّٰلِمِينَ﴾: جمع: ظالم، والظّلم: هو الشرك، وظالم لنفسه، وظالم للآخرين. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿الظَّٰلِمِينَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثّبوت؛ أي: أصبح الظّلم صفة ثابتة لن تتغير عندهم، والظالم: هو كلّ من يخرج عن منهج ربه يُعتبر ظالم لنفسه. ارجع إلى الآية (٦٠) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان في كلمة (بُعداً).

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾: لما حال بينهما الموج.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب، أو تفيد التّرتيب التّسلسلي في الحوادث، أو لعطف مفصل على مجمل.

﴿رَبِّ﴾: ولم يقل: يا رب؛ باستعمال ياء النّداء؛ لأنّ نوحاً يعلم أنّ الله سبحانه قريب منه، أو ليس هناك زمن؛ لأنّ نوحاً يريد إنقاذ ابنه، وعدم إطالة النّداء؛ لأنّ ابنه يغرق، وكلّ حرف، وكلّ ثانية مهمة.

﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ تفيد توكيد ما يقوله نوح إنّ كنعان من أهلي.

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: وإنّ: تفيد التّوكيد.

﴿وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: حتّىٰ يشمل ابنه، وكلّ ما تعد به هو الحق، أو: ما وعدتني بـــه هو الحق، ولم يقل: رب إنّ ابني من أهلـــي، وأنت وعدتني بنجاة أهلي، وإنّ وعدك الحق يشـــمل كلّ وعد وعده الله له ولعباده الآخرين، والحق هو الشّيء الثّابت الكامل الّذي لا يتغير.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾: فيه تفصيل: فالله سبحانه يعلم ذلك: أنّ ابنه من أهله، وما وعده الله جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٧]؛ فنوح كان لا يعلم من سبق عليه القول، ومنهم زوجته، وابنه كنعان.

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أنت: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿أَحْكَمُ﴾: اسم تفضيل؛ يفيد المبالغة.

﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أحكـــم من حكـــم؛ أيْ: لك الحكـــم، والأمر، والقول الفصل، ولا تحكم إلا بالحق بين العباد، والأمم، وأحكم من الحكمة؛ أيْ: أنت أحكم الحكماء، وأفضل، وأقسط، وأعدل، وخير من حكم.

❖ ❖ ❖

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

سورة هود [الآيات ٤٦ - ٥٣]

[٤٦] ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

﴿قَالَ يَٰنُوحُ﴾: قال سبحانه رداً على قول نوح: رب إنّ ابني من أهلي:

﴿يَٰنُوحُ﴾: يا: النّداء: للبعد.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: من: ابتدائية، استغراقية؛ ليس من أهلك: قد تعني: من أهل دينك؛ بسبب عمله غير الصّالح؛ لأنّ الكفر يقطع قرابة النّسب، والدّم، وقالوا: أخوّة الدِّين أهم من أخوّة النّسب، أو ليس من أهلك: الّذين وعدتك بنجاتهم.

فنوح عليه السلام لم يعلم، أو نسي هذا الحكم الشّرعي: إنّ الكفر يقطع صلة القرابة، والنّسب، أو لم يظن أنّه عمل غير صالح (ما قام به ابنه كنعان)، أو نسي نوح قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾، أو نسي قوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أيْ: زوجته، وكنعان.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾: قد تعني: ما تسألني عمل غير صالح إنه ابن غير صالح، أو ما قام به، أو عمله كنعان عمل غير صالح، أو إنه ذو عمل غير صالح، أو إن كنعان كله تحول إلى عمل غير صالح؛ مبالغة في الذم، ولم يُعد يرجى منه خيراً.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: الفاء: للتوكيد. لا: النّاهية.

﴿تَسْـَٔلْنِ﴾: النّون: لزيادة التّوكيد؛ تسألن: من دون ياء المتكلم، وأشار إليها بكسرة؛ لأن الرّد فيه نهي، وإيجاز، واختصار، ونوح سأل سؤالاً واحداً.

بينما في سورة الكهف، الآية (٧٠) قال تعالىٰ علىٰ لسان الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ لأنّ موسىٰ سأل الخضر ثلاثة أسئلة: عن السّفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار؛ طبقاً للقاعدة: زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ. تسألن: سؤال واحد، تسألني: عدة أسئلة.

﴿مَا﴾: النّافية للحال، والاستقبال.

﴿لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أيْ: فكر جيداً قبل أن تسأل أيَّ سؤال ليس لك به علم. والسؤال كان: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ولم يكن من أهله الذين وعده بنجاتهم.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: إنّي: إنّ: للتوكيد، أعظك: الوعظ: النّصح بالطّاعة، والعمل الصّالح، والإرشاد إلىٰ الخير، والتّحذير، والنّهي.

﴿أَعِظُكَ﴾: أيْ: أنهاك، وأحذرك، أو أنصحك.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: الجاهلين: الّذين لا يعلمون بأنّه ليس من أهلك، أو الّذين يعلمون، ولا يعملون بما يعلمون، أو من الجاهلين حين قلت لك: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٧]. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لبيان معنىٰ الجاهلين.

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾: إنّي: للتأكيد، كان بإمكانه أن يقول: قال: رب أعوذ بك أن أسألك، ولكن جاء بإنّي: للتوكيد؛ توكيد الاستعاذة.

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾: أن: حرف مصدري؛ تفيد التّوكيد، وتقدير الكلام: أعوذ بك من أن أسألك ما ليس لي به علم.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ما: النّافية، ما ليس لي به علم: يشمل هذا الطلب، وغيره، وكلّ أمر ليس له به علم، وأدرك نوح أنّه أخطأ، وارتكب ذنباً فقال:

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: وإلا تغفر لي: وإلّا: مركبة من: إنْ: حرف شرط، لا: نافية، والسّؤال هنا: هل ارتكب نوحاً ذنباً بطلبه إنقاذ ابنه، وهو لا يعلم أنّه سبق عليه القول؟ والرّد على ذلك: أن طلب المغفرة؛ ليس مقتصراً على الذّنوب، بل هناك توبة إنابة، واستغفار، ومن دون وقوع المعصية، والله سبحانه أمر رسوله محمّد ﷺ أن يستغفر، ويصبر؛ فقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥]، مع أنّ رسول الله ﷺ لم يفعل ذنباً؛ فهذه توبة إنابة.

ولو نظرنا إلى قول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، ونقارنه بقول آدم وزوجته في سورة الأعراف، الآية (٢٣): ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: فيه توكيد أكبر بالنّون الثّقيلة، وأمّا قول نوح فليس فيه تأكيد. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٢٣)؛ للمقارنة، والبيان.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾: أيْ: انزل من السّفينة، والهبوط: نزول من أعلى إلى أسفل، وقيل: تعود إلى الله سبحانه؛ لقوله:

﴿بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾: هكذا يتلقى نوح هذه الكلمات الّتي تطمئن قلبه بالمغفرة، والرّحمة من الله، والسّلامة، والأمن، والاطمئنان من المكاره بعد (٩٥٠ عاماً) من الدّعوة، والصّبر.

﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾: أي: الخيرات، وقدّم السّلام على البركات؛ لأنّ السّلام

مهم، ويحتاج إليه حين الهبوط، والاستقرار، وبعد النّجاة تأتي البركات، والنِّعم، ونوح، والّذين نجوا معه لجأوا إلىٰ مكة، وعاشوا هناك، ولما تكاثروا هاجروا إلىٰ جنوب الجزيرة (الأحقاف)، وأطلق عليهم قوم عاد.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾: أيْ: من أولادك: سام: ومنه جاء السّاميون، وحام: ومنه جاء الأفارقة، ويافث: ومنه جاء الصّين، واليابان.

﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: أيْ: أمم أخرىٰ أمثال: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب.

﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾: بمتاع الدّنيا، والمتاع: كلّ ما ينتفع به، أو ما يُتمتع به؛ كالطّعام، والشّراب، وأثاث البيت، والأداة، والمال.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي.

﴿يَمَسُّهُم﴾: يصيبهم منا عذاب.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: في الدّنيا، وفي الآخرة؛ بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسلهم.

[٤٩] ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾:

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد؛ إشارة إلىٰ قصة نوح تلك من مجموعة القصص التي ذكرت في سورة هود، أو قصة السّفينة، وإذا قارنا هذه مع قوله تعالىٰ في سورة يوسف آية (١٠٢): ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾؛ لأنها قصة واحدة فقط.

﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ﴾: المخاطب هنا رسول الله ﷺ، والوحي هو: إعلام بخفاء؛ أيْ: نخبرها إياك، أو نقصها عليك. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾: ما: النّافية أقوىٰ نفياً من لم.

﴿أَنتَ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿وَلَا قَوْمُكَ﴾: إضافة لا تفيد زيادة التّوكيد بدلاً من قوله: ما كنت تعلمها أنت وقومك، وتكرار لا؛ أيْ: لفصل كلاهما؛ أيْ: ما كنت تعلمها أنت وحدك، ولا قومك أيضاً، ولا كلاكما، ما كنت تعلمها؛ لأنّك لم تكن معاصراً لها؛ لتعلمها، ولم يخبرك بها أحد من قبل هذا.

﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾: من: ابتدائية.

﴿قَبْلِ هَٰذَا﴾: أيْ: من قبل هذا القرآن، وهناك فرق بين: من قبلِ هذا، ومن قبلُ هذا.

من قبلِ: الزّمن غير محدَّد، وغير معروف كم.

من قبلُ: الزّمن محدَّد، ومعروف كم هو.

﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء: للتوكيد. اصبر: يا محمّد ﷺ، كما صبر نوح الّذي استمر ألف سنة إلا خمسين عاماً في دعوته.

﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلْعَٰقِبَةَ﴾: الجنّة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. الّذين أطاعوا أوامر الله سبحانه، وتجنّبوا نواهيه.

[٥٠] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾:

﴿وَإِلَىٰ﴾: الواو: أيْ: وأرسلنا إلىٰ عادٍ أخاهم هوداً بعد نوح.

﴿عَادٍ﴾: أيْ: عاداً الأولىٰ الّتي سكنت الأحقاف، والأحقاف: جبال من الرّمل تقع بين عُمان، وحضرموت، وأرضهم كانت مطلة علىٰ البحر (بحر العرب)، وهي الّتي ذكرها الله سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر:٦-٨]، وهناك عاداً الثّانية (الأخرىٰ): وهم قوم ثمود، ونبيهم صالح عليه السلام.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: هوداً: هو ابن عبد الله بن رباح، ابن عاد، ابن إرم، ابن سام، ابن نوح، وهو من العرب، (وصالح، وشعيب، ومحمّد، وهود: هم الأنبياء الأربع من العرب).

﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾: يا: أداة نداء، وقوله: يا قومي: نداء فيه نوع من التّودُّد، والاستعطاف، وهو من أساليب الدّعوة؛ الدّعوة بالرّفق، واللّين؛ لفتح القلوب بكلمة طيبة.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده، أخلصوا له بالطّاعة، والتّوحيد.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: ما: النّافية.

﴿لَكُمْ مِنْ﴾: استغراقية.

﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: تعبدونه.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: إن: نافية، وأقوىٰ في النّفي من حرف: ما.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أيْ: أداة استثناء؛ جاءت بعد أداة نفي؛ فهي تفيد الحصر؛ أيْ: حصراً ما أنتم إلا مفترون.

﴿مُفْتَرُونَ﴾: جمع مفتر، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق؛ حيث جعلوا الأوثان، والأصنام شركاء لله في عبادتهم.

لم يتهم هود قومه بالافتراء في بداية الدّعوة، بل حضهم علىٰ التّقوىٰ؛ فقال

لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، كما جاء في سورة الأعراف، الآية (٦٥)، ولم يقل لهم هود: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ إلا بعد أن استمروا في تكذيبهم له، وشركهم بالله، ورفضهم الاستجابة لدعوته.

[٥١] ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿يَا قَوْمِ﴾: تكرار النّداء إلىٰ قومه، هو لكسب قلوبهم، وعطفهم، وبالتّالي إيمانهم برسالته.

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: لا: النّافية لكلّ الأزمنة.

﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أطلب منكم.

﴿أَجْرًا﴾: علىٰ تبليغ الرّسالة، أو النّصح لكم، والأجر: هو الجزاء مقابل العمل، والأجر: يضم المال، وغيره، ولم يقل: مالاً، كما جاء في الآية (٢٩) من نفس السورة علىٰ لسان نوح عليه السلام.

﴿إِنْ﴾: نافية؛ أقوىٰ في النّفي من: ما.

﴿أَجْرِيَ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر. إن أجري؛ أيْ: ثوابي، ثواب عملي.

﴿عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: أيْ: خلقني، وفطرني: من الفطر؛ فطر الله الخلق: خلقهم، وأظهرهم، وأخرجهم للوجود، وفطر الشّيء: شقه، وأخرجه للوجود.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري؛ يحمل معنىٰ الحث، وأداة حضٍّ.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تنظروا في الدّلائل، وتفهموا الحقائق؛ لتدركوا ما لكم من إله غيره.

[٥٢] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: نداء جديد، أو طلب جديد لقومه.

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: لأنكم أشركتم به، والاستغفار: يدل على أنّ الإنسان ارتكب ذنباً، ويطلب من الله أن يغفره يستره، ويمحوه، ويعفو عنه، والتّوبة: الرّجوع إلى الله، وعدم ارتكاب الذّنب مرة أخرى، ولها شروط أخرى؛ مثل: النّدم، والإكثار من الأعمال الصّالحة.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّرتيب، والتّراخي الزّمني؛ لأن الإسراع في التّوبة من أهم الأمور، وإنّما هي للترتيب التّسلسلي في الحوادث.

استغفروا ربكم، ثمّ توبوا إليه؛ لأنكم عبدتم غيره من الأصنام، والأوثان؛ فإذا تبتم واستغفرتم ربكم:

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: السّبب في ورود هذه الآية بعد الاستغفار، والتّوبة: أنّ الله ﷻ حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، واشتدت حاجتهم للمطر؛ لأنّهم كانوا أصحاب زروع.

﴿مِّدْرَارًا﴾: صيغة مبالغة؛ تعني: المطر الغزير المتتابع أوقات الحاجة، ولا يحصل منه ضرر، وأصل الدّر: سيلان اللبن، وكثرته، ثمّ استعير للمطر الغزير.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: بالمال، والولد، وقيل: الولد، وولد الولد، والعدة، والسلاح؛ فالاستغفار يجلب الرزق (الغيث)، والذرية.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾: ولا تعرضوا عن التّوحيد، ولا تستمروا على الشرك، والإجرام. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة لبيان معنى استغفروا ربكم ثم

توبوا إليه، وارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ مجرمين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: ما: النّافية.

﴿بِبَيِّنَةٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل، والبينة: المعجزة، أو الأمارة الدّالة علىٰ صدق نبوتك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾: وما نحن بتاركي عبادة آلهتنا.

﴿عَن قَوْلِكَ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والبُعد، ونستغفر ونتوب طمعاً في إرسال السّماء علينا مدراراً، أو الزيادة في القوّة.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: بمصدقين؛ الباء: للتوكيد.

﴿لَكَ﴾: قدَّم الجار والمجرور؛ للحصر؛ أيْ: لن نؤمن لك خاصة. ولم يقل: ما نحن بمؤمنين لك؛ أيْ: لن نؤمن لك، وقد نؤمن بغيرك.

وهناك فرق بين آمن به، وآمن له:

آمن به: إيمان عقيدة.

وآمن له؛ أيْ: صدقه وخضع له، وأذعن.

❖❖❖

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا
مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

سورة هود [الآيات ٥٤ - ٦٢]

[٥٤] ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

﴿إِن نَّقُولُ﴾: إن: نافيـة، وأقوىٰ في النّفي من حـرف: ما؛ أيْ: ما نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: أصابتك بعض آلهتنا بسوء: بجنون، أو مس، أو خبل، وهذيان، خلط الكلام؛ لأنّك تعيب علىٰ آلهتنا، وجئت بإله جديد واحد، وقلت: إنها ليست آلهة، ولا تستحق العبادة.

﴿قَالَ إِنِّي﴾: إنّي: للتوكيد؛ يؤكِّد ما سيقوله.

﴿أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: أشهد الله: من الشّهادة؛ تعني: الإقرار، والاعتراف بأنّي بريء مما تشركون.

﴿وَاشْهَدُوا﴾: هنا تعني: الإعلام؛ أيْ: واعلموا، ولم يقل: إني أشـهد الله وأشهدكم؛ لأنّهم ليسوا أهلاً للشهادة، وإنما قال: اشهدوا؛ أي: اعلموا: أنّي بريء مما تشركون؛ أيْ: لا أعبد الّذي تعبدون. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (١٩) للبيان.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾:

﴿مِن دُونِهِۦ﴾: من سواه، أو من غير الله؛ أيْ: لا أعبد إلا الله.

﴿فَكِيدُونِي﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ فهو يتحدَّىٰ قومه مباشرة من دون إمهال، وأكَّد التّحدي بزيادة ياء المتكلم، ولم يقل: فكيدون، كما جاء في سورة الأعراف، الآية (١٩٥).

﴿جَمِيعًا﴾: أي: اجمعوا كيدكم، وهم كثرة، وهو فرد واحد؛ فهو يتحداهم جميعاً معاً، ويتحدَّىٰ كلّ منهم بمفرده، ويتحدَّىٰ قومه إضافة إلىٰ الآلهة؛ لأنّه واثق بنصر الله له، وحفظه من أعدائه.

والكيد: هو التّدبير الخفي؛ لإيقاع المكروه بالغير قهراً؛ سواء أعلم، أم لم يعلمه الخصم، وهو أقوىٰ من المكر، ولا يكون إلا بعد تدبُّر، وتفكير، ونظر؛ والكيد: قد يصل إلىٰ درجة القتل، أو إلحاق أيِّ ضرر به.

﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: ثم: هنا للإمهال، والتّراخي في الزّمن، وطول التّحدي؛ أي: التّحدي لا ينتهي مهما طال الزّمن. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، الآية (١٩٥)؛ للبيان، والمقارنة.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

في هذه الآية يعلن هود توكله علىٰ الله ربه، الرّب المعين، والمتولِّي أموره، ومصرفها، والنّاصر.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: على أن يحرسني، ويحفظني، ويكلؤني من كيدكم بعد أن قدمت الأسباب.

﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: ولم يقل: ربنا؛ لأنّهم لا يؤمنوا بأنّه الرّب، وربي وربكم؛ أي: هو ربكم رغم إنكاركم له؛ فهو رازقكم، ومتولّي أموركم.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾: ما: النّافية.

﴿مِن﴾: استغراقية للمفرد، والجمع، والمثنى؛ تستغرق كلّ دابة، والدّابة: تشمل كلّ من يدب على الأرض من إنس، وجن، وحيوان، وطير. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا: أداة حصر؛ هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: النّاصية: منبت الشّعر في مقدّم الرّأس فوق الجبهة؛ كناية عن القهر، والغلبة؛ أيْ: في قبضته، وملكه؛ أيْ: مسيطر عليها، ومتصرف بأمرها، وقادر على إحيائها، وإهلاكها؛ فهي خاضعة له إما اختياراً، أو قسراً.

النّاصية في الإعجاز العلمي: هي مقدّم الفص الجبهي من الدماغ؛ الّذي هو يحوي مركز الإدراك، والفهم، والذاكرة، والإرادة، والأمور العاطفية، والحكم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: على طريق الحق، والعدل، أو يهدي إلى طريق الحق، والعدل، ويبين لهم ويدلهم على الصّراط المستقيم: الإسلام، أو لا يفوته ظالم، وينصر المظلوم، ولا يخفى عليه أحد من خلقه إذا أراد العبد الهرب،

والضّلال، أو تعني: على صراط مستقيم لا يريد إلا العدل لكل عبد، وأن يدلّه على طريق النّجاة، بل يُري كل دابة طريق النجاة.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد؛ إن: شرطية.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾: تستمروا على الإعراض، وعدم الإيمان، وأصل تولوا: تتولوا، وحذف إحدى التاءين. تولوا: ولو كان قليلاً، وتولّى: انصرف، أو ابتعد، أو أعرض؛ أي: ابتعدتم عني، ولم تسمعوا لما أقوله.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط (للتوكيد). قد: حرف تحقيق.

﴿أَبْلَغْتُكُم﴾: من البلاغ؛ أيْ: إيصال ما أرسلت به إليكم بأحسن صورة مع البيان.

﴿مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ تعني: الّذي، أو مصدرية؛ أيْ: فإن تولوا لا أبالي؛ لأني أبلغتكم كلّ ما أرسلت به إليكم.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يستخلف؛ أيْ: يأتي بقوم بعدكم خلفاء مباشرة من دون انقطاع، أو يأتي بجيل جديد غيركم، ولا يكونوا أمثالكم في الكفر، والشّرك، بل أفضل منكم طاعة، واستجابة.

ولم يقل: يستبدلكم؛ فالاستبدال: هو المجيء بجيل بعد جيل، أو قوم بعد قوم، ولو كان بعد انقطاع طويل، أو مرور قرون طويلة، أو سنين، والاستخلاف أفضل من الاستبدال.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾: ولم يقل: ولا تضروه شيئاً، بل أضاف النّون: للتوكيد؛ لأنّه الموقف، أو السّياق في الكفر، والإعراض.

﴿شَيْـًٔا﴾: الشّيء: هو أقل القليل، وشيئاً: جاء نكرة؛ لتشمل كلّ شيء قليلاً، أو كثيراً، أو مهما كان نوعه.

وأمّا لا تضرُّوه شيئاً؛ كقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ [التوبة:٣٩]؛ فقد جاءت في سياق عدم الخروج للجهاد، والإعراض عنه؛ رفض الجهاد: وهو أقل درجة من الكفر، والشّرك، ولذلك استعمل معها: ولا تضروه من دون توكيد بدلاً من: ولا تضرونه؛ أيْ: فلا تضرونه شيئاً إن كفرتم، أو آمنتم، ولا تضرونه شيئاً إن جاهدتم، أو كنتم مع الخالفين، أو القاعدين؛ لأنّ الله سبحانه غني عن عباده، وغني عن عبادتهم.

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب، ويحفظ خلقه، ويحفظ على الخلق أعمالهم من خير، وشر، وطاعة، ومعصية يكتبها لهم في سجلات أعمالهم ليثيبهم عليها، أو ليجزيهم عليها، ويحصي عليهم أقوالهم، وأفعالهم، ويعلم ما تكن صدورهم، ونياتهم، ويحفظ عباده من السّوء، والشّياطين، والذّنوب إذا شاء، كما يحفظ السّموات والأرض أن تزولا، أو تقعا.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: لما: ظرفية زمانية، حان نزول العذاب بهم، ولأنه لم يحدد لهم وقت العذاب جاء بـ(لما) كما في قصة عاد ومدين، وجاء بـ(فلما) حين حدد لهم وقت العذاب كما في قصة ثمود ولوط، فصالح قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾، ولوط قال لهم: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾.

﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: الأمر بهلاكهم، أو عذابهم؛ الأمر: العذاب: الرّيح العقيم.

﴿نَجَّيۡنَا﴾: تدل على طول مدة النّجاة، ولم يقل: أنجينا الّتي تدل على سرعة النّجاة.

﴿هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾: رحمة منا، ولم يقل: من عندنا، أو من لدنا رحمة منا رحمة عامة تشمل كلّ مؤمن.

من عندنا ، من لدنا: تدل على أنّها رحمة خاصة بالأنبياء، أو المقربين.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يعني: عدداً كبيراً من الّذين آمنوا معه؛ مقارنة بقوله: ومن معه الّتي تعني: القلة.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: تكرار نجينا؛ تفيد التّوكيد.

﴿مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: شديد شاق ثقيل، لا يقدر عليه أحد.

[٥٩] ﴿وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾:

﴿وَتِلۡكَ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلى قبيلة عاد.

﴿عَادٞ﴾: أي: عادٌ الأولى.

﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: الجحود: إنكار الشّيء الظّاهر مع العلم به، كالآيات الظاهرة والمعلومة لهم، ولذلك قال: جحدوا بآيات ربهم، والجحود: أخص من الإنكار؛ أمّا الإنكار: فيكون للشيء الظّاهر، والشّيء الخفي معاً، وقد يكون مع العلم، أو غير العلم.

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: المعجزات.

﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾: جاء بصيغة الجمع مع أنّ الّذي أرسل إلى عاد هو هود فقط، وذلك؛ لأنّ من عصى رسولاً؛ فقد عصى كلّ الرّسل؛ لأن كلّ رسول يتبع من قبله، ويؤمن به، ورسالتهم واحدة.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: الجبار: الذي يتعاظم بالقهر، أو المتسلط، أو القتّال. وتجبر أبلغ من تكبر، العنيد: الذي لا يقبل الحق، ولا يذعن له، أو المخالف للحق وهو عارف به.

و﴿عَنِيدٍ﴾: صفة مشبهة من فعل عنِدَ؛ صيغة مبالغة في العناد على وزن فعيل.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾: صيغة مبالغة في الاتباع؛ اتّبع: على وزن افتعل؛ أيْ: أشد اتباعاً.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: مرحلة أولى: مرحلة الجحود، ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾: مرحلة ثانية: مرحلة العصيان، ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مرحلة ثالثة: مرحلة التّحدي.

[٦٠] ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾:

فكان عاقبة جحودهم، وعصيانهم، واتباعهم أمر كلّ جبار عنيد: هي اللعنة.

واللعنة: تعني الإبعاد عن رحمة الله تعالى، والطّرد، وأُتْبعوا في هذه الدّنيا لعنة: لعنة أولى تمثلت بالرّيح العقيم، ويوم القيامة: اللعنة الثانية سوف تتمثل بعذاب النّار.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه؛ لما بعدها من الكلام.

﴿إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾: كفروا ربهم: تجمع كلّ أنواع الكفر؛ أنكروا وجوده، ونعمه، وهو أشد أنواع الكفر، لو قال: كفروا ربهم: لكان كفر مقتصر على الإيمان.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه أخرى؛ لما بعدها من الكلام، والتّوكيد.

﴿بُعْدًا﴾: هلاكاً؛ يقال: بَعُدَ بُعْداً؛ بمعنى: هلك، أو بُعداً: أبعدهم الله، أو طردهم من رحمته؛ فلن تنالهم رحمة الله تعالى بعد ذلك. هناك بُعد بعَدهُ لقاء، وهناك: بُعد ليس بعده لقاء، وهي هنا تدل على أنّه بُعداً لا لقاء بعده؛ إلا يوم القيامة؛ بُعداً منصوبة على معنى أبعدهم الله فبعدوا بُعداً؛ أيْ: عن رحمته.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾: أيْ: هلاكاً لعادٍ (قوم هود): توكيد؛ لأن قوم هود هم عاد، وهل هناك فرق بين بعُد: بضم العين، وبَعِدَ بكسر العين؟

العرب تستعمل بعُد: بضم العين في المكان. وبَعِدَ: بالكسر في الهلاك، ثمّ استعملوا بعُد: بالضم في الهلاك.

[٦١] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: أيْ: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً.

﴿أَخَاهُمْ﴾: من القبيلة؛ أيْ: واحداً منهم ليس غريباً عنهم.

﴿صَٰلِحًا﴾: صالح هو الرّسول الثّاني من العرب من أحفاد ثمود.

وثمود: قبيلة سكنت مكان يسمّى الحجر، أو مدائن صالح شمال غرب

المدينة المنورة بـ(٣٨٠كم)، وسمّوا أصحاب الحجر، أو قوم صالح، أو قوم ثمود؛ لهم ثلاثة أسماء، وهم ممن تبقىٰ من قوم عاد.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: قال: يا قوم: نداء فيه حنان، وعطف، وتودُّد من أساليب الدّعوة. والقوم: الرّجال والنّساء.

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: العبادة تشمل الطّاعة فيما أمر به، أو نهىٰ عنه، وتشمل كلّ قول طيب، وعمل صالح، اعبدوا الله وحده. ارجع إلىٰ الآية (٢) من نفس السورة.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿لَكُم مِّنْ﴾: من: استغراقية.

﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: سواه؛ أيْ: لا إله إلا الله، وجاءهم بدليلين علىٰ التّوحيد هما:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: هو: ضمير فصل يدل علىٰ التّوكيد، والحصر.

﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: ابتدأ خلقكم من تراب. ارجع إلىٰ سورة الروم، آية (٢٠)؛ لبيان معنىٰ أنشأكم من الأرض.

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جعلكم عماراً فيها تعمرونها تبنون بيوتكم وتسكنونها، وتعمرونها بالزّراعة، والصّناعة... وغيرها؛ فالإنشاء يسبق الاستعمار، واستعمركم فيها: لا تعني فقط: تبنون بيوتكم فيها، بل تعني: كذلك حين يرث الابن دار أبيه؛ فكأنما أعمره إياها، واستعمركم: قد تعني: استبقاكم فيها (من البقاء)؛ يسكنها مدة بقائه حياً، ثمّ يتركها لغيره.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والسّرعة؛ أي: استغفروه حالاً، وبسرعة، استغفروه من الشّرك، ومن الذّنوب، والمعاصي.

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: ثـم: لا تعني التّرتيب، والتّراخي فـي الزّمن؛ لأنّ التّوبة يجب الإسراع بها، وإنّما التّباين في الصّفات؛ فالتّوبة أفضل من فعل الذّنب، توبة الإنابة من دون ارتكاب ذنب، أو ثمّ: تفيد في التّسلسل في الحوادث، والتّعاقب، استغفروه، ثمّ توبوا إليه.

والتّوبة تعني: الإقلاع عن الذّنب، والنّدم، والإكثار من النوافل، والأعمال الصالحة. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿قَرِيبٌ﴾: يسمع استغفاركم وتوبتكم، أقرب إليكم بعلمه من حبل الوريد.

﴿مُّجِيبٌ﴾: يجيب دعاء الخلق، ويقبل التّوبة، يجيب دعوة الدّاع إذا دعاه.

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا:

[٦٢] ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: أيْ: إنساناً نأمل فيه الخير، والأمانة، وسداد الرّأي، ونرجع إليك للاستشارة، ونأخذ برأيك، وقدَّم فينا على (مرجواً)، وكان بالإمكان أن يقول: قد كنت مرجواً فينا، قدَّم؛ لأنّ الكلام يتعلَّق بهم أولاً بأنفسهم فهم قدَّموا أنفسهم للاهتمام.

﴿قَبْلَ هَٰذَآ﴾: الإنذار؛ أيْ: ترك عبادة الأصنام.

﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد.

﴿نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: ولم يقل: أن نعبد ما عبد آباؤنا، ولكنه جاء بصيغة المضارع للاستمرار في عبادتهم. ما: اسم موصول؛ بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: إننا: إضافة النّون: للتوكيد.

﴿لَفِى شَكٍّ﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل، والشّك: هو استواء طرفي الإثبات، والنّفي؛ لفي شك مما تدعونا إليه مريب: وإننا بكلّ توكيد في شك من عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، والأصنام الّتي عبدها آباؤنا.

﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: من الرّيبة: وهي الشّك، والاتهام.

لنقارن هذه الآية (٦٢) من سورة هود: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

مع الآية (٩) من سورة إبراهيم: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾.

إننا: في آية سورة هود فيها توكيد، وتفصيل؛ لأنّ تكذيب قوم صالح أشد من تكذيب الأقوام في سورة إبراهيم. تدعونا: (الّذي يدعوهم هو نبي واحد)، أما تدعوننا: فـ(الأنبياء أو الرّسل الّذين يدعوهم كثرة).

❖❖❖

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٖ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

سورة هود [الآيات ٦٣ - ٧١]

[٦٣] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾: قال صالح: يا قوم: نداء فيه تودُّد وحنان.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام، تعجُّب، وتقرير، والرّؤية رؤية قلبية، أو فكرية؛ بمعنىٰ: العلم، وبشكل مؤكَّد.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: إن: شرطية.

﴿كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: البيِّنة: الحُجَّة الواضحة، والبرهان القاطع الدّال علىٰ وجوب عبادة الله وحده (ناقة الله لكم آية).

﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: قدَّم منه علىٰ الرّحمة؛ لأنّ الكلام جاء في سياق قدرة الله، وعظمته، وليس في سياق الرّحمة؛ فقدَّم منه.

﴿مِنْهُ رَحْمَةً﴾: النّبوَّة، وقيل: الهداية إلىٰ الله، وقيل: الإيمان والإسلام، وقد تشمل الكلّ؛ رحمة: جاء بصيغة النّكرة؛ لتشمل أكثر من معنىٰ.

﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: الفاء: للتوكيد، من: استفهامية للعاقل، وتعني: المفرد، أو الجمع.

﴿يَنصُرُنِى﴾: ينجيني من عذاب الله.

﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشّك في عصيانه؛ أيْ: عدم طاعته.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: ما: النّافية.

﴿تَزِيدُونَنِي﴾: مضارع، وزيدت فيه نون الوقاية؛ للتوكيد على الزّيادة، أو المبالغة فيها.

﴿تَخْسِيرٍ﴾: تدلّ على الزّيادة في الخسارة، أو الخسران؛ أي: هو أشد الخسارة، ووردت هذه الكلمة تخسير في هذه الآية فقط في كل القرآن.

فما تزيدونني غير تخسير. التخسير: يدل على أمرين: أولاً: لم يربح في تجارته، ولم يحافظ على رأس ماله، بل خسر أيضاً رأس ماله.

أمّا الفرق بين الخسارة والخسران: فالخسران أقوى وأشد من الخسارة؛ كقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الكهف:٨٢]، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، والآية (٢٢) من نفس السورة للمقارنة، ومعرفة معنى الأخسرون، والخسارة، والخسران.

[٦٤] ﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾؟

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ﴾: نداء فيه استعطاف وتودُّد.

﴿هَٰذِهِ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة يدل على القرب.

﴿نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾: سمّاها صالح ناقة الله تشريفاً للناقة الّتي هي معجزة من عند الله؛ فقد طلبوا منه معجزة، أو آية تثبت لهم نبوته فطلبوا أن يخرج لهم من إحدى صخور الجبل الصّماء ناقة، وسنرى ذلك في آيات وسور أخرى، قال: ناقة الله لكم آية: لكم خاصة، وليس لكلّ البشر، ولم يقل: ناقة الله آية لكم؛ لدل ذلك على أنّ الآية لهم ولغيرهم.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: وقوله: ناقة الله، أو أرض الله؛ لأنّ كلّ ما في الكون من كائنات، ومملوكات هي لله سبحانه.

﴿فَذَرُوهَا﴾: اتركوها تأكل مما تشاء، وأين تشاء، وكيف تشاء، وليس عليكم رزقها، أو تدبيرها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: ولم يقل: لا تقتلوها، بل نهى عن مجرد مس النّاقة بأيِّ سوء، أو أذىٰ، بسوء نكرة مهما كان شكله، ونوعه، ولو كان أدنىٰ القليل، وغيره من أنواع الأذىٰ. والسّوء أعم من القتل؛ أيْ: يشمل القتل.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: قال لهم صالح هذا بعد أن عقروا الناقة قال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾، ولذلك قال تعالىٰ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وفي بداية الدّعوة حذرهم، وقال لهم: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كما ورد في سورة الأعراف آية (٧٣)، وفي سورة الشعراء آية (١٥٦): ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ كان هذا في نهاية الدعوة والتحدي والإعراض. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٣) للمقارنة، وإلىٰ الشعراء آية (١٥٦).

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾:

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ عقروها: من العقر، والعقر: هو القطع، ويأتي بمعنىٰ الذّبح، ولو قطعَ أيِّ عضو من أعضاء النّاقة يسمىٰ عقراً؛ فهم لم يكتفوا بقطع، أو بتر عضو، بل ذبحوا النّاقة.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: تدل علىٰ الجمع قال: عقروها؛ لأنّهم اشتركوا في المؤامرة علىٰ عقرها (تسعة رهط)، كما ورد في سورة النمل، الآية (٤٨)؛ أمّا في سورة القمر، آية (٢٩)؛ فتعاطىٰ (أيْ: سيفه)؛ فعقر تدل علىٰ الّذي قتل النّاقة هو كما قيل قدار بن سالف.

﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: أيْ: عيشوا فيها ثلاثة أيّام، وكلوا واشربوا.

﴿فِى دَارِكُمْ﴾: الدّار تعني: البلدة، أو القرية، أما دياركم تعني: المنازل، أو المساكن.

﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: مكذوب: صيغة مبالغة من كذب؛ أيْ: وعد صادق لا ريب فيه. والوعد عادة يأتي في الخير، واستعماله هنا للتهكم، وهو من قبيل تأكيد الشيء بنفي نقيضه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب، والسّرعة (ثلاثة أيّام).

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: جاء، ولم يقل: أتى؛ لأنّ في المجيء صعوبة ومشقة والإتيان فيه سهولة، وخفة.

﴿أَمْرُنَا﴾: العذاب: هو الصّيحة.

﴿نَجَّيْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السّورة.

﴿صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: الّذين تدل على كثرة الّذين آمنوا معه؛ أيْ: اتبعوه.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: قدَّم الرّحمة هنا لتتسع لمن آمن، ولم يكن تقياً؛ لأنّه في آية أخرى ذكر نجينا الّذين آمنوا، وكانوا يتقون، فذكر الرّحمة هنا أغنى عن ذكرى التّقوى.

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: الإذلال، والقهر يوم القيامة. انظر إلى كلمة (يومئذٍ): هذه فقد وردت في سورة المعارج آية (١١) وهي قوله تعالى: ﴿لَّوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾، وإعرابها يكون كالتالي: يوم: مضاف إليه مجرور؛ إذ: ظرف (زماني أو مكاني) مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، والتنوين: هو تنوين العوض عن جملة محذوفة مقدرة نجينا، ويومئذٍ: تختلف عن يومئذ كما في الآية (٤٢) من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ يومَ: ظرف زمان منصوب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: إنّ تفيد التّوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: ضمير فصل للحصر، والتّوكيد.

﴿ٱلْقَوِىُّ﴾: القادر على كلّ شيء كامل القوّة عظيم القدرة.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع، ولا يكون ذلك إلا بكونه قوياً، ولذلك دائماً يقدِّم القوي على العزيز؛ لأنّ العزة مبنيَّة على القوَّة.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾:

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾: الصيحة: صيحة من السماء؛ ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٤١)؛ للبيان، وأخذ: ولم يقل: وأخذت كما ورد في قوم شعيب في الآية (٩٤) من سورة هود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾، جاء بصيغة التّذكير الّتي تدل على الشّدة، والقوّة من أخذت بصيغة التأنيث (يستعمل صيغة المذكر مع الأشد)؛ أيْ: أخذ أشد من أخذت.

فالصّيحة الّتي حلت بقوم صالح أشد كثيراً من الصّيحة الّتي حلت بقوم شعيب؛ إذن: الموقف مختلف من حيث العذاب وشدته، ونوعه، وسمّى الله سبحانه هذا العذاب بالصّيحة وسمّاه بالرجفة، والطّاغية، والصّاعقة، كما ورد في سورة الأعراف، آية (٧٨): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، وفي سورة الحاقة، الآية (٥): ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾، وفي سورة فصلت، آية (١٣): ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾.

﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب.

﴿فِى دِيَٰرِهِمْ﴾: وقيل: في ديارهم، مساكنهم أو بيوتهم، ولو قال دارهم كما ورد في سورة الأعراف آية (٧٨) تعني: بدلم أو وطنهم؛ فأصابتهم الصّيحة أينما كانوا وأحلوا. وجاءت كلمة الصيحة مصاحبة ديارهم في آيتين في سورة هود (آية:٦٧، ٩٤)، وجاءت كلمة الرجفة مصاحبة دارهم في ثلاث آيات، وقيل الصيحة أشد من الرجفة في الهلاك والبُعد.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: الجاثم: من لزم مكانه، ولم يبرح، أو لصق بالأرض بعد انتزاع روحه.

[٦٨] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾:

﴿كَأَن لَّمْ﴾: الكاف: للتشبيه، وإنّ: للتوكيد، والتّشبيه بكأن أبلغ من التّشبيه بالكاف؛ تفيد التّقريب.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: أيْ: يعمروها، أو يطول مقامهم فيها، ويغنوا من الغناء؛ أي: الوجود، أو الإقامة؛ أيْ: كأن لم يكونوا موجودين، أو أحياءً، أو يغنوا من الغنىٰ، وكثرة المال؛ أيْ: كأنّهم لم يكونوا أغنياءَ، وفي سعة من العيش. فيها: تعود إلىٰ الديار.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه لما يرد بعدها من الكلام.

﴿إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٠)؛ للبيان.

﴿بُعْدًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٠) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿لِّثَمُودَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد.

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: تزيد التّوكيد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾: جبريل عليه السلام، ومعه ملكان؛ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: البشارة بالولد، وهو المرجَّح، وقيل: بهلاك قوم لوط،

والبشـــرىٰ عادة هي الإخبار بشيء يَسرُّ قبل أوان وقوعه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾: أيْ: نسلم سلاماً (جملة فعلية تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار).

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾: قال إبراهيم رداً عليهم: ســلام؛ أيْ: ســلام عليكم؛ جملة اســمية تدل علىٰ الثّبوت، والجملة الاســمية: أقوىٰ من الفعلية؛ فيكون إبراهيم قد رد التّحية بأحســن منها، كما قال سبحانه في القرآن: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والسّرعة.

﴿لَبِثَ﴾: أسرع بإعداد الطّعام، وإحضاره للضيوف، وهذا دلالة علىٰ جوده وكرمه.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يدل علىٰ التّوكيد، أو التّعليل.

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: العجل هو ولد البقرة.

﴿حَنِيذٍ﴾: مشوي علىٰ الحجارة المحماة، وقيل: حنيذ يقطر دسماً، وحنذ الشّاة شواها، وفي الذّاريات، الآية (٢٦): ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: دلالة علىٰ كرمه، وحبه للضيف.

وحنيذ: لا تعني سمين، سمين تصف العجل، وحنيذ كيف أعده وشواه.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، لما: ظرف زماني بمعنىٰ: حين.

﴿رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: رأىٰ إبراهيم أيــديَ الملائكة (وهو لمَّا يعرفهم بعد أنّهم ملائكة) لا تمتد إلىٰ الطّعام لتأكل؛ لأنّ الملائكة لا يأكلون.

﴿نَكِرَهُمْ﴾: شعر بشيء على غير ما تعهد أنكر عليهم ذلك، لم يصدق ذلك، أو شعر بشيء غير مألوف؛ لأنّ العرف إذا نزل بهم ضيف يأكل ويشرب، ولا يمتنع عن ذلك إلا إذا جاء طالباً شيئاً؛ فلا يأكل حتّى يستجاب لطلبه، ثمّ يأكل، أو إذا جاء ينوي الشّر؛ فإذا أكل أمنوه.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾: أوجس: أضمر، أو أحس، وشعر بالخوف، حاول أن يضمر، ويخفي شعوره بالخوف منهم، وأن لا يظهر خائفاً، ولكن سرعان ما ظهر الخوف على وجهه، ولم يستطع أن يخفيه؛ فلما رأى الملائكة ذلك قالوا له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾، وفي آية أخرى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر:٥٣].

أوجس من الإيجاس: من الوجس؛ إضمار الخوف والفزع الّذي يقع في القلب.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ الآية تتحدث عن إبراهيم عليه السلام.

مع الآية (٦٧) من سورة طه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ الآية تتحدث عن موسى عليه السلام.

ما هو الفرق بين الآيتين: أوجس منهم خيفة؛ أيْ: إبراهيم عليه السلام شعر بالخوف من الملائكة، وحاول إخفاءَه في نفسه، وعدم إظهاره للملائكة، ولكن سرعان ما ظهر الخوف على وجهه؛ فعلموا: أنّه خائف؛ فقالوا له: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وتقديم كلمة منهم يدل على أنّ الخوف كان منهم وحدهم لا من غيرهم.

بينما في سورة طه: أوجس موسى عليه السلام في نفسه خيفة؛ أيْ: شعر بالخوف، وأضمره، وحاول إخفاءَه في نفسه، وعدم إظهاره للسحرة، وبعون الله استطاع موسى إخفاءَه، وعدم إظهاره للسحرة، ولو ظهر على وجه موسى لدلَّ ذلك على ضعف موسى أمام السّحرة، وفرعون، والملأ، والموقف لا يسمح بذلك؛ فهو موقف تحدٍّ وإعجاز.

إذن الفرق بينهما: إبراهيم عليه السلام لم يستطع كتمان خوفه؛ فظهر عليه أنه خائف؛ بينما موسىٰ عليه السلام استطاع أن يكتم خوفه عن السّحرة بعون الله.

[٧١] ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾: امرأة إبراهيم سارة بنت هاران.

﴿قَآئِمَةٞ﴾: وراء الستار، أو الحجاب؛ تسمع كلامهم، أو قائمة تخدمهم، أو قائمة بخدمة الرّسل، وإبراهيم جالس معهم. وقيل: قائمة تصلي.

﴿فَضَحِكَتۡ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، ضحكت: هو الضّحك المعروف، وهو المرجح. وقيل: الضحك: التعجب.

وسبب ضحكها: هو البشارة بالولد، وهي عجوز عقيم، وقيل: إنّ في الآية تقديماً، وتأخيراً؛ أيْ: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب؛ فضحكت من شدة الفرح بالولد، وابن الولد، وقيل: سبب ضحكها؛ لما علمت ما سيحل بقوم لوط من الهلاك والدّمار، ومن التّفاسير النّادرة ضحكت؛ أيْ: حاضت شعرت بدم الحيض.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾: الفاء: تدل علىٰ التّعقيب، والتّرتيب، والبشارة: هي الخبر السّار الّذي يُسمع لأوّل مرة، ويؤدِّي إلىٰ ظهور علامات السّرور علىٰ بشرة الوجه ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩).

﴿بِإِسۡحَٰقَ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والقرب.

﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾: أيْ: من بعد إسحاق عليه السلام يعقوب، الوراء: تعني: هنا ولد الولد (يعقوب).

❖ ❖ ❖

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

سورة هود [الآيات ٧٢ - ٨١]

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: سارة زوجة إبراهيم.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: يا: النّداء، ويلـه: وأبدلت الياء في ويلتي بالألف لمد الصّوت في التّعجب، وكلمة يا ويلتىٰ تقال عند وقوع الأمر العظيم خيراً كان أم شراً، وعند الجزع ووقع الدّاهية العظيمة، يقال للتعجب مما حل به، وقد تعني: يا فضيحتاه، وقد تعني الهلاك؛ أيْ: يا هلاكي (يا أيها الموت) أقبل وخلصني مما أنا فيه، وهو دعاء علىٰ النّفس بالويل، والويل من معانيه الهلاك.

إذنْ يـا ويلتي: للتعجـب، أو : يا فضيحتاه، أو: يا هلاكـي، والأغلب أنّها قالتها للتعجب.

﴿ءَأَلِدُ﴾: الهمزة: للتعجب، والاسـتبعاد، أألد وأنا عجوز عقيم، أألد وقد بلغني الكبر. قيل: كان عمرها يتجاوز (٩٠ عاماً).

﴿وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾: أنا: ضمير فصل. عجوز: مشتقة من العجز، والعجز يعني: عدم القيام، والقدرة علىٰ الحركة بسهولة.

ومن تقدَّم به العمـر يصبح عجوزاً، ومن الصعب تحديد عمرٍ محدَّدٍ يطلق فيه علىٰ المرأة عجوز.

﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾: وهذا اسم إشارة للقرب؛ لكون إبراهيم قريباً منها.

﴿بَعْلِى﴾: زوجي، ويسـمَّىٰ زوج المرأة بعلاً؛ لأنّه القائم علىٰ أمر زوجته، فلا يحوجها إلىٰ شيء من الأشياء، ويقال للنخل، أو بعض الزّرع: بالبعل؛ لكونه لا يحتـاج إلىٰ مطر، أو سـقي، ويكتفي بما يمتصه مـن الأرض، وقيل: البعال:

النّكاح، والمباعلة حسن المعاشرة، وامرأة حسنة التبعل؛ أيْ: مطاوعة لزوجها، وفي كلمة البعال: معنىٰ المعاشرة الجنسية الّتي تؤدِّي إلىٰ الإخصاب.

﴿شَيْخًا﴾: الشّيخ: لقب يطلق علىٰ الإنسان الّذي تقدَّم في السّن، أو تطلق عليه لمكانته، ولمنزلته بين النّاس.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ﴾: إنّ: للتوكيد، هذا: اسم إشارة للقرب، والهاء: للتنبيه.

﴿لَشَيْءٌ﴾: اللام: لام التّوكيد، شيء: أمر عجيب.

﴿عَجِيبٌ﴾: صيغة مبالغة من عجب، وعجيب وعُجاب؛ أيْ: شيء يخالف السّنن الكونية، أو خارقاً للعادة. ارجع إلىٰ سورة ق، آية (٢)؛ للبيان، وسورة (ص) آية (٥) لمعرفة الفرق بين عجيب وعجاب وعجباً.

[٧٣] ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾:

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: قالوا؛ أي: الرّسل. الهمزة: للاستفهام، فيه معنىٰ النّفي؛ أيْ: لا تعجبين من أمر الله، وقضائه، وقدره.

﴿رَحْمَتُ اللَّهِ﴾: الرّحمة عامة، وتعني: الإنعام، وجلب ما يَسرُّ، ودفع ما يَضرُّ (الوقاية من الضّرر).

﴿وَبَرَكَاتُهُ﴾: والبركة جزء من الرّحمة، والبركات النّمو، والزّيادة.

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: أهل البيت: إبراهيم، وزوجته.

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: إنّه: إن: للتوكيد، والهاء: تعود علىٰ الله سبحانه، المحمود في أفعاله، يستحق الحمد علىٰ الدّوام، علىٰ وزن فعيل صيغة مبالغة؛ لأن جميع المخلوقات من أهل السّموات، والأرض تنطق بحمده، ويُحمد علىٰ ما له من الأسماء، والصّفات فيحمد لذاته، ويحمد لصفاته، ولأفعاله، وقد تردَّد هذا الاسم حميد سبع عشرة مرة في القرآن المجيد.

﴿مَّجِيدٌ﴾: أصل المجد الرّفعة، ذو المجد، والرّفعة، والشّرف التام، والكرم، والعظمة، ومجده: عظمته، والثناء عليه.

وقيل: المجيد هو الّذي عظم كرمه، وهذه الآية الوحيدة الّتي ذكر فيها هذا الاسم المجيد.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. لما: ظرف زماني يعني: حين، ومتضمّن معنىٰ الشّرط.

﴿ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: انقباض في النفس منبعه القلق والاضطراب والإنكار الّذي أصاب قلبه، وذهب الغم عنه فرغ للمجادلة؛ راح يجادلنا في قوم لوط.

﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: تذكر، أو خطر علىٰ قلبه الخبر السّار الّذي أخبر به الملائكة بأنّ الله سيرزقه الغلام، وأن الملائكة ذاهبون إلىٰ قوم لوط؛ ليرسلوا عليهم حجارة من طين.

﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾: لم يبيِّن في هذه الآية نوع الجدال، ولكن بيَّنه في آية أخرىٰ في سورة العنكبوت، الآية (٣١-٣٢): ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

والجدال: هو الحوار الّذي يحدث بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق، أو إظهار حُجة، أو دفع شبهة.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: لحليم: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد؛ حليم: صفة

مبالغة من الحلم لا يتسرع يصبر، ولا يتعجل، ولا يغضب بسرعة صبور على الأذى، ولا يستعجل في الانتقام؛ صفوح.

﴿أَوَّاهٌ﴾: كثير التّأوه؛ أي: الخوف، والتّضرع إلى الله، والنّدم على الذنب.

﴿مُّنِيبٌ﴾: سريع التوبة بعد الذّنب، وكثير الرّجوع إلى الله والتّوبة، وفي سورة التوبة آية (١١٤) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر صفتين من أصل ثلاث صفات لإبراهيم؛ لأن سورة التوبة تتحدث فقط عن استغفار إبراهيم لأبيه (عمه).

[٧٦] ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾:

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: أعرض عن الجدال في قوم لوط؛ أيْ: قالت له الملائكة: يا إبراهيم كف عن الجدال في أمر قوم لوط إنّه قد جاء أمر ربك حيث قيل: إنّ إبراهيم لما سمع قولهم إنا مهلكو أهل هذه القرية إنّ أهلها كانوا ظالمين.

قال: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا؛ قال: فأربعون؟ قالوا: لا؛ وهكذا عشرون؟ عشرة؟ خمسة؟ قال: فواحد؟ قالوا: لا؛ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:٣٢]. هذا قول ابن إسحاق وغيره.

﴿إِنَّهُۥ قَدْ﴾: إنّ: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذاب ربك، وقضائه، وقدره على قوم لوط.

﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: أي: العذاب نازل بهم لا محالة، وغير مصروف عنهم لا بجدال، ولا بدعاء، أو تحويل، أو تبديل.

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: لما: ظرف زماني بمعنى: وحين، وفي سورة الحجر آية (٦١) قال

تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ الفاء: تدل علىٰ التعقيب والمباشرة؛ أي: بعد أن تركوا إبراهيم عليه السلام.

﴿ جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾: أيْ: ساءَه مجيئهم (أحزنه مجيئهم لعنده)، أو استاء من حضورهم، وأصابه غم؛ لاعتقاده أنّهم بشر، وليس ملائكة، وفي سورة العنكبوت آية (٣٣) قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ زاد (أن)؛ ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٣٣) للبيان.

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾: لم يعد يُطيق، أو يتحمل وجودهم عنده، ضاق بهم صبره ووسْعُه، خوفاً من عدم استطاعته علىٰ تخليصهم من أيدي قومه، أو أذىٰ قومه، ورغبتهم في فعل الفاحشة في هؤلاء الضّيوف. والذّرع: يعني: الطاقة والقدرة؛ لأنّ الذّراع واليد عنوان الطّاقة والقدرة، ووجودهم عنده، ومحاولة حمايتهم من قومه أمر فوق طاقته وقوته.

﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾: يوم شرُّه عظيم، وعصيب اشتقت من العصابة الّتي يربطها الإنسان علىٰ رأسه حين يعاني من شدة الصّداع، وغيره، أو عصيب مشتقة من العصب، وجمعها الأعصاب، ويعني: يوم مليء بالصداع؛ أي: هذا يوم شديد شره وبلاؤه.

[٧٨] ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾:

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾: يُسرعون إليه (يهرولون)، ويحث بعضهم بعضاً مندفعين إلىٰ دار لوط بدافع الشّهوة، أو بجرأة، ونشاط، وقيل: الأصل في كلمة يُهرعون: جاءت من مشي الأسير الّذي يُسرع به.

﴿ وَمِن قَبْلُ ﴾: أيْ: من قبل مجيء هؤلاء الملائكة، أو من قبل مجيء قوم لوط مسرعين إلىٰ منزله وضيوفه.

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يعملون: يقولون، ويفعلون. السّيئات: فعل الفاحشة، والمنكرات في ناديهم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾: قال لوط لهم عندما وصلوا إلىٰ منزله:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب.

﴿بَنَاتِىٓ﴾: قيل: نساء قومه، أو بناته من صلبه. بناتي جمع بنت، فتزوَّجوهن؛ لأنّ كلّ نبي يعتبر أبو أمته، وكان تزويج المسلم من الكافر جائزاً آنذاك، ولم يكن تشريع التّحريم قد نزل بعد؛ قاله الحسن، أو كان هذا بشرط إسلامهم؛ قاله الزجاج.

﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: بالزّواج، وأطهر من اللواط.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافوا الله، خافوا نقمته وعقابه، وأطيعوا أوامره، واجتنبوا الفاحشة.

﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾: لا: النّاهية، تخزوني: من الخزي، وهو الفضيحة أمام النّاس، والهوان، والذّل، والعار؛ أيْ: لا تفضحوني أمام النّاس، وتجعلوا عليَّ العار.

﴿ضَيْفِىٓ﴾: تطلق علىٰ المفرد، والمثنىٰ، والجمع.

﴿أَلَيْسَ﴾: استفهام فيه معنىٰ التّعجب، والتّوبيخ.

﴿مِنكُمْ﴾: أيْ: من القوم، من قوم لوط أنفسهم منكم خاصة.

ولم يقل: أليس فيكم؛ فيكم: قد تعني: رجل زائر، أو قادم إليهم، أو كائن بينهم، وليس من قوم لوط. فيكم: ولأن فيهم لوطاً، أو أهله.

﴿رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: رجل صالح مستقيم؛ أيْ: ذو صلاح، واستقامة، ورشيد

من الرّشد، والرّشـــد: هو الصّلاح، والاستقامة في الدّين، وتعني: المرشد الدّال على الخير، والمعروف.

[٧٩] ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾:

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ﴾: قـــال: قوم لوط للـــوط: لقد: اللام: للتوكيـــد؛ قد: للتحقيق (زيادة التّوكيد).

﴿عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حق: من حاجة؛ أيْ: أنت تعلم أننا لا نريد بناتك؛ لأننا ليس لنا رغبة فيهنَّ، أو الزواج بهنَّ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: إنّـــك: إنّ: للتوكيد؛ لتعلم: الـــلام: للتوكيد؛ تعلم ما نريد: أيْ: ضيوفك الرّجال للقيام بالفاحشة.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾:

﴿قَالَ لَوْ﴾: قال لوط؛ لو: شرطية للتمني حرف امتناع لامتناع ﴿أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، والجواب: محذوف، تقديره: لمنعتكم من ارتكاب هذه الفاحشة.

﴿أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾: أنّ: تفيد التّوكيد.

﴿لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾: أيْ: قوّة تنصرني عليكم، أو أدافع بها.

﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أو: للاختيـــار؛ آوي إلـــى ركن شـــديد: ألجأ، أو لي عشـــيرة قوية تنصرني عليكم، أو تحمني، وتحمـــي ضيوفي. وقد تعجب رســـول الله ﷺ من قول لوط، فقال: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد». رواه البخاري، والإمام أحمد في مسنده.

[٨١] ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا

يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾:

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾: قالوا؛ أي: الملائكة.

﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾: وهكذا أخبر الملائكة لوطاً ﷺ لأوّل مرة بأنّهم رسل من الله.

﴿ رُسُلُ رَبِّكَ ﴾: رُسُل: جمع رسول، أو مرسل من ربه، ويدل على أنّهم ثلاثة، أو أكثر.

﴿ لَن ﴾: حرف نفي للمستقبل القريب، والبعيد.

﴿ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾: بأيٍّ سوء بسببنا، ثمّ أخبرته الملائكة أيضاً.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾: من أسرى: السّير ليلاً، والباء: معناها المصاحبة، فأسر بأهلك؛ أي: اخرج ليلاً، وهناك فرق بين أسرى: سار أول الليل، وسَرَى: سار آخر الليل.

﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾: قطعٍ: جمع قطعة؛ أي: جزءاً؛ أي: أسر بأهلك في جزءٍ من الليل، أو من آخر الليل.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾: لا: النّاهية؛ لا يلتفت ورائه التفات حسي.

﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾: أيْ: لا تَسْرِ بها، ولا تخرج معكم؛ إنها من الغابرين؛ أي: الهالكين، فهذا الاحتمال هو الأقوى.

أو أسر بأهلك إلا امرأتك: الاستثناء متعلِّق بالإسراء، وقد يحتمل الاستثناء أن يكون متعلِّقاً بكلمة يلتفت؛ فيكون المعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، وعلى هذا تكون قد سرت معهم، ولكنها التفتت فأصابها العذاب، وهذا احتمال ضئيل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٥) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ

تُؤْمَرُونَ ﴾ ففي هذ الآية لم يذكر إلا امرأتــه؛ لأن ذكرها جاء في الآية (٥٩-٦٠) من سورة الحجر حيث قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾، وأيضاً في ســورة الحجر أضاف قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ فهذا يدل علىٰ أن لوطاً يمشــي ورائهم ويعلم أن امرأته ليست معهم.

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿مَآ ﴾: بمعنىٰ: الّذي.

﴿أَصَابَهُمْ ﴾: رغم كونه لم يحدث بعد جاء به بالفعل الماضي، وكأنّه حدث وانتهىٰ.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾: ردّاً علىٰ سؤال لوط للملائكة عن وقت إهلاكهم، موعدهم الصّبح، واختار الصّبــح؛ لأنّه وقت النّوم العميق، والهدوء، وعلىٰ غير استعداد؛ فيكون العذاب أشد فيوقظهم من نومهم.

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾: الهمزة: استفهام تقريري.

﴿ٱلصُّبْحُ ﴾: هو الزّمن الّذي يلي الفجر، ويطلق علىٰ أول النّهار، وفي سورة الحجر آية (٧٣) قــال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ فإذا جمعنا بين الاثنين نجد أن عذابهم ابتدأ الصبح، واســتمر حتىٰ شروق الشمس، فآية هود تدل علىٰ زمن بدء العذاب، وآية الحجر تدل علىٰ زمن انتهاء العذاب.

❖❖❖

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن
نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

سورة هود [الآيات ٨٢ - ٨٨]

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب؛ لما: ظرفية بمعنىٰ: حين.

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: جعلنا: قرىٰ قوم لوط عاليها سافلها؛ أيْ: قلبناها انقلاباً تاماً بعد رفعها إلىٰ أعالي السّماء، ثمّ قلبها، وتركها تهوي علىٰ الأرض، ولذلك سميت المؤتفكات في سورة براءة آية (٧٠)

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: وأمطرنا علىٰ هذه القرىٰ بعد تدميرها حجارة، والحجارة كانت من سجيل منضود، وقوله تعالىٰ: (عليها): تعني علىٰ قرىٰ قوم لوط، والقرية: تعني أهلها ومنازلها؛ أي: المطر أصاب الكل، وفي سورة الحجر آية (٧٤) قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ففي هذه الآية عاد وذكر أهلها للاهتمام والتوكيد، وإذا علمنا أن سورة هود نزلت (ترتيب النزول) قبل سورة الحجر (أي: ذكر الخاص بعد ذكر العام). ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٤) لمزيد من البيان.

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾: حجارة من طين طبخت بالنّار بدليل الآية الأخرىٰ في سورة الذّاريات، الآية (٣٣): ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: طين قد تحجَّر، ولعلها تُشبه الأستروئيد الّتي هي أجزاء من الكواكب المتناثرة الّتي تسقط علىٰ الأرض.

﴿مَنضُودٍ﴾: متتابع في النّزول، من النّضد: وهو وضع الشّيء بعضه على بعض؛ نضده: فهو منضود. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان، وسورة النحل آية (٥٨).

وقد أثبتت الدراسات العلمية على هذه الحجارة الّتي لا زال بعضها موجود إلى يومنا هذا في مناطق قرى لوط أنها حجارة مركبة من كيماوية خاصة لا تخص الأرض.

[٨٣] ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾:

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾: معلَّمة لها علامة خاصة مميزة، أو مسوَّمة معروفة من أيِّ الكواكب انفجرت، أو مركبة من معادن خاصة مميزة.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: أيْ: ليس قرى لوط من كفار قريش.

﴿الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: ولم يقل: ببعيدة، وفي هذا تحذير وتنبيه لكفار مكة بأن يأخذوا ما وقع لقوم لوط بحذر وعبرة، وما هي من الظالمين ببعيد، قد يعني: كلّ ظالم، ويعني: اليهود، أو قوم لوط أنفسهم.

[٨٤] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: وأرسلنا إلى مدين: اسم قبيلة؛ قبيلة مدين بن إبراهيم عليه السلام، أو اسم لمدينة مدين نسبة إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام، ثمّ انتقل اسمه فأطلق على اسم قبيلته، أو اسم مكان إقامتهم؛ كقوله: ولما ورد ماء مدين، فصارت مدين علماً على المكان، أو القبيلة، ومدين نبع قرب البحر الأحمر.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: شعيب: هو النّبي العربي الّذي أرسل إلىٰ قبيلة مدين، أو أرسل إلىٰ مدينة مدين كلاهما صحيح، وسُمِّي أخاهم؛ لأنّه نشأ بينهم، وتحلّىٰ بعادتهم؛ فهم يعرفونه بأخلاقه وسيرته، بينما في سورة الشعراء آية (١٧٦-١٧٧): ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في آية هود؛ لأن شعيب ليس من أصحاب الأيكة؛ أي: ليس له نسب فيهم، وإنما أرسل إليهم كما أرسل إلىٰ أصحاب مدين.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: وبدأ دعوته لقومه كما بدأ غيره من الرّسل بدعوتهم إلىٰ عبادة الله وحده (لا إله إلا الله)، كما فعل كلّ رسول حيث كان أهل مدين يعبدون الأصنام، ويمتازون بالغش في الأسواق، والتّجارة، وكانوا يقطعون الطّرق، ويفسدون في الأرض بالقتل والسرقة، والتّطفيف في الميزان، والمكيال.

فشعيب أرسل ليصلح الحالة الاقتصادية السيئة، والفساد في الأرض الّذي يقوم به قومه؛ بينما لوط أرسل ليصلح حالة اجتماعية فاسدة، وهي اللواطة، والمنكر ، إضافة إلىٰ الدّعوة إلىٰ الله.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: النّاهية.

﴿تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: الخطاب موجّه إلىٰ كلّ من البائع، والمشتري معاً؛ بعدم التّلاعب بالمكيال، والميزان بالزّيادة، أو النّقص؛ سواء حين البيع، أو حين الشّراء.

﴿الْمِكْيَالَ﴾: هو كلّ شيء يكال به من قمح، أو زبيب، أو تمر، أو حليب، أو غيره يسمّىٰ المكيال.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: كلّ شيء يوزن به سُمِّي الميزان؛ لوزن السّلع، والبضائع، والذّهب، والفضة... وغيرها.

فقد كان بعضهم إذا باع أنقص من الوزن، أو المكيال للمشتري، وإذا أراد أن يشتري البضاعة زاد في الوزن، أو المكيال؛ كي يأخذ أكثر من حقه من البائع، فجاءت هذه الآية تأمر كلّ إنسان أن يأخذ حقَّه فقط.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: إنّي: توكيد.

﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: في سعة من الرّزق، والنّعمة، والبركات؛ يُغنيكم عن التّطفيف في المكيال والميزان.

﴿وَإِنِّيٓ﴾: توكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إذا لم تؤمنوا، وتنتهوا عن البخس، والنّقص.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: صفة لليوم؛ أيْ: يوم مهلك لكل شيء، وقيل: هو صفة للعذاب، وهذا أبلغ عذاب محيط بكلّ فرد لا ينجو منه أحد.

[٨٥] ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: ويكرِّر شعيب عليهم الأمر نفسه؛ لأنّ النّهي عن النّقصان يعني: الإيفاء بالوزن والمكيال؛ للتوكيد، وزيادة التّرغيب في القيام بذلك.

وإيفاء المكيال والميزان بالقسط أمر واجب، وبالقسط يعني: إقامة العدل، وتطبيقه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا: النّاهية؛ البخس: النّقصان؛ أي: ولا تنقصوا النّاس بالظّلم بالغش، والخداع، أو الغصب، وأشياء مفردها شيء، وتعني: جنس تمر قمح، أو ثمر، أو مال، أو أجر يشمل كلّ شيء، ومهما كان نوعه، وقليلاً، أو كثيراً.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا: النّاهية؛ تعثوا: من عثا يعثو؛ يعني: أفسد أشد الفساد؛ أيْ: ولا تفسدوا في الأرض بالسّرقة، أو القتل، أو الاغتصاب، والرّشوة، وأكل أموال النّاس بالباطل.

﴿مُفْسِدِينَ﴾: خارجين عن ضوابط الشّرع، والاستقامة، والتّوحيد، والسّلوك. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان.

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾، بينما في سورة الأنعام، والإسراء:

الأنعام: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [آية:١٥٢].

الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [آية:٣٥].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾؛ أيْ: وقت كيلكم، علىٰ سبيل التّأكيد، وعدم تأخيره.

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾:

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: اسم مصدر من بقي، ما بقي لكم بعد إيفاء المكيال، والميزان بالقسط، كثيراً كان أو قليلاً خير لكم؛ لأنّه من الحلال، وهو أفضل مما تأخذونه من الحرام؛ فأيُّ سحت، أو حرام لا يبارك الله فيه، أو تعني: ما يبقىٰ لكم عند الله من الصّالحات. وانظر إلىٰ كيفية كتابة (بقيت) في هذه الآية بالتاء المفتوحة،

وانظر إلىٰ كيفية كتابة (بقية) في الآية (١١٦) من نفس السورة ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ بالتاء المربوطة، وكذلك في آية (٢٤٨) من سورة البقرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾؛ فهذا يدل علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وإذا نظرنا إلىٰ السياق نجد (بقيت) بالتاء المفتوحة: جاءت في سياق كثرة البقية أو (المعنوية)، و(بقية) بالتاء المربوطة: جاءت في سياق القلة: قلة البقية، أو في سياق الأمور المحسوسة أو المادية.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أيْ: بشرط أن تؤمنوا؛ أيْ: تصدقوا بما أقول لكم وأدلكم عليه، وتؤمنوا بالله وحدَه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: وما بعثت رقيباً علىٰ أعمالكم، أو محصيها لكم، ولا لأحفظها عليكم، وأحاسبكم عليها إنما أنا مبلغ، ومنذر، وما أنا قادر علىٰ حفظكم من عذاب الله إن حلَّ، أو نزل بكم.

[٨٧] ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾:

﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتهكُّم؛ تعني: الصّلاة العادية؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]؛ حيث كان شعيب كثير الصّلاة قالوا ذلك من قبيل الاستهزاء والسّخرية.

وقيل: الصّلاة: الدِّين؛ لأنّ الصّلاة هي عماد الدّين؛ أيْ: أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو الصّلاة العادية.

﴿أَن﴾: حرف مصدري تفيد التّوكيد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الّذي يعبدُ آباؤنا؛ أيْ: نترك عبادة آبائنا، أو معبود آبائنا، أو نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من تطفيف، وبخس، أو ما نشاء من الأشياء الحلال، أو الحرام.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: قول تهكُّم وسخرية، فهم لا يؤمنون به أصلاً، وبأنّه الحليم الرّشيد.

﴿إِنَّكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَأَنتَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وظاهر الآية الكريمة وحقيقتها الاستهزاء؛ أيْ: قالوا ذلك استهزاء به.

﴿ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: الحليم: من الحلم، وهو الأناة، والتّريث، وضبط النّفس، وعدم الغضب، وبعيد عن الحمق، والسّفه.

﴿ٱلرَّشِيدُ﴾: الرّجل الصّالح المستقيم، أو ذو الصّلاح، والاستقامة، أو المرشد الدّال على الخير، والحلال، والطّيب؛ الرّشد: ضد السّفه.

[٨٨] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: ارجع إلى الآية (٦٣) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: رزقني منه النّبوّة، والعلم، والمعرفة.

﴿رِزْقًا﴾: نكرة تشمل كلّ أنواع الرّزق بما فيه المال، والطّعام، والملبس، والأهل.

﴿حَسَنًا﴾: الرّزق الحلال الطّيب الواسع، وتعني: كذلك المال وغيرها.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾: أيْ: ما النّافية؛ أيْ: ليس في نيتي.

﴿إِنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد؛ أن أنهاكم عن أمر، أو شيء، وأفعله، وإنما أنهىٰ نفسي أوّلاً عن فعله، ثمّ أنهاكم عنه، أو كيف آمركم بالبرّ وأنا لا أفعله، كما جاء في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾: إن: حرف نفي أقوىٰ في النّفي من حرف ما؛ أيْ: ما أريد إلا الإصلاح.

﴿أُرِيدُ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿الْإِصْلَاحَ﴾: ما أريد إلا محاربة الفساد، وأكل أموال النّاس بالباطل، والبخس، والتّطفيف والدّعوة إلىٰ الله وحدَه، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.

﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾: ما: حرف مصدري؛ استطعت: أيْ: سأحاول بقُصارىٰ جهدي، واستطاعتي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾: الواو عاطفة؛ ما: النّافية. وما توفيقي: للقيام

بالإصلاح، ومحاربة الفســاد، وقدرتي على إتمام ذلك يتوقف على تيسير الله، وعونه لي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، وقصر.

﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: باء: الإلصاق، والتّوكيد.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليــه أعتمد، وأفوض جميع أمــوري إليه؛ أيْ: أطلب منه العون في كلّ عمل بعد أن أقدِّم الأسباب الضّرورية.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: إليه تقديم الجار، والمجرور؛ يفيد الحصر. الإنابة: ســرعة الرّجوع إلى الله، وتفيد الكثرة والإنابة، سواء أكانت بسبب ذنب، أم بدون ذنب؛ أي: الرجــوع إلى الله بعــد كل قول أو فعل، وأما التوبــة: الرجوع إلى الله بعد صدور الذنب من العبد، والندم وعدم الرجــوع إلى الذنب، والإكثار من العمل الصالح.

❖ ❖ ❖

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

سورة هود [الآيات ٨٩ - ٩٧]

[٨٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: نداء فيه تودُّد، واستعطاف، والقوم: هنا تشمل الرّجال، والنساء.

﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا: النّاهية.

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: مشتقة من أجرمه؛ أيْ: دفعه، وحمله على فعل الجرم، أو الذّنب، والظّلم.

﴿شِقَاقِيٓ﴾: لا يجرمنكم شقاقي: لا تدفعنَّكم، أو تحملنَّكم عداوتي، أو خلافي معكم، أو بغضكم لي على ارتكاب ما حرم الله تعالىٰ من الشرك، وعدم القسط في الميزان والمكيال، والفساد، فخاف شعيب أن تكون دعوته للإصلاح سبباً؛ لإصرارهم على الكفر، والفساد، والمعصية؛ فيصيبهم مثل ما أصاب الأقوام الأخرىٰ.

﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿مِّثْلُ مَآ﴾: ما: اسم موصول؛ أيْ: كالّذي أصاب قوم نوح من الغرق.

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الرّيح الصّرصر العاتية، أو قوم صالح من الرّجفة.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: الواو: استئنافية؛ تفيد الاهتمام. ما: النّافية؛ أيْ: وما حدث لقوم لوط من الهلاك، والدّمار ليس ببعيد زماناً، ولا مكاناً؛ أيْ: منذ زمن قريب، ولا يبعدون عنكم كثيراً.

[٩٠] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾:

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣ و ٦١) من سورة هود.

﴿إِنَّ رَبِّى﴾: للتوكيد. ربي: الخالق المدبر الرَّزَّاق.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ كثير الرّحمة؛ رحيم لمن تاب، وآمن؛ أيْ: بالمؤمنين.

﴿وَدُودٌ﴾: صيغة مبالغة لفعل ودَّ يودُّ؛ أيْ: كثير الود، والود هو المحبة كثير الحب لعباده المؤمنين، والصّابرين، والصّادقين، والمحسنين، والوداد: هو صفو المحبة، وخالصها، ولبها، ولا ينشئ الود إلا من المحبة. الودود: ذكر هذا الاسم مرتين فقط في القرآن فقرنه بالمغفرة، والرّحمة، فقال: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

[٩١] ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾:

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ﴾: قال: الّذين استكبروا وكفروا من قومه.

﴿يَٰشُعَيْبُ﴾: ياء النّداء؛ للبعيد.

﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾: ما: النّافية للحال، ما نفقه؛ أيْ: ما نفهم؛ أي: ما نعلم معنى ما تقول، والفقه هو الفهم الدّقيق الذي يحتاج إلى التأمل والنظر، ومن ثم الاستنباط والوصول إلى الحكم؛ أيْ: ما نعرف صحَّة ما تقول عن التّوحيد، والتّطفيف في الميزان، والاستغفار والتوبة والإنذار والرزق الحسن؛ أي: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾.

وقالوا ذلك استهانة به، ولأنّهم لم يعبؤوا بوعظه لهم.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾: وإنا للتوكيد؛ لنراك: اللام: لزيادة التّوكيد.

﴿فِينَا ضَعِيفًا﴾: أيْ: لا قوَّة لك إن أردنا إيقاع الأذىٰ بك، وقيل: كان أعمىٰ ضريراً.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: لولا: شرطية.

﴿رَهْطُكَ﴾: الرّهط: جماعة ما بين (٣-١٠)، أفراد، وقلة الرهط تدل علىٰ القلــة مقارنة بالقوم؛ قالوا ذلك لا خوفاً من هؤلاء الرّهط، وإنما رأفة بهم؛ لأنّهم من الأقارب، أو أبناء القبيلة، والعشيرة، وقالوا ذلك لكي يقلِّلوا عدد من اتَّبعه.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: وما: النّافية.

﴿أَنتَ﴾: ممتنع علينا، أو ما أنت بغالٍ علينا، أو مكرم، وأرادوا القول، لكن رهطك هم من يعزون علينا، وهذا ما يدل عليه قوله رداً عليهم أرهطي أعزُّ عليكم من الله.

[٩٢] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾: نداء فيه نوع من الحنان، والعطف.

﴿أَرَهْطِي﴾: الهمزة: استفهام إنكاري؛ أيْ: عشيرتي، أو أتباعي.

﴿أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾: أرهطي أهم؛ وأعزُّ عندكم، وأكرم منزلة، ودرجة من الله.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: واتخذتموه؛ أيْ: جعلتموه.

﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: أيْ: رميتــم الإيمان باللــه وراء ظهوركم، وعصيتموه، ولم تعبدوه.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: تعملون: تقولون، وتفعلون؛ محيط: عالم بأعمالكم، ومحيط بها، وسيجازيكم عليها.

[٩٣] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: ثمّ يناديهم شعيب بعد أن رأىٰ إصرارهم علىٰ الكفر، وعدم جدوىٰ الموعظة لهم.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة قد تعني المنزلة، أو تعني المكان مثل مقام ومقامه؛ فيكون معنىٰ الآية: استمروا علىٰ حالكم من الشّرك، والكفر، والشّنآن لي، أو اعملوا ما في وسعكم، أو استطاعتكم من الشّرك والكفر.

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: وأنا سأعمل جهدي، واستطاعتي علىٰ الإصلاح، والتّبليغ، والدّعوة إلىٰ الله.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: سوف للاستقبال البعيد، وفي الآية (٣٩) من نفس السورة قال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، والآية (٣٩) من سورة الزمر؛ ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٣٩).

﴿تَعْلَمُونَ مَن﴾: مَن: اسم موصول، أو استفهامية.

﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أيْ: يُذله، ويفضحه؛ يذله في الدّنيا، ويأتي وقد يذهب، وليس بالضّرورة الحلول والبقاء، والحلول يعني: الاستمرار، والدّوام، والثّبات؛ لأنّه لم يقل: ويحل عليه عذاب مقيم؛ أيْ: مستمر الثّبوت والدّوام، فهذا يحدث في الآخرة. أما عذاب الدّنيا: فيه خزي، ذل، وإهانة، ويزول، وغير مقيم، ثمّ يأتي عذاب الآخرة بعد ذلك الّذي هو عذاب مقيم لا يزول، ولا يتغيَّر، أو ينقص.

﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾: أيْ: من هو على حقٍّ، ومن هو كاذب، أو على ضلال.

﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾: انتظروا العاقبة، والمآل، والمصير لكم ولنا.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: الرّقيب: المراقب الّذي يرقب الآخر؛ لئلا يخفى عليه فعل من أفعال الّذي يراقبه.

لنقارن هذه الآية (٩٣) من سورة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

مع الآية (٣٩) من سورة الزّمر: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

للمقارنة ارجع إلى سورة الزّمر، الآية (٣٩).

ولنلاحظ: أنّه دائماً يأتي بذكر إحدى العاقبتين دون ذكر الثّانية، ويقال لهذا تعريض أبلغ من التّصريح؛ مثال: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ولم يقل: ومن تكون له عاقبة الدّار (حذف ذلك).

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين متضمنة معنى الشّرط، ولم يقل: فلما؛ لأنّ لما: فيها ترتيب، وتراخٍ في الزّمن. أما (فلما) الفاء: للتعقيب والمباشرة ليس فيها تراخي في الزمن.

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من نفس السّورة.

﴿أَمْرُنَا﴾: أي: الصيحة.

﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السّورة.

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: الصيحة: من السماء. ارجع إلىٰ الآية (٦٧) من نفس السّورة؛ للبيان، والآية (٩١) من سورة الأعراف، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: ملقون علىٰ الأرض لا يتحركون هامدين ميتين؛ في ديارهم: أي: في مساكنهم، ولم يقل في دارهم؛ أي: بلدهم، أو موطنهم؛ فالرجفة (الزلزلة الشديدة) ذكرها مع دارهم، والصيحة ذكرها مع ديارهم؛ لأن الصيحة أعم وأقوىٰ من الرجفة.

[٩٥] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾:

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٨) من نفس السّورة؛ للبيان.

﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: البُعد: يعني الهلاك؛ أيْ: هلاكاً لمدين، كما هلكت ثمود، أو طرداً من رحمة الله. ارجع إلىٰ الآية (٦٠) من نفس السّورة؛ لمزيد في معنىٰ (بُعداً).

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا؛ الإرسال: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مُوسَىٰ﴾: موسىٰ بن عمران رسول الله إلىٰ بني إسرائيل.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: الآيات التّسع: العصا، واليد، والطّوفان، والجراد، والقمل، والضّفادع، والدّم، والسّنين، ونقص من الثّمرات، وقدم موسىٰ علىٰ الآيات

للاهتمام، ولم يقل بالآيات، وإنما أضافها إليه؛ للدلالة على عظمتها، وهذه الآيات: هي المعجزات، وهناك آيات كونية، وآيات التّوراة.

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: السّلطان: هو الحُجَّة القوية، أو الدّليل القاطع على صدق رسالة موسى ونبوته، ووحدانية الله، وربوبيته وبطلان ألوهية فرعون، والسّلطان يقسم إلى: سلطان الحُجَّة، والدّليل والبرهان، وسلطان القوَّة، والقهر.

﴿مُّبِينٍ﴾: المبين الظّاهر الجلي؛ لكلّ فرد، والّذي تأكد بالحس، ولا يحتاج إلى من يثبته، أو يحتاج إلى دليل آخر.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾:

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: وملئه: الملأ هم أشراف القوم القادة والرّؤساء واشتقت الكلمة الملأ؛ لأنّ هؤلاء النّاس يملؤون عيون النّاس، ويتصدرون مجالسهم وتنظر إليهم العيون مثل (النّواب وممثلي الشّعب)، وأعضاء الحكومة والوزراء؛ الّذين يظهرون على وسائل الإعلام كلّ يوم.

﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: أطاعوا ما أمرهم به فرعون، واتخذوه إلهاً، ولم يتبعوا ما أمرهم به موسى.

﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: ما: النّافية، أمر فرعون ما يدعو إليه باتخاذه إلهاً، أو أنا ربكم الأعلى، أو ما علمت لكم من إله غيري؛ أيْ: ما كان منهج فرعون ﴿بِرَشِيدٍ﴾: الباء: للإلصاق، بسديد، أو ذي رشد وهدى، وإنما هو منهج ضلالٍ، وغيٍّ وباطلٍ، وجهلٍ، وفسادٍ.

❖ ❖ ❖

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

ربع الحزب ٢٤

سورة هود [الآيات ٩٨ - ١٠٨]

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: يتقدَّم قومه، أو يقود قومه يوم القيامة فرعون أولاً، ومن ورائه قومه الكل يساقون إلىٰ جهنم.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة يدخلون النّار مباشرة من دون تأخير، وأوردهم: فعل ماض يدل علىٰ أنّه قد حدث وانتهىٰ دخولهم فيها.

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾: بئس: فعل ذم (ساء وقبح). الورد: النّار؛ شبه النّار يوم القيامة بماء يورد للشرب من منبعه؛ أيْ: بئس الورد: الماء (أي: النّار).

﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾: المكان النّبع؛ أيْ: بئس الماء ومنبعه الّذي وردوه؛ فيكون المعنىٰ: بئس النّار، وبئس مكانها، ودركاتها؛ فلو كان أمر فرعون برشيد؛ لما دخلوها.

[٩٩] ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾:

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: طاردتهم، أو صاحبتهم لعنة الله في هذه الحياة الدّنيا؛ لعنة: أيْ: طُردوا وأُبعدوا عن رحمة الله في الحياة الدّنيا، وكذلك يوم القيامة تصاحبهم، وتطاردهم لعنة الله.

﴿لَعْنَةً﴾: نكرة من الله، ومن الملائكة، ومن النّاس أجمعين.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾: بئس: فعل ذم؛ أيْ: ساء. الرّفد: العطاء؛ أيْ: بئس الجزاء الّذي هُيِّئ وأُعد لهم.

﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾: المعطىٰ لهم؛ أيْ: بئس الجزاء الّذي سيجزون به، أو العطاء المعطىٰ لهم.

وهو اللعنة في الدّنيا، وفي الآخرة، وسمِّيت النّار، أو اللعنة عطاء (رفداً): تهكماً بهم، واستهزاء علىٰ ما فرطوا في جنب الله.

الخلاصة: بئس المكان الّذي وردوه، وبئس العطاء، أو الجزاء الّذي أعطوه، أو هيِّئ لهم.

[١٠٠] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، من أنباء القرىٰ. من: بعضية؛ أيْ: بعض أنباء القرىٰ، والنّبأ: هو الخبر العظيم المهم؛ أي: من أنباء أهل القرىٰ.

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: جمع قرية، وقد تعني المدينة إذا اتسعت وزاد عدد أهلها.

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: نخبرك بأنبائها كما حدثت.

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾: بعضها لا زال باقٍ؛ كالآثار، والأعمدة والسقف والجدران؛ مثل: مدائن، وقرىٰ قوم لوط، والأهرامات.

﴿وَحَصِيدٌ﴾: محصود لا ترىٰ لها أثر (انمحت وزالت) كالزّرع المحصود.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾:

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية.

﴿ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: من الظّلم: وهو نقصان الحق، وما ظلمناهم: بالعذاب (حين عذبناهم، أو أهلكناهم) بذنوبهم؛ لأنّ الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وحرَّم الظّلم علىٰ نفسه، ولا يظلم النّاس شيئاً.

﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بالكفر، والشّرك، والمعاصي، وتكذيب الرّسل، والبينات، والظلم: هو الخروج عن منهج الله تعالىٰ.

﴿فَمَآ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾: أيْ: ما نفعتهم، ولا دفعت عنهم آلهتهم مثل الأصنام، والملائكة، أو الكواكب، وعيسىٰ، وعزير.

﴿ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الّتي: اسم موصول.

﴿يَدۡعُونَ﴾ يعبدونها بشتىٰ العبادات من دعاء وتعظيم وذبح وشعائر وذكر.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مِن شَيۡءٖ﴾: من: استغراقية.

﴿شَيۡءٖ﴾: من العذاب، أو الهلاك، والشّيء: هو أقل القليل، وشيء نكرة تعني أيَّ شيء مهما كان نوعه، وقدره من العون، أو النّصر، أو رفع العذاب، أو تخفيفه.

﴿لَّمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين ومتضمِّنة معنىٰ الشّرط.

﴿جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: عذاب ربك، أو أمر ربك بإنزال العذاب عليهم.

﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: ما: النّافية.

﴿تَتۡبِيبٖ﴾: مصدر لفعل تبَّب الرّباعي، والتتبيب: النّقص والخسارة والهلاك؛ أيْ: التّخسير، والتّدمير، والهلاك.

﴿غَيۡرَ﴾: تفيد الاستثناء، والقصر، وإن قيل: الآلهة هي جماد، أو ملائكة، أو

كواكب، فكيف زادوهم؟ أيْ: زادتهم عبادتها إضافة إلىٰ معاصيهم خسارة فوق الخسارة، أو عذاباً فوق العذاب.

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: ومثل ذلك الأخذ يأخذ ربك القرىٰ الظّالمة الكافرة؛ فتكون نهايتها. منها قائم أو حصيد؛ لأنّ أخذه لها أليم شديد.

﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾: الأخذ: هو الحوز علىٰ الشّيء سواء بالتّناول، أو القهر، أو الأخذ يوحي بالشدة، والعنف؛ بحيث لا يستطيع المأخوذ بالإفلات مهما حاول.

والأخذ: هنا في هذه الآية بمعنىٰ الانتقام، والعقاب، والعذاب.

﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزّمان للأمور الواقعة لا محالة، والكثيرة الحدوث، أخذ: جاء بالفعل الماضي؛ أي: اعتبره حدث ووقع.

﴿وَهِىَ﴾: وهي: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿ظَٰلِمَةٌ﴾: كافرة، أو طاغية، أو عتت عن أمر ربها.

﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: إنّ: يفيد التّوكيد.

﴿أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ﴾: عذابه عقابه أليم شديد الإيلام، والألم الوجع الشّديد؛ موجع شديد الوجع.

﴿شَدِيدٌ﴾: من الشدة: وهي تعني جمع الشّيء إلىٰ الشّيء بحيث يصعب انفكاكه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إن: حرف توكيد.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، والذّم، ويشير إلىٰ ما ذكر من أخذ الأمم، أو القرىٰ الظالمة بالعذاب الشديد الإيلام.

﴿لَآيَةً﴾: لعبرة، أو لعظة.

﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ من: اسم موصول تشمل المفرد، والجمع؛ استغراقية؛ أيْ: عبرة وعظة لمن يخاف عذاب الآخرة، أما من لا يخاف عذاب الآخرة؛ فلا يعتبر، ولا يتعظ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة إلىٰ يوم القيامة؛ لأنّ عذاب الآخرة دل عليه.

﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾: اللام: لام الاختصاص، يوم مجموع لأجله النّاس، أو تعني فيه مجموع النّاس، ومجموع: اسم مفعول؛ يدل علىٰ الثّبوت؛ ثبات معنىٰ الجمع؛ أي: الكلّ بلا استثناء، أيُّ واحد، أو فرد الكلُّ مجتمعون في مكان واحد.

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: مشهود اسم مفعول؛ تدل علىٰ الثّبوت صيغة مبالغة، الكلّ يشهدهُ من أهل السّماء والأرض، كلّ الخلق سيشهدون هوله، وأحداثه بلا استثناء.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾:

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: ما: النّافية.

﴿نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: نؤجله، والفاعل نحن: للتعظيم، نؤخره؛ أيْ: يوم القيامة.

﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿لِأَجَلٍ﴾: اللام: لام الاختصاص، والأجل.

﴿مَّعْدُودٍ﴾: إلىٰ مدَّة انتهاء المدَّة المعدودة له، أو المضروبة لحدوثه.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: يوم: ظرف زمان.

﴿يَأْتِ﴾: حذفت الياء: للدلالة على قرب مجيئه، ويأتِ؛ تعني: اليوم، أو تقديره ينتهي الأجل المضروب له يوم يأتِ، وفاعل يأتِ قد تعود إلى الله، أو ربك، أو تعود إلى اليوم.

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: أصلها: لا تتكلَّم نفس إلا بإذن الله.

﴿نَفْسٌ﴾: أيُّ نفس نكرة، لتشمل كلّ نفس مهما كانت.

﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: ولم يقل: لا تتكلم؛ إشعاراً بقلة الكلام في ذلك اليوم قلة الحروف في كلمة ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: تدل على قلة الكلام في يوم القيامة؛ لأهواله، وشدائده؛ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦].

﴿فَمِنْهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ منهم: من: التبعيضية، أو للتعليل.

﴿شَقِىٌّ﴾: من باب شقي شقاءً، أو شقاوة. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) للبيان، والشقي يشعر بضيق في الصّدر مستمر، وضنك في المعيشة بسبب البعد عن الدين والإيمان، شقي اسم يدل على الثّبوت؛ ثبوت الشّقاء عليه؛ لأنّه سيصبح من أصحاب السّعير.

﴿وَسَعِيدٌ﴾: من سَعَدَ سعادةً؛ لأنّه من أصحاب النّعيم الخالد، وسعيد: اسم يدل على الثّبوت.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾: أما: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿شَقُوا۟﴾: ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) للبيان؛ أي: الكفار، والمشركين الّذين ماتوا على الكفر، والشّرك، والضلال، والمعاصي، وانتهاك حرمات الله.

﴿فَفِى ٱلنَّارِ﴾: ففي: تتضمن فاء: أولى، وفاء ثانية؛ الفاء الأولى: تفيد التّوكيد، والتّعليل، والثّانية: ظرفية مكانية.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾: اللام: لام الاختصاص فقط؛ لهم: وحدهم. فيها: في النّار.

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: الزّفير: هو خروج الهواء من الرّئتين، والشّهيق: هو دخول، أو ابتلاع الهواء إلى الرّئتين.

ففي الحالات الطّبيعية: ما يحدث شهيق أوّلاً، ثمّ زفير ثانياً، أمّا في النّار فيتبدل ذلك يصبح الزّفير أوّلاً، والشّهيق ثانياً، وسماع الزّفير والشّهيق دلالة على أنّهم يعانون من صعوبة التّنفس في النّار. ارجع إلى الآية (١٠٠) من سورة الأنبياء.

[١٠٧] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: خالدين: الخلود يعني: المكث الطّويل، ولا يعني التّأبيد له بداية، وله نهاية، البداية: ساعة دخول النّار، بينما خالدين فيها أبداً؛ تعني: المكث الأبدي بلا نهاية؛ له بداية، وليس له نهاية، وهو الخروج من النار؛ فالّذين سيدخلون جهنم قسمان: القسم الأوّل: خالدين فيها، والقسم الثّاني: خالدين فيها أبداً.

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أيْ: هؤلاء يدخلون النّار ما دامت السّموات،

والأرض الجديدتين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[إبراهيم: ٤٨].

وبما أن السّموات والأرض الجديدتين لن تتبدلا بعد ذلك؛ مما يدل علىٰ الخلود فيهما.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: إلا: أداة استثناء؛ ما شاء ربك: المشيئة ملزمة واقعة لا محالة، وهذا الاستثناء اختلف فيه؛ اختلف في تفسير هذا الجزء من الآية؛ فمنهم من قال: تعني أن كل شيء خاضع لمشيئة الله تعالىٰ المطلقة يدخل الجنة أو النار من يشاء؛ لأنه سبحانه لا يجب عليه شيء ولا حق لأحدٍ عليه سبحانه وتعالىٰ، ومنهم من قال: إلا ما شاء ربك تعني: من تأخير أو تقديم قوم علىٰ الدخول في الجنة أو النار لكون يوم القيامة قد يطول خمسين ألف سنة، والاستثناء يرجع إلىٰ قبل الدخول في الجنة أو النار، ومنهم من قال: أن قسم من هؤلاء الداخلين في النار يبقىٰ خالدين في النار أبداً، وقسم يخرج منها بعد تطهيرهم من ذنوبهم، وبقائهم فيها حسب ما يقدِّره الله سبحانه، ويشاء، وهناك من قال هذا الاستثناء يعني من يوم الحساب (يوم القيامة) الذي مدته خمسين ألف سنة، أو حتىٰ يقضي الله بين الخلائق، وهناك من قال هذا الاستثناء يعني حياة البرزخ (القبر)، ومنهم من قال: أن الاستثناء في الآية يرجع إلىٰ بعض أنواع العذاب غير الزفير والشهيق، والله أعلم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾: صيغة مبالغة اسم فاعل.

﴿لِّمَا يُرِيدُ﴾: من الإرادة الّتي تعقب المشيئة؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿سُعِدُواْ﴾: الفائزون المصلحون.

﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾: الفاء الأولىٰ: للتوكيد، والتّعليل، والثّانية: ظرفية مكانية.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: الّذين يدخلون الجنة يدخلونها مباشرة بعد الحساب، أو يدخلونها بعد أن يطهروا من ذنوبهم في النّار، ومتىٰ دخلوها لن يخرجوا منها أبداً.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (١٠٧).

﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: عطاء غير مقطوع؛ نعيم دائم، ومستمر.

❖ ❖ ❖

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

سورة هود [الآيات ١٠٩ - ١١٧]

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: اللام: لام النّاهية.

﴿تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في أدنى المراء بعد أن تبيَّن الحق، المراء هو الجدال بالباطل بعد ظهور الحق.

﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول.

﴿يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: هؤلاء: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب؛ يشير لمشركي قريش.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا﴾: ما: النّافية؛ إلا: أداة حصر.

﴿كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾: الكاف: كاف التّشبيه؛ ما: حرف مصدري، أو اسم موصول.

﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾: عبادة تقليدية، كما يعبد آباؤهم من الأصنام، أو الآلهة.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: أن يُنزل عليهم القرآن، أو يبعث إليهم برسوله ﷺ؛ أيْ: هم وآباؤهم سواء في الشّرك.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: النّصيب: هو الجزاء، والأجر، أو الثّواب الكامل على أعمالهم، ويكون في الخير، والشّر، أو المحبوب، أو المكروه، أما الفرق بين النصيب، والحظ:

فالحظ: لا يكون عادة إلا في الخير، ولا يستعمل في العذاب، أو المكروه.

وأما النصيب: فيستعمل في الخير، والشّر.

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: أيْ: نعطيهم نصيبهم تاماً.

ما هو الفرق بين عطاء غير مجذوذ، ونصيبهم غير منقوص؟

عطاء غير مجذوذ: عطاء للذين سعدوا عطاء دائم لا ينقطع، ولا يتوقف، والعطاء فيه تملك، ولا يُسترد، والعطاء هو الجزاء إضافة إلى الزّيادة الّتي هي من الفضل.

نصيبهم غير منقوص: جزاء تام للمشركين لا زيادة فيه.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾:

جاءت هذه الآية في سياق الآيات لتذكر رسول الله ﷺ: أنّ ما يحدث لك حدث لموسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: ولقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة، والإيتاء يختلف عن العطاء؛ ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فمنهم آمن به قوم (من بني إسرائيل)، ومنهم من كفر به، أو منهم من صدَّق به، ومنهم من كذَّب به، كما اختلف أهل مكة في القرآن.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: لولا: شرطية.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير، أو تأجيل الحساب إلى يوم القيامة.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: في الدّنيا فيما اختلفوا فيه بإنزال العذاب عليهم، وعدم إمهالهم حتّىٰ يوم القيامة بإنزال العذاب عليهم.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: وإنّ: للتوكيد.

﴿لَفِي﴾: اللام: للتوكيد.

﴿شَكٍّ﴾: تساوي نسبتي النّفي، والإثبات.

﴿مِّنْهُ﴾: من: التّوراة.

﴿مُرِيبٍ﴾: من الرّيبة، وهي الشّك+ الاتهام، وقيل: إنّهم: قد تعود إلىٰ كفار مكة؛ لفي شك منه: أيْ: بالقرآن فيما إذا كان منزلٌ من ربك بالحق، ويتهمون الرّسول بأنه افتراه، أو يعلمه بشر.

[١١١] ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: إنّ: للتوكيد؛ كلّاً: كلّ واحد، أو المختلفين فيه؛ سواء أكان القرآن، أم التوراة، أم غيرها من الكتب السماوية من المؤمنين، والكافرين.

﴿لَّمَّا﴾: لها عدّة معانٍ:

١ - لما: نافية، ونفيها مستمر إلىٰ وقت الكلام.

٢ - لما: قد تكون بمعنىٰ: إلا، وتكون الآية: وإنّ كلاً إلا ليوفينهم ربك أعمالهم.

٣ - لما: قد تكون للتوكيد.

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: ليوفينهم: اللام: لام التّوكيد؛ أيْ: سيوفينهم ربك أعمالهم ثواباً، أو عقاباً، والنّون: للتوكيد، ولا ينقص منها حسنة، أو يزيد سيئة.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: إنه: إنّ: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون.

﴿خَبِيرٌ﴾: عليم ببواطن أعمالهم؛ خبير بنواياهم.

وقدم يعملون على خبير؛ لأن سياق الآيات في العمل.

[١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: فاستقم: الفاء: للتوكيد؛ استقم كما أمرت: لا تميل، ولا تنحرف عن الحق في عبادتك، وتوحيدك، وابتغائك وجه ربك، والاستقامة تتطلَّب عدم الغفلة، والجد، والاجتهاد، والالتزام بمنهج القرآن والسنة، والدوام على تقوى الله، وطاعة أوامره، وتجنب نواهيه؛ لا إفراط ولا تفريط.

﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾: في الكتاب (القرآن)، وبالوحي، كما أمرك ربك تعالى.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: أي: وليستقم كذلك من تاب معك من المؤمنين من الشّرك، والكفر، ومن المعاصي.

﴿وَمَن﴾: اسم موصول؛ مَن: للمفرد، والجمع.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾: لا: النّاهية.

﴿تَطْغَوْا۟﴾: من الطّغيان: وهو مجاوزة الحدود، حدود الله بالإفراط، أو التّفريط في العبادات، أو المعاملات.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إنّه: إنّ: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تقولون، وتفعلون.

﴿بَصِيرٌ﴾: بظواهر الأمور.

وقدم تعملون على بصير؛ لأن السياق في الأعمال.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾: ولا: الواو عاطفة؛ لا: النّاهية.

﴿تَرْكَنُوٓاْ﴾: من الرّكون؛ ركن، يركن؛ أيْ: مال إليه وسكن؛ أيْ: ولا تميلوا إليهم، أو تعتمدوا عليهم، ولو شيئاً يسيراً؛ هذا الخطاب، وإن كان موجَّهاً إلى رسول الله ﷺ ظاهراً، ولكنه في الحقيقة موجه إلى أمة محمّد ﷺ؛ لئلا يركن أحدهم؛ أيْ: يميل إلى الكفار، أو المشركين في شيء من الأحكام، أو تقليدهم في أيِّ أمر من أمور الدِّين، أو المودة، والمداهنة على حساب الدِّين، والرّضا عن أعمالهم المخالفة لشرع الله، أو السّكوت عليها، ومصاحبتهم.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: المشركين. الظّلم: الشّرك، وكذلك ظلم العباد، والفساد في الأرض، والقتل، والتّخريب، أو المشاركة في تلك الأعمال العدوانية.

﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: فتمسكم: الفاء: للتوكيد؛ تمسكم: تصيبكم النّار.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: وما: النّافية.

﴿لَكُم﴾: اللام: لام الاختصاص (خاصَّة بكم).

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله، أو سوى الله (من: استغراقية): للنفي المطلق، والكلام، أو السّياق عن الدّنيا.

﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: من: للتوكيد، واستغراقية؛ تشمل كلّ الأولياء.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾: جمع ولي: أعوان، أو أنصار يمنعون عنكم، أو يدفعون عنكم العذاب، أو يشفعون لكم. أولياء: ولم يقل: ما لكم من ولي ولا نصير؛ لأنّ هذه ترد في سياق الآخرة، وإذا أراد السّياق في الدّنيا يقول سبحانه: من دون الله من ولي ولا نصير؛ ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢٢)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثم: للاستبعاد؛ استبعاد نصر الله لهم.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿تُنصَرُونَ﴾: من النّصر: وهو النّجاة من النّار، والفوز بالجنة؛ لأنّ الله لا ينصر الظّالمين، وكذلك: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠]، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج:٧١]، فليس لهم أولياء، ولا أنصار، ولا شفعاء، لا واحد، ولا أكثر من واحد.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن أمر سبحانه بالاستقامة، وعدم تجاوز حدود الله، أو الرّكون إلى الّذين ظلموا في الآية السّابقة يأمر في هذه الآية بأمر آخر هو إقامة الصّلاة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي؛: أداها تامَّة بأركانها، وبشروطها، وخشوعها، وإقامتها.

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الطرف الأوّل: هو الفجر، والطرف الثّاني: هو الظهر، والعصر، أو الطرف الأوّل: هو الفجر، والظهر، والثاني: هو العصر، والمغرب، أو العصر فقط.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب، والعشاء، أو العشاء والوتر، وزلفاً من الزّلفى:

وهي القُربىٰ، وأزلفه: قربه، وزلفاً من الليل: في ساعات الليل القريبة من النّهار؛ أي: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾:

سبب نزول هذه الآية: أنّ رجلاً خلا بامرأة فقبلها؛ فأتىٰ رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فسكت النّبي ﷺ، ثمّ نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾؛ فقال رجل آخر: أهذا له خاصَّة؟ قال ﷺ: لا بل للناس كافة، أو للمسلمين عامة؛ قال التّرمذي: حديث حسن صحيح، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱلْحَسَنَٰتِ﴾: الصّلوات الخمس، كما ورد في حديث مسلم عن رسول الله ﷺ: «الصّلوات الخمس كفارة لما بينهنَّ إذا اجتنبت الكبائر»، والحسنات: جمع حسنة، والحسنة سواء أكانت فرضاً، أم نفلاً قد تمحو؛ أي: تذهب السّيئة؛ أيْ: تمحوها، والسّيئة: هي كلّ عمل توعَّد الله سبحانه صاحبها بالعقوبة (من قول، أو فعل)، والحسنات: جميع الأعمال الصّالحة تكفر السّيئات؛ أي: الصّغائر؛ أمّا الكبائر: فلا يكفرها إلا التّوبة.

وشروط التّوبة أربعة: الإقلاع عن الذّنب، وعدم العودة إليه، والنّدم عليه، والإكثار من الأعمال الصّالحة (النّوافل)، وردُّ الحقوق إلىٰ أصحابها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلىٰ الصّلاة، وإقامتها، والاستقامة عليها، والحسنات يذهبن السّيئات.

﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: في إقامة الصّلاة خمس مرات في اليوم ذكرىٰ للذاكرين؛

أيْ: تنبيه للنّفس بعدم الغفلة، ولذلك الصّلاة لا تسقط عن العبد، ولو كان مريضاً، أو على فراش الموت.

فبمجرَّد ما يغفل الإنسان عن ذكر ربه تأتي الصّلاة خمس مرات؛ لتذكر الإنسان بربه.

﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الذّاكرين: الله سبحانه، وتشمل الذّاكرات، والصّلاة كذلك تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]. والصلاة تجمع أركان الإسلام الخمسة.

[١١٥] ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَٱصْبِرْ﴾: بعد الأمر بإقامة الصّلاة؛ يأمر بالصّبر؛ الصّبر على العبادات، والطّاعات، والمكاره، والابتلاءات، والصّبر عن الشّهوات، والمعاصي.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إنّ: لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: لا: النّافية.

﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: لا يضيع أجر الصّابرين؛ لأنّ إقامة الصّلاة، والاستقامة، وعدم الطّغيان، والتّوبة، والصّبر، وكلّ ما أمر الله به في هذه الآيات يرتقي إلى درجة الإحسان، والصّابرين من المحسنين.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جملة اسمية تدلّ على ثبوت صفة الإحسان؛ إحسان الكم، وإحسان الكيف؛ لمعرفة الصّبر، وأنواعه، ودرجاته؛ ارجع إلى الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران، وللإحسان؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٢)؛ للبيان.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: أداة حضٍّ، وحثٍّ.

﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾: من الأمم الماضية، والقرون: جمع قرن، وهم أهل زمان واحد، أو الجيل الواحد المقترن بزمان واحد، والقرن (١٠٠ عام).

﴿أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾: ذوو إيمان، وصلاح، ورشد، وبصيرة، والبقية: ما يبقى من الشّيء بعد ذهاب أكثره، أولو بقية قلّة قليلة من ذوي الإيمان، والصّلاح، والرّشد. ارجع إلى الآية (٨٦) في نفس السورة لمعرفة الفرق بين بقية (بالتاء المربوطة)، وبقيت (بالتاء المفتوحة أو المبسوطة).

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. والفساد: يشمل الكفر، والشّرك، وإثارة الفتن، والقتل، والصّد عن سبيل الله، وغيره.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: تعود على القرون من قبلكم؛ أيْ: قد أنجى الله سبحانه قليلاً منهم؛ لينهوا عن الفساد في الأرض، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيموا دين الله تعالى حتى تظهر أشراط الساعة.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾: وانشغل الّذين ظلموا؛ أي: الآمرون بالمنكر، والنّاهون عن المعروف بالشّهوات، ونعيم الدّنيا، والسّلطان، والجاه، والمعاصي، والمنكرات، واستمرّوا على ترفهم، وطغيانهم الّذي حقّقوه بظلم الغير، ولم يستمعوا أو يلتفتوا إلى الأقلية الّذين ينهون عن الفساد، وآثروا الدّنيا

على الآخرة، وكانوا مجرمين. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.

﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: كافرين مشركين، ومجرمين: مشتقة من جرم؛ وجرم الشّيء: أيْ: قطعه جرماً أذنب، وجنى جناية، وعدم اتباعهم منهج الله سبحانه، وكونهم كانوا يقطعون ما كان يجب أن يوصل.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية ينفي ربك الظلم عن نفسه، ويستعمل (ما)، ولام الجحود (التوكيد) في كلمة (يهلك).

﴿كَانَ رَبُّكَ﴾: أيْ: ليس من شأن ربك، أو أنّ ربك مُنَزّه عن أن يهلك القرى. وكان: تعني الماضي والحاضر والمستقبل، وتعني: ما كان ربك في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ليهلك القرى.

﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: ليهلك: اللام: لام التّوكيد؛ يهلك: بصيغة المضارع الّتي تدل على التّجدُّد، والتّكرار؛ لأنّ الحديث أو السّياق في الدّنيا، وفي الآية (٥٩) من سورة القصص قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾، وفي الآية (١٣١) من سورة الأنعام قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ إذن ما كان ربك مهلك القرى، أو ليهلك القرى وأهلها مصلحون، أو وأهلها غافلون؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٥٩) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: جمع قرية، والقرية؛ تعني: أهل القرية، والبنيان؛ أيْ: يهلك أهل القرى، ويدمّر بنيانها.

﴿بِظُلْمٍ﴾: الباء: باء: الإلصاق، والتّعليل؛ ظلم: من دون ذنب، أو إثم.

﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: مصلحون: جمع بصيغة الجملة الاسمية؛ الّتي تدل على أنّ صفة الإصلاح عندهم ثابتة، ومستمرة؛ فالله سبحانه لن يهلكها حتّى ولو كانت كافرة، وأهلها يقيمون العدل، ولا يفسدون في الأرض، ولا يظلمون النّاس بقتل وإهلاك الحرث، والنّسل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان في معنى: الصالحين.

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (٥٩) من سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

والآية (١٣١) من سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾. ارجع إلى سورة القصص آية (٥٩) للبيان المفصل.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

سورة هود [الآيات ١١٨ - ١٢٣]

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: لو: شرطية؛ حرف امتناع لامتناع.

﴿شَآءَ رَبُّكَ﴾: المشيئة تسبق الإرادة، والمشيئة لا رادَّ لها، ولا تتغيَّر.

﴿لَجَعَلَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أيْ: على دين واحد، وهو الإسلام، أو ملَّة واحدة، كما حدث بعد آدم عليه السلام لمدَّة حوالي (١٠ قرون).

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: لا داعي هنا للتطرق إلى أنواع الاختلافات، وأسبابها، والجدال في الاختلافات المذمومة، أو اختلافات الرّحمة، أو الاختلافات الطبيعية، ولكن المقصود في الآية: أن الله سبحانه أرسل كلّ الرّسل برسالة واحدة، وهي: رسالة التوحيد، وأن لا إله إلا الله، وحرم قتل النّفس إلّا بالحق، وحرم الفساد في الأرض، والفواحش... وغيرها؛ مما تشمله أمور العقيدة، والأصول، ولم يجبر أيَّ إنسان أن يكون موحِّداً، أو تقيّاً، أو مصلحاً، أو على دين واحد، بل ترك لهم حرية الاختيار؛ فهذا موحِّد، وهذا مشرك، وهذا لا دِين له إطلاقاً.

إذن: بحكم خاصية الاختيار الّتي منحها الله لهم؛ هم الّذين اختلفوا، ولم يفرض الله عليهم الاختلاف.

ولا يزالون مختلفين من بعد آدم، كانوا، وما زالوا، وسيظلُّوا إلى يوم القيامة؛ مختلفين: صفة ثابتة مستمرة فيهم.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: إلا: أداة استثناء. خلقهم: كما نعلم للعبادة، كما قال تعالىٰ في سورة الذاريات آية (٥٦): ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: خلقهم مختلفين في العبادة؛ لأنه سبحانه ترك لهم الخيار، وقال سبحانه في الآية (١١٨) السابقة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، ولكنه لم يشاء، ولذلك سيكونون مختلفين منهم الضال ومنهم المهتدي، ومنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات، والكل سيحاسب علىٰ عمله يوم القيامة.

﴿مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أيْ: الّذين لا يختلفون في دينهم، وهم علىٰ عقيدة واحدة، وهدي واحد؛ هؤلاء عسىٰ أن يرحمهم ربك.

﴿وَتَمَّتْ﴾: ثبتت، وجبت، ولن تتغيَّر، أو تُبدَّل.

﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ﴾: قيل: هي لأملأن جهنم من الجنة والنّاس أجمعين.

﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: مشتقة من بُعد القعر؛ أيْ: بعيدة القعر، أو كريهة المنظر؛ جهنم: دركة من دركات النّار، أو وصف من أوصاف جهنم؛ مثل: السّعير، ولظىٰ، والحطمة.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: من: ابتدائية؛ استغراقية.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: أي: الجن، والإنس، وهما الثّقلان.

﴿وَٱلنَّاسِ﴾: مشتقة من النّوس؛ أي: الحركة.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد؛ أيْ: من دون استثناء.

[١٢٠] ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَكُلًّا﴾: كلّ + التنوين، ونصب كُلّاً؛ لأنّ التّقدير هو كما يلي: نقصُّ عليك كلّاً من أنباء الرّسل، وقيل: التّنوين: جاء عوضاً عن كلمة محذوفة تقديرها: كلّ ما تحتاج إليه من أنباء الرّسل نقصُّه عليك.

﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾: القاصُّ: الرّاوي هو الله ﷻ، وجاء بصيغة الجمع؛ للتعظيم، وقصَّ الأنباء تتبَّعها، ورواها وحكاها بالحق.

﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: من: ابتدائية بعضية.

﴿أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: أخبار الرّسل، والأنباء: هي الأخبار المهمة، والأنباء: جمع نبأ؛ أي: الخبر المهم الذي فيه فائدة لمن يعنيه الأمر؛ أي: الخبر.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: التّثبيت: التّطمين، والتّمكين، ورفع أسباب الضّعف؛ أي: التّقوية؛ الفؤاد: القلب. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٤٦).

﴿وَجَآءَكَ﴾: ولم يقل: أتاك؛ أي: المجيء فيه صعوبة، ومشقة.

﴿فِى هَٰذِهِ﴾: في: ظرفية؛ هذه: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب يشير علىٰ الأنباء، أو الآيات.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: جاءت في هذه الآيات أو القصص أو السورة الحق، والقرآن: هو الحق، والنّبوة: هي الحق، أو البراهين الدّالة علىٰ صدق رسالتك؛ فكلّ ما أوحي به إليك هو الحق الكامل التّام، والحق؛ يعني: الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر، والمنزل من الله سبحانه.

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: أيْ: وجاءك فيها موعظة: ما يوعظ به من قول، أو فعل، أو نصح، أو إرشاد إلىٰ الطّاعة، وفعل الخير، والنّهي، والتّحذير.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنبيه، وإيقاظ للنفس بعدم الغفلة، وذكرىٰ يتذكر بها المؤمنون فيثبتون علىٰ الحق، ويصبرون علىٰ الطّاعة، والبلاء، واللام في كلمة للمؤمنين لام الاختصاص. خصَّ المؤمنين بالذكرىٰ؛ لأنّهم وحدهم الّذين ينتفعون بالذكرىٰ، أو تنفعهم الذّكرىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، ومن خواصِّ القرآن: أنّه يُستعمل ذكرىٰ في سياق الدّعوة والتّبليغ، وذكرىٰ للشرف، والرّفعة، ويُستعمل ذكرىٰ في سياق الهداية الفردية.

[١٢١] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾:

﴿وَقُل﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص؛ الّذين لا يؤمنون؛ أي: الكافرين الّذين لا يصدِّقون بما أنزل إليك من ربك علىٰ وجه الوعيد.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة: من التّمكن؛ أي: القدرة؛ اعملوا قدر إمكانكم، واستطاعتكم، أو استمرُّوا علىٰ طريقتكم، ومنهجكم، أو ما أنتم عليه من الكفر.

﴿إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾: ونحن سنعمل قدر استطاعتنا، وعلىٰ طريقتنا، وما أنزل الله إلينا، وعاملون: جملة اسمية؛ تفيد الثبات.

[١٢٢] ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

وانتظروا عاقبة أمركم، أو انظروا ماذا سيحل بكم، أو بنا، ونحن ننتظر عاقبة أمرنا من خير، أو شرٍّ، أو ما سيحلُّ بنا، وبكم: فيها من الوعيد، والتّهديد.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أيْ: لله وحدَه غيب السّموات، والأرض.

﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الغيب: هو ما غاب عن العباد، واستتر عن العيون؛ مثل: الجنّة، والنّار، والملائكة، والجن؛ غيب: جمعه غيوب؛ غيب السّموات والأرض؛ أيْ: علم الغيب، والغيب المطلق لا يعلمه إلا الله؛ أمّا الغيب النّسبي فقد يطلعه الله سبحانه على رسوله؛ مثل: إخبار الله سبحانه عن علامات السّاعة الصغرى، والكبرى.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: إليه: تفيد الحصر؛ أيْ: إليه وحدَه يرجع الأمر.

﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: الأمر: ال في كلمة الأمر: هي استغراقية تستغرق كلّ أمر؛ أيْ: إليه يرجع كلّ أمر، ثمّ جاءت بعدها كلّه: للتوكيد؛ يرجع إليه الأمر؛ ليجازي عليه.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: الفاء: للتأكيد؛ فاعبده وحدَه، والعبادة تعريفها؛ ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٠٦)، وهود، آية (٢).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: استعن به، وفوِّض أمرك إليه بعد تقديم الأسباب؛ فهو يكفيك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ما: النّافية؛ لا يغفل سبحانه عما يعمل خلقه.

﴿رَبُّكَ﴾: الخالق، المدبر، الرّزاق.

﴿بِغَٰفِلٍ﴾: الباء: للإلصاق؛ غافل: ساهٍ، أو تارك، أو غير حافظ، أو غير عالم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: الغفلة.

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال، والأفعال من خير، وشرٍّ.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
(١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ (١٢١) وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
(١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ (٤)

سورة يوسف [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٢)، وفي النزول (٥٣).

نزلت بعد سورة هود، وبعد عام الحزن الّذي فقد فيه رسول الله ﷺ زوجته خديجة، وعمه أبا طالب؛ كأنها مواسية له، وهي سورة مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾:

﴿الٓر﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾: تلك: اسم إشارة؛ للبعد؛ يشير إلىٰ علو منزلة الآيات، وتلك: تشير إلىٰ الآيات التالية، أو الّتي سبقتها، أو الآيات بشكل عام، وتشير إلىٰ الكثرة. ارجع إلىٰ سورة يونس، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: القرآن، وسمِّي الكتاب؛ لكونه مكتوباً في السّطور، وفي اللوح المحفوظ؛ ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ الكتاب.

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الظاهر، والواضح لكلّ فرد يقرؤه، والمبين لنفسه، ولكلّ شيء يحتاجه الإنسان في حياته من افعل، أو لا تفعل، أو حلال، أو حرام، والحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: إنا: ضمير الشأن للتعظيم والتفخيم، ويفيد التوكيد.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: ولم يقل: نزلناه، بل أنزلناه؛ أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا، والنّزول من مكان عالٍ إلى مكان أقل علواً؛ أيْ: من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، وكان ذلك في ليلة القدر، ثمَّ نزل بعد ذلك منجَّماً، وأنزلناه، والمنزول هنا منسوب إلى الله تعالى، وبصيغة الجمع؛ للتّعظيم، ولأهمية نزوله، ونزل به الرّوح الأمين، وفي الآية (٣) من سورة الزخرف قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الجعل كان أو تم قبل الإنزال؛ أي: جعله سبحانه وتعالى قرآناً عربياً، ثم أنزله كما هو قرآناً عربياً. ارجع إلى آية الزخرف لمزيد من البيان.

﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: قرآناً: من كونه مقروءاً بلسان عربي مبين، ولكونه أنزل على محمّد ﷺ، وهو من العرب، وهناك من يدعي أن في القرآن كلمات أعجمية، أو أعجمي، أو غير عربي، فهذه الكلمات دخلت قبل الإسلام في العربية، وأصبحت عربية الاستعمال قطعاً، ولم يأت القرآن بكلمة أعجمية، فهو قرآناً عربياً بكامله.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل، لعلّكم تفهمون معانيه، وتدركون الغاية، والحكمة من نزوله، وما يدعوكم إليه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل، والفاعل نحن للتعظيم تعود على الله سبحانه.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: أحسن القَصَص بفتح القاف، وليس بكسر القاف؛ أيْ: أصدق القصص، أفضل القصص، والقَصَص بمعنى: السرد، ولا تعني جمع قِصة، وكلمة قَصَّ: تعني تتبع الخبر أو الأثر أو ما حدث خطوة خطوة، وما يرويه الله سبحانه، أو يقصه علينا لا لبس فيه، ولا خيال وإنما بصدق،

ويسمَّىٰ القَصَص بخلاف، وأما ما يرويه الناس بعضهم لبعض يُسمَّىٰ القِصص، أو الأساطير ففيها الكثير من الخيال والكذب.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: بما: الباء: للإلصاق.

﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: من الإيحاء، وهو الإعلام بخفاء. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنىٰ أوحينا، ونسب الإحياء إليه تعالىٰ للتعظيم.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب؛ لأنّ القراءة تحتاج إلىٰ قرب القرآن من عيني القارئ.

﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: اسم جنس يقع علىٰ كلّ القرآن، أو بعضه.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾: من قبل نزول هذا القرآن.

﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾: اللام: للتأكيد؛ أيْ: كنت غافلاً ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، أو غير منتبه لا تعرف من يوسف، وما قصته، ولم يخطر علىٰ بالك مطلقاً يوسف وشأنه، وما حدث له وليعقوب .

أسباب النّزول: روىٰ الضّحّاك، عن ابن عباس قال: سألت اليهودُ النّبي ﷺ؛ فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب، وولده وشأن يوسف؛ فأنزل الله هذه السّورة.

وروىٰ ابن جرير، عن ابن عباس قال: قالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السّورة.

[٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: إذ: ظرف زماني، واذكر إذ قال يوسف لأبيه، أو حين قال يوسف.

يوسف: بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم؛ فهو أحد أولاد يعقوب الاثني عشر ذكراً.

﴿لِأَبِيهِ﴾: يعقوب .

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: نداء استعمل فيه ياء النّداء: للبعد؛ أبت: بدلاً يا أبي فيها استعطاف، وحنان أكثر من قوله: يا أبي، وقيل : كان عمره حوالي (١٢ عاماً).

﴿إِنِّي﴾: إنّي: للتوكيد.

﴿رَأَيْتُ﴾: فعل ماض يدل على أنّه رأى ذلك مرة واحدة، رأى رؤيا واحدة فقصها على أبيه، ولم يقل : إني أرى، كما قال إبراهيم لابنه إسماعيل: إني أرى في المنام أني أذبحك؛ أرى: فعل مضارع، وأرى: تدل على كثرة الرّؤيا (أكثر من مرة)؛ فقد رأى إبراهيم تلك الرّؤيا ثلاث مرات خلال ثلاث ليال ، إذن رأيت تدل على رؤية واحدة، وأرى على عدة رؤى.

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: الكوكب: جسم بارد يستمد نوره من غيره من الشّمس مثل كوكب الأرض.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾: والشّمس والقمر رأيتهم؛ أي: رآهما معاً، مع العلم أنّ لكلّ منهما وقتاً للظهور يختلف عن الآخر، ولكن رؤيا يوسف رآهما معاً.

﴿لِي﴾: خاصة.

﴿سَٰجِدِينَ﴾: معنىٰ ذلك أنّه أنزل الشّمس والقمر منزلة العاقلين، ويجوز في اللغة العربية تنزيل غير العاقل منزلة العاقل، وتكرار رأيت للتوكيد، والرّؤيا بالألف: تدل علىٰ الرّؤيا المنامية، والرّؤية بالتّاء المربوطة: تدل علىٰ الرّؤية في اليقظة، أو الرّؤية البصرية العادية، وتأويل أحد عشر كوكباً كما سنرىٰ في نهاية القصة؛ يعني: إخوته الأحد عشر، والشّمس والقمر (أمّه وأبوه).

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾: سجود تحية، وتكريم، وليس سجود عبادة، وهذا ما سنراه في نهاية القصة، أو السّورة.

وقد وصف النّبي ﷺ يوسف في الحديث الّذي رواه ابن عمر، وأخرجه البخاري، والإمام أحمد، بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ أي: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

❖ ❖ ❖

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

يجب الإدغام أو الإقلاب

سورة يوسف [الآيات ٥ - ١٤]

[٥] ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾: قال يعقوب ليوسف: يا بني: نداء فيه حنان، وعطف، وتصغير؛ لأنّ يوسف كان صغيراً في السن.

﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾: لا: النّاهية.

﴿تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾: لأنّ إخوته كانوا على علم بتأويل الرّؤيا، وإخوة يوسف هم الأسباط.

﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾: الكيد: هو التّدبير الخفي؛ لإيقاع الضّرر، أو المكروه بالغير؛ سواء علم الخصم، أو لم يعلم، والكيد أقوى من المكر.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وكيدهم سيكون لمصلحتك، ولو قال: فيكيدوك كيداً؛ أيْ: سيكون الكيد شراً لك.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

الشّيطان: هو إبليس، أو ذريته، وهم كفرة الجن.

﴿لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: للإنسان: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: عداوته لا تخفى على أحد من النّاس؛ أيْ: بينة ومعروفة لكلّ فرد، وعداوته كاملة تامة تشمل كلَّ النّواحي، ولا تحتاج إلى برهان، أو دليل.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: أيْ: كما أراك الله هذه الرّؤيا الصّالحة؛ فسوف يجتبيك ربك؛ أيْ: يصطفيك، ويختارك لنبوته. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٤٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: من: ابتدائية بعضية.

﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الإخبار عن حقيقة الرّؤيا؛ أي: استخراج معنى الرؤيا، أو تفسير الأحلام.

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: جمع حديث، والحديث قد يطلق على الرّؤى، والأحلام (أحاديث النّفس)؛ أيْ: يعلمك تعبير الرّؤيا، أو بيان ما يؤول إليه الحلم، أو المنام.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: بالنّبوة، والملك، وعلى آل يعقوب، ويتم نعمته أيضاً على أولاد يعقوب؛ أيْ: سينالهم من الجاه، وعدم الفقر، والغنى.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾: على إبراهيم أتم نعمته عليه بالنّبوة، والخلة (واتخذ إبراهيم خليلاً)، وأنجاه من النّار، وعلى إسحاق: بالنّبوة.

فيوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: إذا اعتبر الجد (إسحاق) بمنزلة الأب، واعتبر أبا الجد (إبراهيم) بمنزلة الأب أيضاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٣) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ كثير العلم.

﴿حَكِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

وقدَّم العليم علىٰ الحكيم؛ لأنّ سياق الآيات في علم تأويل الأحاديث.

[٧] ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد؛ لقد كان في يوسف وإخوته؛ أيْ: في أحداث قصة يوسف وإخوته (الأحد عشر)، وفي: ظرفية مكانية وزمانية.

﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾: آيات: دلائل، وبراهين علىٰ قدرة الله، وعلمه، وعلىٰ صدق نبوة محمد ﷺ.

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ السّائلين: وهم كفار مكة، أو اليهود الّذين سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، وخبر يعقوب آيات كافية لهم؛ لكي يتبينوا صدق نبوة محمّد ﷺ.

[٨] ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾:

﴿ إِذْ ﴾: ظرف زماني، واذكر إذ: أو حين قال إخوة يوسف بعضهم لبعض.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: ليوسف: اللام: لام التّوكيد، وأخوه: بنيامين (أخوه من أبيه وأمّه).

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾: أي: إنّ أبانا يحب يوسف وبنيامين أكثر من حبه لنا.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: العصبة فوق العشرة (١٠-٤٠)؛ أيْ: متعصبون لبعضهم بعضاً؛ يحمي بعضهم بعضاً.

﴿إِنَّ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: لفي: اللام: للتوكيد؛ في ظلال مبين: أيْ: مخطئ، وليس له حق في إيثار يوسف وأخيه عليهم، ولعلَّ السبب في إيثار يوسف وأخيه؛ لأن أم يوسف وبنيامين ماتت؛ الأمر الّذي جعل أباهما أكثر حناناً وعطفاً لهما.

[٩] ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾:

بعد أن بدأت المشاورات بينهم كان من بين المقترحات قتل يوسف.

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾: ولكن عدلوا عنه بإلهام من الله تعالىٰ، ولأنّهم يعلمون عاقبة القاتل في دين يعقوب، وكيف يقتلون أخاهم وهم أولاد نبي.

﴿أَوِ﴾: أو: للتخيير.

﴿أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أيْ: ألقوه في أرض بعيدة.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يخلص لكم وجه أبيكم، ولا يشاركم فيه أحد، ويصبح حبه مقصوراً عليكم، ولن يعد مشغولاً بيوسف وأخيه.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد قتل يوسف، أو طرحه بعيداً.

﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: لتوقف كيدهم، وحسدهم، وعدائهم لأخيهم أو ظانين إن تابوا بعدها أن الله سيغفر لهم ذنبهم، ويتوب عليهم، أو قوماً صالحين؛ لأن اهتمام أبوكم ورعايته سيوجه إليكم، ولا يشارككم فيه أحد، أو يصلح حالكم مع أبيكم.

[١٠] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾:

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: لم يُعرف من القائل؛ قيل: هو يهوذا، وهو أكبر أولاد يعقوب سناً، ويبدو أنّ اقتراحه هو إلهام من الله سبحانه له؛ لكي يتم قضاؤه سبحانه وقدره، ويبقى يوسف حياً.

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وبدلاً من قتله ألقوه في غيابات الجب، وقوله: لا تقتلوا يوسف بدلاً من قوله: لا تقتلوه فيها نوع من العاطفة الأخوية الباقية في نفسه حيث ذكر اسم يوسف.

﴿ٱلْجُبِّ﴾: قيل: هو البئر الّتي لم تبنَ بالحجارة، وهي بئر غير عميقة وفيه

ماء، ومجوف ووسطها، وغيابة: ما غاب من جوانبه عن النّظر، ويستتر ما يختبئ فيه.

إذن: غيابت الجب: هي المنطقة المخفية عن العيون، أو هو قعره، (وغيابة كلّ شيء قعره).

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: جمع سيار: وهو كثير السّير؛ أي: المسافر، فالسّيارة؛ أي: المسافرين، أو الجماعات المسافرة.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: إن: شرطية تدل على الافتراض، أو الاحتمال، والشّك.

﴿فَٰعِلِينَ﴾: قوله: فاعلين جملة اسمية تدل على الثبوت؛ ثبوت أن اقتراحه سيعمل به، ولن يرفض.

وفي هذه الآية أمران: الأوّل: إلقاؤه في غيابة الجب؛ بحيث يلتقطه بعض السّيارة، إذن: ليس في نيتهم قتل يوسف، وإنما التّخلص منه بدفعه في البئر، والالتقاط عادة يكون لشيء نافع؛ أي: يلتقطه بعض السّيارة لينتفعوا به في أمرٍ ما فهذه الجريمة أقل من جريمة القتل، والجب كما قلنا بئر غير عميقة من تراب مجوف وسطها لا يكون فيها حجارة تؤذي يوسف.

[١١] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾:

بعد أن تم الاتفاق بين الإخوة على إلقاء يوسف في غيابة الجب؛ جاؤوا إلى أبيهم، وقال أحدهم، وأمّن الباقون على قوله:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: نداء فيه استعطاف؛ لنيل المراد، واستعملوا يا النّداء للبعد؛ فقد ينادىٰ القريب بما هو للبعيد، وقولهم:

﴿مَا لَكَ﴾: ما: استفهامية؛ فيها معنىٰ الحث، ويبدو من قولهم: أنّ أباهم يعقوب كان يحرص علىٰ يوسف، ولا يتركه يلعب، أو يخرج معهم، أو كان يرفض الاستجابة لطلبهم بما يتعلق بشأن يوسف.

﴿لَا تَأْمَنَّا﴾: لا: النّافية.

﴿تَأْمَنَّا﴾: فترسله معنا، أو لما تخاف علىٰ يوسف منا.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾: وإنا: تفيد التّوكيد؛ له: خاصة.

﴿لَنَاصِحُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد علىٰ المحافظة علىٰ يوسف، وناصحون: أيْ: حذرون عليه، ولن يصاب بأذىٰ، وسنحافظ عليه، ونهتم به.

[١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾:

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: أي: اتركه يخرج معنا غداً في اليوم القادم، وإخوة يوسف يخرجون للرعي، والعمل، ويوسف لا زال طفلاً يخرج معهم لكي يرتع ويلعب، الرّتع: يعني الأكل والشّرب كما يشاء؛ أي: يأكل ويشرب ويتنزه.

﴿وَيَلْعَبْ﴾: واللعب من الأمور المستحبة إلىٰ الأطفال تحت سن التّكليف.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: وإنا: للتوكيد؛ له: خاصة.

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ لحافظون عليه من كلّ أذىٰ، أو ضرر.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾:

﴿قال﴾: يعقوب: إني: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾: اللام: للتوكيد أيضاً، والنّون: لزيادة التّوكيد علىٰ شدة خوف يعقوب علىٰ يوسف؛ فقد جاء بثلاث توكيدات:

يحزُنني: من الحُزن: هو ألم في النّفس لفقد محبوب، أو وقوع مكروه، بينما الخوف: هو ألم في النّفس مما يتوقع من مكروه، ولمعرفة الفرق بين الحزُن، والحزَن: ارجع إلىٰ سورة فاطر، آية (٣٤).

ليحزُنني: أيْ: يشق، أو يصعب عليَّ مفارقته، وغيابه.

﴿أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾: ليرتع ويلعب.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: يعني: حيوان مفترس مثل الضّبع، والذّئب، وذكر يعقوب للذئب؛ لكي ينتحل لهم عذراً؛ فلا يرسله معهم، ولأنّ أرضهم كانت كثيرة الذّئاب، وهذا ما كان شائعاً، ويخيف النّاس.

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: بدلاً من وأنتم غافلون عنه؛ قدَّم الجار والمجرور؛ لتفيد الحصر، أو القصر، وأنتم عنه ساهون، أو لاهون، أو تلعبون. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: (غافلون).

[١٤] ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: إخوة يوسف لأبيهم يعقوب.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: ونحن بهذا العدد؛ عصبة: تعني عشرة، ولا ندافع عنه، أو نحميه.

﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حالية تفيد التّوكيد.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: إذن حرف جواب للتوكيد، كان بالإمكان القول: إنا لخاسرون.

﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والتّوكيد، أو التّعليل، عاجزون، أو ضعفاء.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

سورة يوسف [الآيات ١٥ - ٢٢]

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ لما: ظرف زماني؛ أيْ: حين، خرجوا به، ويبدو أنّ أباهم استجاب لطلبهم بإرسال يوسف معهم.

﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وأجمعوا: عزموا جميعاً، أو اتفقوا، ويدل ذلك أنّهم كانوا لا زالوا مختلفين في أمره حتّىٰ تلك اللحظة الّتي ألقوه فيها في غيابت الجب.

﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠) من نفس السّورة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وأوحينا: من الوحي، وهو الإعلام بالخفاء، وكيف تم ذلك وهو لا زال طفلاً. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ: أوحينا.

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: اللام: لام التوكيد، وكذلك النون بدلاً من لتنبئهم؛ أي: لتخبرن هؤلاء إخوتك بأمرهم هذا؛ أيْ: بما صنعوا بك في المستقبل وفي هذا وعيد لهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بأنّك يوسف أخوهم الذي أصبح عزيز مصر، ولا زلت حياً، كما سنرىٰ في الآيات (٨٨-٩٠) من نفس السّورة. أو هم لا يشعرون: بالوحي بإنزال جبريل لمعونتك عند إلقائك في غيابة الجب، أو لا يشعرون بالقرابة، أو ما سيحدث لك بعد إلقائك، والآية تحتمل كل هذه المعاني.

[١٦] ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾:

أيْ: أخَّروا رجوعهم، أو مجيئهم حتّىٰ وقت العشاء؛ كي يخبروا أباهم بأنّ يوسف أكله الذّئب؛ فقد اختاروا وقت العشاء وقت الليل، والظّلمة؛ كي لا تُرىٰ علىٰ وجوههم علامات الكذب، أو لستر الجريمة التي قاموا بها، والمجيء علىٰ قميصه بدم كذب.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾: جاؤوا في عشاء ذلك اليوم الّذي خرجوا فيه، وألقوا فيه يوسف في غيابت الجب، واختار كلمة جاءوا بدلاً من رجعوا، أو أتوا؛ لأن المجيء فيه معنىٰ المشقة والصعوبة، فهم قد ألقوا أخاهم في البئر، وأما الإتيان فيه معنىٰ السهولة.

﴿يَبۡكُونَ﴾: أيْ: متباكين؛ لأنّهم افتعلوا البكاء؛ فهم جاؤوا علىٰ قميصه بدم كذب، وجاؤوا يبكون، واختاروا ظلمة الليل وقت العشاء؛ لكي يخبروا أباهم بأنّ يوسف أكله الذّئب.

[١٧] ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾:

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ﴾: حين جاؤوا أباهم عشاء يبكون قالوا: يا أبانا.

﴿إِنَّا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾: نتسابق في الجري، وهم لم يفعلوا ذلك، ولم يتسابقوا أصلاً. وقيل: ننتضل؛ أي: نستبق في رمي السهام.

﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾: وهم لم يتركوا يوسف، وإنما ألقوه في غيابة الجب؛ أيْ: تركنا يوسف بجانب متاعنا، والمتاع: هو الطّعام، والشّراب، والأدوات الّتي أخذوها معهم.

﴿عِندَ﴾: ظرف مكان، وزمان.

﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾: فأكله: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أكله الذّئب: نفس

الكلام الّذي قاله أبوهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾؛ فهم لم يفكروا بشيء آخر يقولونه، وكأنّ أباهم يعقوب هداهم لنفس العذر، أو الحيلة.

﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النّافية.

﴿أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمؤمن: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ أيْ: بمصدق لنا، ولم يقل: وما أنت بمؤمن بنا؛ بنا: تعني إيمان عقيدة.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: ولو: شرطية.

﴿كُنَّا صَادِقِينَ﴾: أيْ: ولو ثبت صدقنا ما صدقتنا أصلاً.

[١٨] ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾:

﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: القميص: هو الثّوب الّذي يحيط بالبدن.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد المشقة والصعوبة للحصول على الدم، ثم لطخوا به قميص يوسف بدم كذب؛ أي: ليس دم يوسف.

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: بدم: الباء: للإلصاق والتّوكيد؛ دم كذب: كذب: مصدر للمبالغة، وحين نصف الشيء بمصدره كأن الشيء إلى المصدر؛ أي: كأنّه نفس الكذب، أو الكذب بعينه؛ أيْ: بدم مكذوب؛ لأنّ الدّم لا يكذب، والّذي كذب هو من جاء بالدّم، ووضعه على القميص؛ فلما رأى يعقوب القميص، وعليه الدّم الكذب، ولم يجد فيه أيَّ خرق، أو عيب؛ أيَّ تمزق؛ فكأن الذّئب أكل لحم يوسف دون أن يمزق قميص يوسف؛ عندها شعر يعقوب بمكر أولاده بيوسف.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سولت: طوعت أو سهلت وزينت، والتّسويل: تحسين الشّيء، وتزيينه، وتحبيبه إلى الإنسان كي يفعله، ولنعلم أن التسويل (سولت) تحتاج إلى جهد أقل من طوعت؛ أي: طوعت تحتاج إلى جهد أشد من التسويل.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فصبر: الفاء: للتّوكيد؛ صبر جميل: صبر من دون شكوى

إلى أحدٍ من الخلق إلا الله، ومن دون جزع، أو يأس، والرّضا بما قدر الله وقضى؛ فيجوز للعبد أن يشكو بثه وحزنه إلى الله سبحانه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: أيْ: أسأل الله العون على ما؛ أي: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ تصفون (من هلاك يوسف وأن الذّئب أكله، أو أسأل الله الصّبر، والاحتساب لهذا النّبأ المفجع.

ما هو الفرق بين صبر جميل في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]؟

صبر جميل: جملة اسمية تدل على الثّبوت، والدّوام؛ أي: اصبر صبراً دائماً ومستمراً.

واصبر صبراً جميلاً: جملة فعلية تدل على التّجدد؛ أيْ: صبراً غيرَ دائم ومتواصل.

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: أيْ: جماعة من المسافرين، جماعة مسافرة، لم يخبر سبحانه من أين جاؤوا، وإلى أين كانوا ذاهبين.

﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: فأرسلوا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿وَارِدَهُمْ﴾: الّذي اختير ليذهب إلى البئر؛ ليأتي لهم بالماء، والدّلو: هو الوعاء الّذي يُخرجْ الماء من البئر.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: أنزل دلوه إلى البئر؛ فإذا به يُبصر يوسف في البئر فصاح:

﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾: نادى أصحابه، وبشرهم بأنّه وجد غلاماً، ويبدو أنّ يوسف قد تعلّق بالدّلو، أو بالحبل؛ فشعر الوارد بوجود غلام في البئر؛ فنادى: يا بشرى هذا غلام، وأخبر واردهم بعض أصحابه المسافرين معه.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾: أيْ: أخفوه، وعاملوه؛ كأنّه بضاعة؛ أي: سلعة للتجارة، وقالوا لمن سألهم بشأنه: أنّه بضاعة أبضعها أهل الماء؛ لنبيعها لهم في مصر؛ أيْ: حاولوا إخفاءَه ليبيعوه في مصر كعبد (تجارة الأطفال)، والبضاعة: ما بُضِعَ؛ أيْ: قطع من المال للتجارة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: عليم: بما صنعوا بيوسف، ربما قالوا بعد أن عثروا عليه، وكيف أخفوه، وباعوه في مصر.

﴿عَلِيمُۢ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير العلم؛ عليم: يعلم سرهم، ونجواهم، وعليم بذات الصّدور، وما يخفونه، وهو بكلّ شيء عليم: لا تخفىٰ عليه خافية في السموات، ولا في الأرض.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون؛ العمل: هو القول، والفعل.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: أي: باعوه بثمن زهيد؛ أيْ: أقل مما يستحق، ويقال: بخس حقه: نقص حقه، ولم يوفه، وفيه نوع من الظلم؛ أي: هم باعوه بأقل بكثير من قيمته الحقيقية.

﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: دراهم قليلة، والمعدودة: أكثر من المعدودات؛ أي: ربما باعوه مثلاً بثلاثين درهم، وكان قدره أو قيمته أكثر من ذلك بكثير.

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: كانوا في يوسف.

﴿مِنَ﴾: استغراقية؛ التّوكيد.

﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: جمع زاهد، والزهد: هو عدم الطمع؛ أيْ: كانوا يريدون أن يتخلّصوا منه بأيِّ ثمن.

[٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ

وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾: الّذي اشتراه هو العزيز وزير الملك ملك مصرَ (غير منونة)، وتعني: مصر المدينة المعروفة، ولم يقل مصراً، كما جاء في قوله تعالىٰ ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة:٦١]؛ أي: أيّ مدينة.

﴿ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾: لامرأته ولم يقل لزوجته. ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٩) لمعرفة الفرق بين الزوجة والمرأة في القرآن. أحسني إقامته عندنا بالطعام، والشّراب، واللباس، أو أحسني ضيافته، ونُزله، والمثوىٰ فيها معنىٰ: الإقامة الجبرية؛ لأنه طفل، واشتُري كعبد.

﴿ عَسَىٰٓ ﴾: أداة رجاء، وتستعمل في الأمر الّذي يتحقق حدوثه فيما بعد.

﴿ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾: ببعض الأمور؛ أيْ: يساعدنا، أو نتخذه ولداً؛ حيث كان عزيز مصر لا ولد له، وإذا قيل: كيف يتخذه ولداً، وهو عبد له؛ فيه تناقض؛ أي: يعتقه أوّلاً، ثمّ يتبناه، ويتخذه ولداً؛ حيث كان التّبني معلوم آنذاك.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: أيْ: كما أنجيناه من القتل، وأخرجناه من ظلمة الجب؛ مكّنّا له بالقدوم إلىٰ بيت العزيز.

﴿ لِيُوسُفَ ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿ مَكَّنَّا ﴾: والتّمكين يعني له القدرة علىٰ الوصول إلىٰ ما يبغيه، ويطمح به من الحرية، والأمن، وممارسة شعائر ملته، والأمر والنّهي، ولا يعني التّسلط والظّلم.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: في: ظرفية؛ لأنّ الأرض تضم الأرض، وما يحيط بها من غلاف جوي.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾: تأويل الرّؤيا، والأحلام، تعبير الرّؤىٰ، والأحلام، ولنعلم: الواو: للتوكيد.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾: أيْ: لا يعجزه شيء، وكلّ أمر يقع، أو يحدث يقع حسب مشيئة الله وحده، ولا راد لقضائه فلا يُغلب، ولا يُقهر، أو الله غالب على أمر يوسف يدبره، ويصرفه كيف يشاء، ولا يكله إلى غيره.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أن الأمر كلّه بيد الله وحده، وهو فعال لما يريد، أو لا يعلمون حقائق الغيب، وحكمته، ويأخذون بظواهر الأمور.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرف زمني بمعنى: حين، وتتضمن معنى الشّرط.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: كمال قوته العقلية، وقيل: الأشد بين (١٨-٣٣ سنة)، بينما في موسى قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ ارجع إلى سورة القصص آية (١٤) للبيان والفرق.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾: النّبوة، وحكماً: الحكم والفصل والقضاء.

﴿وَعِلۡمٗا﴾: الفقه بأمور الدّين وتفسير الرّؤيا والأحلام.

والإيتاء: يختلف عن العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: أيْ: آتاه الله الحكم والعلم جزاء على إحسانه في عمله، وتقواه، أو كما جزينا يوسف الحلم والعلم والصبر نجزي كذلك المحسنين أمثاله.

❖ ❖ ❖

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

سورة يوسف [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: ولم يذكر اسمها كأن يقول امرأة العزيز، أو اسمها الحقيقي لتجنب إذاعة الفاحشة والستر عليها وعلىٰ سيدها؛ المراودة: المطالبة برفق، ولين، والمراجعة؛ أيْ: إعادة الطّلب، وبأسلوب فيه نوع من الخداع، والحيلة لوقوع المطلوب، ومعنىٰ ذلك حاولت إغراءَه جنسياً.

وأبدت له من القول، والحركة، والمحاسن ما يدل علىٰ أنّها تدعوه إلىٰ الوقوع في الفاحشة بعد أن اتخذت كلّ الأسباب اللازمة للحيطة، والحذر من اكتشاف هذا الأمر، والمراودة مشتقة من الرّويد، وهو الرّفق، والمراودة مفاعلة؛ أيْ: تحتاج إلىٰ مشاركة بين طرفين، وقد تنتهي إلىٰ نتيجة، أو لا يستجاب لها.

﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد؛ أيْ: يتخلىٰ عن نفسه لها؛ أيْ: يعطيها نفسه؛ فتحصل امرأة العزيز علىٰ ما تريد منه.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾: ولم يقل: وأغلقت الأبواب، غلقت الأبواب؛ أيْ: أحكمت إغلاقها؛ لتأمن من الدّاخلين؛ أي: استعملت المفاتيح، وغلقت الأبواب؛ تعني: أبواباً كثيرة بينما أغلقت الأبواب: تدل علىٰ أنها من دون إحكام، وأبوابٌ قلة.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: انتهت مرحلة المراودة إلى مرحلة التّطبيق.

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: أيْ: هلمَّ إلي؛ أقبل، وأسرع، أو جئت لك؛ أيْ: أعددت نفسي لك.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص لك وحدك.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: قال يوسفُ: معاذ الله: مشتقة من أعوذ بالله؛ أيْ: ألتجأ وأعتصم بالله أن أفعل هذا، أو أعوذ بالله معاذاً مما تريدين مني.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّه: للتوكيد، والهاء: تعود إلى العزيز.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾: أيْ: سيدي (أيْ: عزيز مصر)، وقد تعني أيضاً: الله سبحانه، فالأسلوب يحتمل كلا المعنيين؛ فالله هو المربي الحقيقي، والعزيز هو الّذي وكل إليه للقيام بالتّربية.

﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أيْ: أكرمني، وأحسن إقامتي عنده، وربّاني. ارجع إلى الآية السابقة (٢١) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إنّه: للتوكيد؛ لا: النّافية.

﴿يُفْلِحُ﴾: أي: يفوز بالمرغوب وينجو من المرهوب، فالفلاح: هو الفوز والنجاة.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: الزّناة، أو الخائنون؛ أيْ: من يفعل ذلك يكن خائناً للأمانة، وظالماً لنفسه وغيره. والظالمون: جمع ظالم، والظالم: كلّ من خرج عن منهج الله، والظالمون: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الظلم عندهم.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو: عاطفة؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد أيضاً.

﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾: الهم: هو حديث النّفس بالشّيء بلا عزم بمقتضىٰ النّظرة، وهو هم عارض، وهناك الهم الثّابت المصاحب للعزم، والتّصميم، والرّضا، وحين نقرأ، أو نتلو القرآن فمن الأفضل الوقوف علىٰ : ولقد همّت به.

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾: لولا: حرف امتناع لوجود؛ أيْ: لولا أن رأىٰ برهان ربه لهمّ بها، وبما أنّه رأىٰ برهان ربه فهو لم يهمّ بها.

وكذلك انتبه إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾: ولو قال تعالىٰ: ولقد همت به، ولم يهم بها لقيل: إنّ يوسف قد يكون عنّيناً ليس عنده شهوة للنساء، أو غيره من الموانع، وأصل الكلام: لولا أن رأىٰ برهان ربه لهم بها؛ أيْ: فيه تقديم، وتأخير، وهناك من قال: وهمّ بها؛ تعني: همّ بدفعها عنه وإبعادها، ومحاولة الفرار.

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾: ما هو برهان ربه؟ لم يبيِّنه لنا الحق سبحانه؛ فقد قيل: البرهان برهان ربه تذكر شريعة ربه (حدود ربه) التي تحرم الفاحشة (الزنىٰ) وعقوبة الزاني والزانية فحصنه ومنعه إيمانه القوي بالله، وشعوره بمراقبة الله له، وقيل: أنه رأىٰ أباه يعقوب يحذره، أو رأىٰ آية: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾، أو رأىٰ خيالاً، أو صورة العزيز زوج المرأة، والله أعلم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تفيد التشبيه؛ أي: مثل ذلك، أو تعني أيضاً:

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: لنصرف: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل.

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: الخيانة، والإثم.

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: الزّنى.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: المخلَصين: بفتح اللام، والمخلَص: هو من اصطفاه الله سبحانه من عباده؛ وأخلصه: جعله طاهراً تقياً؛ أيْ: من عبادنا الأصفياء الأتقياء الطّاهرين الّذين اختارهم الله لرسالته مثل الأنبياء، والصّديقين، وهؤلاء هم مخلِصون لله قبل أن يكونوا مخلَصين؛ أمّا المخلِصين: بكسر اللام: هو الّذي يجاهد نفسه ليكسب طاعة الله؛ أيْ: يُخلص نفسه لله.

[٢٥] ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: تسابقا كلّ واحد يحاول أن يسبق الآخر؛ ليفتح الباب.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾: قد الثّوب شقه طولاً؛ فهو يحاول الهرب أمامها، وهي تجري وراءه لتمنعه من الخروج؛ فشقت قميصه من دبر.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾: ألفى الشّيء وجده، وهناك فرق بين ألفى الشيء، ووجد الشيء؛ ألفى: لا تستعمل إلا فيما هو مشاهد أو محسوس؛ أي:

مادية، وتستعمل في الأمور غير المستحبة كما في هذه الحال؛ أيْ: وجدا سيدها (في اللغة القبطية) الزوج؛ أي: زوجها لدىٰ الباب، ومباشـــرة ألقت امرأة العزيز الاتهام علىٰ يوســـف في شكل سؤالٍ وإذا قارنا ﴿لَدَا﴾ هذه (بالألف الممدودة) مـــع ﴿لَدَى﴾(بالألف المقصورة) التي جاءت في ســـورة غافـــر آية (١٨) نجد ﴿لَدَا﴾ بالأف الممدودة جاءت في ســـياق الأمر الحســـي الماديٍ وهو البابٍ و ﴿لَدَى﴾ بالألف المقصورة جاءت في ســـيلق الأمر المعنويٍ وهو: كون القلوب لدىٰ الحناجر. ارجع إلىٰ سورة غافر آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ﴾: ما: استفهامية.

﴿جَزَآءُ﴾: عقاب.

﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾: من: اسم موصول ابتدائية.

﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾: الخيانة، ثمّ حددت هي نفسها العقاب إلا أن يُسجن، أو عذاب أليم.

﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾: أيْ: ما جزاؤه إلا السّجن.

﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الجلد، والضّرب بالسّياط (١٠٠ جلدة)، أو (٨٠ جلدة).

[٢٦] ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾: عندها قال يوســـف: هي راودتني عن نفسي؛

أيْ: طلبت مني، أو دعتني، أو أغرتني؛ فلما تعارض قول يوسف مع قول امرأة العزيز استدعى الخلاف إلى قاضٍ يقضي بينهما، أو خبير في القضايا الجنائية، وسماه شاهد يشهد بما يرى من الحقائق.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: قيل: كان الشّاهد رجلاً حكيماً صاحب رأي من أهلها؛ قيل: ابن عمها، وقيل: هو طفل في المهد، والأرجح: هو الأوّل؛ أيْ: كونه رجلاً حكيماً؛ لكون سياق القصة يتماشى مع هذا الافتراض.

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: يبدو أنّ الشّاهد القاضي تلا القانون الّذي سيبني عليه حكمه، وقبل رؤية القميص والتّدقيق فيه.

﴿إِن﴾: شرطية افتراضية، أو احتمال قميصه شق من الأمام؛ يعني: هو أقبل نحوها فدفعته؛ فهو حاول الهم بها، وهي تدفعه؛ فشقت قميصه من الأمام.

﴿فَصَدَقَتْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد، وهو من الكاذبين.

[٢٧] ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: وإن: شرطية للافتراض.

﴿كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: من الخلف؛ أيْ: هي تَتْبعه، وتجري خلفه، وهو يحاول الهرب منها؛ فتمسك بقميصه فشق من الخلف.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: قيل: هذا قول الشّاهد، وهو الأرجح.

وقيل: هذا قول العزيز، وليس قول ربنا، كما يظن بعض النّاس.

وقيل: كيد المرأة عظيم في أمر الفاحشة (الزّنىٰ)، وكيدها عظيم؛ لأنّها هي التي تجر عادة إلىٰ الفاحشة (الزّنىٰ) بما تقوله، أو تفعله.

الكيد هو: ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السّورة.

﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾: إنّ: للتوكيد، والكيد: هنا يعني إلصاق السّوء (الخيانة)، أو التّهمة بيوسف.

﴿عَظِيمٌ﴾: لأنّه قد يؤدي إلىٰ حدِّ الرّجم.

[٢٩] ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: هذا قول العزيز.

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: أيْ: لا تذكره إلىٰ أحد، واكتمه، ولم يقل: يا يوسف أعرض عن هذا: حذف ياء النّداء؛ بسبب العجلة حتّىٰ لا يسمع أحد، والإيجاز، والتّستر، والخوض في هذه المسألة، وتنتشر الفضيحة، أو المقام مقام إيجاز واختصار.

﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾: هذا قول العزيز لزوجته: استغفري لذنبك.

﴿لِذَنۢبِكِ﴾: اللام: لام البدلية، أو التّعليل، والتّوكيد؛ أيْ: توبي من ذنبك.

﴿إِنَّكِ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: أي: المذنبين الآثمين.

﴿ٱلْخَاطِئِينَ﴾: جمع خاطئ: وهو من تعمد الذّنب بسبب ما همت به، ولم يقل: كنت من الخاطئات؛ لأنّه أراد التستر، والنّهي عن إشاعة الفاحشة، وجاء بلفظ التذكير (الخاطئين)؛ لأن الخاطئين تشمل الذكور والإناث معاً.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

فلمّا تسرب الخبر إلى عدد من النّسوة (٤-٥ نساء) اللاتي يعملن في القصر، أو بسبب إخبار أزواجهنَّ لهنَّ.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: ولم يقل: قالت نسوة؛ قال بالتّذكير الذي يدل على جمع قلة، ولو قال: قالت، بالتّأنيث فهو يدل على الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾: بالتّأنيث جمع كثرة، ﴿جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي﴾: تدل على القلة؛ ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يوم القيامة في الآخرة كلّ الرّسل بما فيهم الأنبياء؛ تدل على الكثرة.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾: ولم يقل: زوجة العزيز؛ لأنّه هناك مرض في الزّوج هو عدم الإنجاب بذلك خالف زوجه الّتي هي صالحة للإنجاب؛ فبدل كلمة زوجة بكلمة امرأة، يستعمل القرآن زوجة للمرأة الّتي لا تخالف زوجها في الدّين (مثل الكفر)، وهي صحيحة البنية ليس فيها عيب أو مرض مثل العقم أو سوء الخُلق وكتبت امرأت بالتاء المفتوحة أو المبسوطة بينما في الآية (١٢) في سورة النساء والآية (٥٠) في سورة الأحزاب بالتاء المربوطة. ارجع إلى سورة آل عمران آية

(٣٥) لمعرفة الفرق؛ فنبأ امرأة العزيز ربما تسرب إلىٰ أحد العاملين في القصر، ثمّ انتقل إلىٰ بقية العاملين وأزواجهم.

وهؤلاء النّسوة قيل : كن خمس نسوة؛ فانتقل الخبر إلىٰ إحداهنَّ، ثمّ شاع الخبر بينهنَّ، ثمّ وصل إلىٰ امرأة العزيز.

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣).

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: الشّغاف: هو غلاف القلب؛ أيْ: أنّ حبها له وصل إلىٰ قلبها (شغاف قلبها دلالة علىٰ شدة الحب)، وأن حبه قد جرىٰ في دمها ووصل إلىٰ قلبها.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: لنراها: اللام: لام التّوكيد؛ نراها في ضلال مبين: بعيدة عن الصّواب (أخطأت وابتعدت عن التّحصن، ومنهج الله).

﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر لكلّ فرد، وضلال ظاهر لا يحتاج إلىٰ أحد ليظهره؛ أيْ: مظهر لنفسه لا يحتاج إلىٰ دليل، أو برهان.

❖❖❖

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

سورة يوسف [الآيات ٣١ - ٣٧]

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أي: المباشـــرة؛ أيْ: مجرد ما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن من دون تأخير؛ لما: ظرف زماني بمعنىٰ: حين.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: بمكرهن: البـــاء: للتوكيد؛ بمكرهن: أي: اغتيابهنَّ: من الغيبة لها، وقولهنَّ؛ أنّ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً؛ أي: امرأة العزيز عشقت فتاها، وسمّي الاغتياب مكراً؛ لأنّه حدث في الخُفية، ويسيء إليها وهو نوع من أنواع إشاعة الفاحشة.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهنَّ إلىٰ منزلها دعوة خاصة.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: وأعتدت: ولم تقل أعدت؛ اعتدت: فيها حروف من الجهر والهمس تدل علىٰ الاســترخاء، والذي يناسب المتكأ، وفيه نوع من الرقة والخفوت مقارنة بـ(أعدت)؛ أيْ: أعدت مكان الاستقبال، والمتكأ: الشّيء الّذي يستند إليه الإنسان عند جلوسه مثل الوسائد وغيرها.

﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: وآتت: من الإيتاء، وهو أعم من العطاء، ويســتعمل للأمور المادية والمعنوية والإيتاء عطاء دون تملك؛ أي: يمكن اســترداده. ارجع إلىٰ ســورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان. وأخبرت

يوسف سابقاً بأنّها ستدعوه ليخرج عليهنَّ في الوقت المناسب؛ أيْ: حين يبدأن يقطعن الفاكهة.

﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: ولم تقل : اخرج إليهن.

﴿عَلَيْهِنَّ﴾: على: تفيد الاستعلاء، والمشقة؛ لأنّ خروجه لم يكن سهلاً فيه المفاجأة والدهشة؛ قالت عليهن.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أيْ: فلما وقعت أعينهنَّ عليه أكبرنه: دُهشن بجماله، وبهتن به، أو ذهلن بجماله، ولم يكنَّ يتوقعن، أو يتخيلن أن يكون بهذا الجمال.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أيْ: جرحن أيديهنَّ.

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾: حاشا: كلمة تفيد التّنزيه، وأصلها الحشا، والحاشية: النّاحية؛ أيْ: بُعد مما رُمي به، أو اتهم به من سوء (الفاحشة)، أو نقص، فلم يصبه شيء مما رموه به، وحاشا لله: تنزيه لله من كلّ سوء، وعجز؛ فهن يبرئن الله أوّلاً، ثمّ يبرئن يوسف مما رُمي به، وحاش لله: قد تعني تبرئة الله من كلّ عجز، وتعجباً من كونه خلق بشراً كيوسف، وحاشا: من أدوات الاستثناء، وتعني: إذا أردنا تنزيه شخص من سوء نبدأ بتنزيه الله أولاً سبحانه من السّوء، ثمّ نبرِّئ ذلك الشّخص مما رُمي به، أو قذف به، أو اتهم به؛ فيكون ذلك أبلغ وآكد.

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: نفين عن يوسف أن يكون بشراً؛ لشدة جماله، وحسن صورته، أو مستحيل أن يكون هذا بشراً.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: أيْ: ما هذا.

﴿إِنْ﴾: للنفي، وأشد نفياً من: ما.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب؛ تشير إلىٰ يوسف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: أيْ: ملك من الملائكة كريم.

[٣٢] ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾:

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى﴾: قالت ، امرأة العزيز.

﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: الفاء: للتأكيد؛ ذا: اسم إشارة يدل علىٰ يوسف، واللام: للبعد، مع أنّ يوسف حاضر أمامهنَّ؛ للدلالة علىٰ علوه، وبعد منزلته، والكاف: للخطاب، والنون: نون (النسوة) الجمع والخطاب من امرأة العزيز لجميع النسوة اللاتي حضرن المجلس.

﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: الّذي: اسم موصول.

﴿لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: أيْ: في حبه؛ من لام يلوم ولامه؛ اللوم: خطاب يعبر فيه عن عدم الرّضا، عن عمل لم يكن متوقعاً من عامله (قول، أو فعل)، فكيف امرأة العزيز تعشق، أو تحب عبدها حقاً؛ فهي تلام علىٰ فعل ذلك.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣) من نفس السّورة.

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾: فيها مبالغة؛ أيْ: بالغ من الاستعصام في الامتناع، أو ضبط نفسه عن الشّهوة.

﴿وَلَئِن﴾: اللام: للتأكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿لَمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: لم: النّافيــة؛ أيْ: لم يطع أوامري، أو أمري إياه، وما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنىٰ: الّذي.

﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: ليسجنن: اللام: لام التّوكيد؛ يسجنن: فيها ثلاث نونات، ومنها: نون النّسوة الثّقيلة؛ لزيادة التّوكيد.

وأما كلمة ليكونــاً من الصّاغرين: فيها لام التّوكيد، وفيها نونان: منها: نون النّسوة الخفيفة.

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: أو للتخييــر؛ ليكونــاً من الصاغريــن؛ أيْ: يُذل، ويُهان، ويحط من كرامته، ويُحقر.

والفرق بيــن ليســجنّ، وليكوناً: هي أنهــا أكدت بزيادة نــون في كلمة (ليسجنن)، ولم تقل: ليكونن من الصاغرين، بل ليكوناً من الصاغرين.

زيادة التّوكيد في كلمة (ليسجنن) علىٰ كلمة (ليكوناً) تشير إلىٰ امرأة العزيز تؤكد، وتميل، وترغب في أن يســجن، ولا يُهان، ويحط من كرامته؛ أيْ: يسجن بدلاً من أن يكوناً من الصاغرين.

عند ذلك قال النّسوة ليوســف: أطع مولاتك؛ فقال عندها يوسف: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: قال يوســف: رب، لم يستعمل الياء أداة النداء؛ لعلمه بقرب ربه منه، وياء النّداء تستعمل للبعيد.

﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾: أفضل إليَّ من ارتكاب الفاحشة والسّوء، والسجن: اسم مكان، ومعنىٰ ذلك نزول السّجن.

﴿مِمَّا﴾: من + ما؛ من: ابتدائية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي يدعونني.

﴿يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾: جاء بصيغة الجمع؛ يدعونني إليه علىٰ الرّغم من أنّ امرأة العزيز هي الّتي دعته، وبما أنّ رغبات النّساء تشبه رغبة الواحدة منهن؛ فسواء كانت امرأة العزيز، أو غيرها من النّساء دعوتهنَّ واحدة، وفتنة النّساء أمر كبير علىٰ الرجال.

﴿وَإِلَّا﴾: أصلها: وإن لا؛ إن: شرطية تفيد الشّك، والاحتمال. ولا: نافية.

﴿تَصْرِفْ عَنِّي﴾: وتصرف من الصّرف، وهو رد الشّيء من حال إلىٰ حال؛ أيْ: تُبعدني، أو تعصمني من كيدهن.

﴿كَيْدَهُنَّ﴾: من الكيد: وهو التّدبير بالخفاء، ويعني هنا: الوقوع بالفاحشة الزّنىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السورة لبيان معنىٰ الكيد.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أيْ: أمل إليه، وصبا: مال، والصّبوة: ميل النّفس للهوىٰ، والشّهوة.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: الجهل: ضد العلم، وهو عدم المعرفة. جمع جاهل: الّذي لا ينظر في عواقب الأمور؛ أيْ: من الّذين لا يعلمون، أو من يعلم، ولا يعمل بما يعلم؛ فهو يساوي الجاهل، أو من العاصين، أو من يبيعون آخرتهم بدنياهم. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الجاهلين.

[٣٤] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: فاستجاب: الفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور، واللام: لام الاختصاص، والهاء: تعود على يوسف، وتقديم الجار والمجرور: يدل على الحصر له خاصة، وليس لغيره.

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: الصّرف: لا يقدر عليه إلّا الله، والصرف يعني: الإبعاد والعصمة.

﴿كَيْدَهُنَّ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة، والآية (٥) من نفس السّورة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: صيغة مبالغة في السّمع؛ السّميع لأقوال عباده، وما قاله يوسف، ودعاه، وما قال النّسوة؛ فلا يخفى عليه السّر، أو العلن.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه، وكونه، والعليم بما يعمله كلّ مخلوق، والعليم بحال يوسف، وامرأة العزيز، والنّسوة، وكلّ إنس وجان، وملك، وشيء، وأمر لا تخفى عليه خافية في السّموات، ولا في الأرض.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب التّسلسلي في الأحداث، وليس التّراخي في الزّمن.

﴿بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: الآيات: هي (قد القميص من الدّبر، وشهادة الشّاهد، قطعن أيديهنَّ، وتعظيم النّسوة ليوسف، والقول حاشا لله ما هذا بشر).

﴿بَدَا لَهُم﴾: ظهر لهم: أنّ من المصلحة، وأفضل شيء أن يسجنوه حتّىٰ حين.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية (نهاية الغاية)؛ حتّىٰ تهدأ الفضيحة، وينقطع كلام النّاس، وينسىٰ النّاس هذه القصة.

[٣٦] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: هذا يدل علىٰ أنّ يوسف أُدخل السّجن، وكان معه في السّجن فتيان.

﴿فَتَيَانِ﴾: مثنىٰ فتىٰ، وجمعه: فتية، أو فتْيان، ومن خصائص القرآن أنه يستعمل فتية في سياق الفئة الصّالحة المؤمنة؛ مثل: أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف:١٣]، ويستعمل الفتيان كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ [يوسف:٦٢] إلىٰ الفئة المملوكة، والعرب قديماً كانت تسمّي المملوك فتىٰ (شاباً كان أو شيخاً).

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: إني: أراني: من الرّؤيا، وهي الحلم؛ رأىٰ في المنام: أنّه يعصر العنب؛ ليصنع منه خمراً.

﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾: واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ فمنهم من قال: كانت صادقة، ومنهم من قال غير ذلك.

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: أيْ: أخبرنا بتفسير هذه الرّؤيا، أو تعبيرها، والباء:

للإلصاق، والتّوكيد. وقوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْنَا﴾ (ولم يقل أنبئنا) نبئنا: أبلغ وآكد من أنبئنا.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: السّؤال: كيف علموا أنّه من المحسنين؟ لأنّهما كانا يشاهدانه يساعد المريض في السّجن، والضّعيف، ويجتهد في العبادة والصّلاة؛ أيْ: من مشاهدة أعماله الحسنة؛ علموا أنه من المحسنين؛ جمع محسن. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٢)؛ لمزيد من البيان.

[٣٧] ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

انتبه في الآية السّابقة هما يسألانه عن تأويل رؤياهما، وقوله: لا يأتيكما طعام ترزقانه ليس بجواب لسؤالهما؛ فهو إما أراد تأخير الجواب لما بعد، أو الإعراض، وعدم الإجابة؛ فلما ألحا عليه أجابهما، أو أراد استغلال الموقف؛ لكي يدعوهما إلىٰ الإيمان، والتّوحيد قبل الإجابة، والفتيان لا يسألانه عن مؤهلاته أيضاً، ولكن يوسف بدأ بالحديث عن شيء من الغيب مما علمه ربه بالإيحاء، وهو إعلام بخفاء، كما فعل بعض الأنبياء والرّسل؛ مثل: رسول الله ﷺ، وعيسىٰ ، والخضر، وهذا يعتبر من معجزات النّبوة.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: قبل أن يصل إليكما أيُّ نوع من أنواع الطّعام إلا أخبرتكما قبل وصوله إليكم؛ أيْ: ما نوعه، ومن أين (أي الجهة) جاء.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾: ذلكما: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف:

للخطاب، وما: للتثنية؛ أي: التّأويل، أو الإخبار بالمغيبات؛ ذلكما مما أوحىٰ إليَّ ربي يدل علىٰ أنّ يوسف بدأ يوحىٰ إليه، وهو في السّجن.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: ملة: مذهب أو جملة الشرائع، أو شريعة قوم لا يؤمنون بالله؛ أيْ: ملة الملك، وأهل مصر (المصريون، والكنعانيون).

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد؛ أيْ: لا يؤمنون بالبعث، والحساب، ويوم القيامة.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد علىٰ كفرهم بالآخرة.

﴿كَافِرُونَ﴾: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت؛ ثبوت صفة الكفر فيهم؛ أي: إذا هناك كافرون فهم في طليعتهم وفي قمة الكفر، وتكرار هم لفصل عدم إيمانهم بالله عن عدم إيمانهم بالآخرة فهم لا يؤمنون لا بهذه ولا بتلك ولا بهما معاً.

❖ ❖ ❖

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ
ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ
مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

سورة يوسف [الآيات ٣٨ - ٤٣]

[٣٨] ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

يتابع يوسف قوله للفتيان: أنّه ترك ملة الكفر (ملة قوم لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة).

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ملة: شريعة، والملة: تضاف إلى النّبي، ولذلك أضافها إلى إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ودائماً الملة في القرآن: تنسب إلى نبي، أو قوم، وهي جملة الشّرائع المتبعة في ذلك الزّمان، أمّا الدّين: فينسب إلى الله فقط، وهو الصّالح لكلّ زمان ومكان. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٩)؛ لمزيد من البيان، والفرق بين الدّين، والملّة.

﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما: النّافية.

﴿كَانَ لَنَآ﴾: يحق لنا، أو يجوز لنا.

﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾: بالله: الباء: للإلصاق.

﴿مِن شَىْءٍ﴾: من: استغراقية تشمل أيَّ شيء؛ أيْ: أن نجعل له شريكاً في الملك، أو نِدّاً، أو مثيلاً، أو ولداً، أو وليّاً، أو صنماً، وثناً، مَلَكاً، كوكباً، بشراً، عيسى، عزيراً.

شيء نكرة؛ تعني: أيَّ شيء مهما كان نوعه، وتعني: أقل القليل.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى التّوحيد، وعدم الشّرك بالله، وملة إبراهيم، والحنفية.

﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: مـــن: ابتدائية بعضية؛ بعض فضل الله أن هدانا للتّوحيد، وعدم الضّلال، ومعرفة المعبود الحق.

﴿عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: معشر الأنبياء، وعلى النّاس كافة من الجن، والإنس، وعلى: تفيد العلو، والاستعلاء.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لكن: استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: أيْ: هناك أقلية من النّاس تشكر المنعم، والمفضل وهو الله، وأمّا الأكثرية فتجحد نعمة الله وفضله.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: تفيد التّكرار، والتّجدد، لا يشكرون فضل الله عليهم ونعمته. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٣٩] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: يا: أداة نداء للبعيد والتنبيـــه، وقد يقصد بها القريب غير المنتبه، أو المتيقظ لما يحدث. صاحبي السّجن: مثنى؛ تعني: الفَتَيان؛ مثنى: فتى؛ نداء فيه حنان، وعطف عليهما؛ صاحبي السّـــجن: الصّاحب من الصّحبة، وجمعه أصحاب؛ مثل: أصحاب الجنّة، أو أصحاب النّار، وتطلق كلمة صاحب، أو أصحـــاب بعد المكث، والإقامة الطّويلة في مـــكان، ما، والصّاحب قد تعني:

الملازم والمعاشر؛ أي: الصّديق، والصحبة؛ تعني: انتفاع أحد الصاحبين بالآخر عكس القرين الّذي يضر ولا ينفع.

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾: أأرباب: الهمزة: للاستفهام، والتّقرير، والتّعيين.

﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾: في العدد، والذوات، والقدرات، والأمر، والنّهي.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل، أو أحسن.

﴿أَمِ﴾: للإضراب الانتقالي (أم المتصلة).

﴿ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: الله: واجب الوجود؛ اسم الله الجامع لكلّ صفات الله العليا، وأسمائه الحسنى.

﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾: الّذي لا يتجزأ، ولم يلد، ولم يولد. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالب القوي الّذي لا يُقهر، والممتنع؛ أيْ: يا صاحبي السّجن أعبادة إله واحد خير، أم عبادة آلهة متعددة، ومتفرقة؟! على احتمال أنّ هناك مثل هذه الآلهة المزعومة.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: ما: النّافية. تعبدون: من العبادة، وتختلف عن الطاعة.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: تعني الطاعة في القول، والفعل، والأمر، والنّهي؛ والعبادة لا

تكون إلا للخالق وحده، وأمّا الطّاعة؛ فقد تكون لله، أو لغير الله سبحانه. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (٢)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ العبادة.

﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: من غير الله، أو من سواه؛ أي: الآلهة، والأصنام، والكواكب.

﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: إلا: أداة حصر؛ أيْ: مجرد أسماء لا معنىٰ لها أسماء ورثتموها عن آبائكم.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: من حُجَّة قاطعة، أو دليل، أو برهان، أو آية، أو وحي لكي تُعبد؛ انتبه إلىٰ قوله: ما أنزل، ولم يقل: ما نزَّل.

﴿مَّآ أَنزَلَ﴾: علىٰ وزن أفعل بينما نزَّل علىٰ وزن فعَّل؛ نزَّل فيها مبالغة أكثر وتضعيف، وتستعمل في الحالات الّتي هي أشد، وأقوىٰ، أو تحتاج إلىٰ تأكيد، وتهديد، ووعيد، ورجس، وغضب كما هي الحال في آية الأعراف (٧١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ أيْ: سلطان مهما كان سواء أكان سلطان قوة، أو قهر، أو سلطان حُجَّة، ودليل.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: إن: حرف نفي أقوىٰ في النّفي من ما؛ أيْ: ما الحكم إلا لله.

﴿ٱلْحُكْمُ﴾: الفصل، والقضاء، والجزاء، والثّواب، والعقاب كلّه بيده.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ حصراً وقصراً ليس لأحد إلا لله (نفي تبعه استثناء تفيد الحصر). ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٦٢)؛ لبيان معنىٰ الحكم.

﴿أَمَرَ﴾: أيْ: أمر الله سبحانه، أو فرض حكم.

﴿أَلَّا﴾: أنّ: المصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد؛ لا: النّافية، أو النّاهية.

﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾: العبادة: لا تكون إلا للخالق، وتعني: طاعته فيما أمر، ونهىٰ عنه في القول والفعل. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (٢)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: أداة حصر.

﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ اللام: للبعد يشير لعلو هذا الدّين.

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: الحق؛ أي: الإسلام، والدّين المستقيم دين الحنيفية السّمحة الّذي لا عوج فيه، والقيم يعني: لا تقوم الحياة إلّا به.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: غالبية النّاس لا يعلمون أنّ الإسلام هو الدّين القيم، والحق ودين الفطرة، والتّوحيد، وهو الّذي أرسل إلىٰ النّاس كافة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: التّوحيد، والإخلاص في العبادة.

[٤١] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۖ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾:

بعد دعوتهما إلى الإيمان، وعبادة الله وحده يعود إلى تفسير الرّؤيا الّتي طلبوا منه سابقاً.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾: نداء فيه حنان وعطف. ارجع إلى الآية (٣٩) السّابقة.

﴿أَمَّآ﴾: حرف شرط وتفصيل، وتوكيد.

﴿أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾: أمّا الّذي كانت رؤياه أنّه يسقي ربه خمراً؛ سيخرج من السّجن، ويفرج عنه، ويعمل كساقي للخمر عند الملك، وقيل: هو نفسه كان يسقي الخمر واتُّهم بمحاولة قتل الملك فسجن، وهو بريء.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ﴾: الّذي كانت رؤياه (يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطّير منه) سيحكم عليه بالموت.

﴿فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، وقيل: إنّ هذا الآخر كان خباز الملك الّذي حاول قتل الملك بدسّ السم للملك، وسجن بهذه التّهمة.

فعندما أخبرهما بالحكم، وتفسير الرّؤيا قالا له: كذبنا، وما رأينا شيئاً؛ عندها قال يوسف:

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾: قضي الأمر: فرغ منه، انتهى الأمر صدقتما، أو كذبتما.

﴿ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾: تطلبان فيه الفتوى، ولعلك تسأل لماذا صلب

الآخر، وكيف نجا الأوّل؛ فقد روي أنّ الخباز والسّاقي كانا يعملان في بلاط الملك، وطلب منهما وضع السّم للملك لقتله؛ فأجاب الخباز، وعزم على ذلك، وأبى السّاقي، وأخبر الملك بالمؤامرة؛ فأمر الملك بحبسهما في ذلك الوقت الّذي كان يوسف قد دخل السّجن.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي﴾: وقال يوسف للذي؛ أيْ: للذي كانت رؤياه أنّي أراني أعصر خمراً.

﴿ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: ظن هنا قد تأتي بمعنى اليقين أو أعلى درجات العلم، أو من باب الوحي، أو اجتهاد من باب تأويل الرّؤيا.

﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكرني عند سيدك، أو الملك؛ أي: اذكر قصتي للملك، وأنّي حُبست ظلماً، وأنّي أستطيع تأويل الأحاديث؛ أيْ: تفسير الأحلام، أو اذكر ما رأيت مني عند ربك (أي: الملك).

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: فأنساه: الفاء: للتوكيد؛ فأنسى الشّيطان السّاقي الّذي نجا منها ذكر يوسف للملك حتّى لبث في السّجن بضع سنين، وقد تعود هاء الضّمير إلى يوسف؛ أيْ: فأنسى الشّيطان يوسف ذكر ربه الأمر الّذي أدّى بيوسف أن يستعين بالنّاجي، والملك، ولم يتوكل أو يطلب العون من ربه ﷻ، وهذا هو المرجَّح، وحدَه، ونسي يوسف قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦]. كما حدث للنبي لوط حين قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠]. وكأن هذا النسيان لصالح يوسف، والحكمة قدرها الله تعالى أن يبقى

في السجن إلىٰ حين يرىٰ الملك الرؤيا، ويبحث عنه، ويقوم بتأويل الرؤيا من ثم يصبح عزيز مصر.

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: بضع ما بين (٣-٩ سنوات)، وقيل: ٧ سنوات علىٰ الأغلب.

ولو تأملنا ما حدث نجد أنّ يوسف استعان بالّذي كان يدعوه للإيمان، والتّوحيد، ويطلب منه أن يذكره عند سيده الملك الّذي ليس علىٰ الدّين الحق، وهكذا استعان يوسف ببشرين من دون الله، وهما ليسا بمؤمنين، ونسي أن يستعين بالله، وما يدري أحد أنّ يوسف لو فعل ذلك، ولم يستعن بأحد إلا الله وحده، كم سيبقىٰ في السّجن بضعة أيّام، أو أسابيع، أو شهور.

[٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: وقال الملك إنّي أرىٰ: بصيغة المضارع بدلاً من رأيت، أو رأىٰ الملك في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف.

﴿عِجَافٌ﴾: جمع عجفاء؛ أي: الهزيلة لا لحم عليها، ولا شحم، ولمعرفة معنىٰ أرىٰ؛ ارجع إلىٰ الآية (٤)، أو (٣٦) من نفس السّورة.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: يابسات: أيْ: حان حصادهنَّ، وأما الخضر؛ أيْ: ما زالت تنمو، وما حدث هنا بالنّسبة للسنبلات لم يذكر من أن اليابسات أكلن السّبع الخضر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: الهاء: للتنبيه، يا: أداة نداء للبعد.

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: سادة القوم، وأشراف القوم، وممثلو القوم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٧٥، و٨٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ﴾: أيْ: بيِّنوا لي، أو أخبروني بحكم هذه الرّؤيا.

﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: الرّؤيا: هي الحلم، أو ما يراه النّائم في منامه.

﴿تَعْبُرُونَ﴾: اشتُقَّت من عبور النّهر يقول: عبرت النّهر؛ أيْ: قطعه حتّىٰ يبلغ آخر عرضه.

﴿إِن كُنتُمْ﴾: تعرفون تأويل الرّؤيا، أو الأحلام. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السّورة؛ لبيان معنىٰ: تأويل.

ما الفرق بين: سبع سنبلات، وسبع سنابل؟

سبع سنبلات: تدل علىٰ جمع قلة؛ جاءت في سياق الرّؤيا، والرّؤيا ليس فيها مضاعفة، ولا حثٌّ علىٰ التصدق.

أمّا قوله: سبع سنابل: جمع كثرة ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة:٢٦١]؛ للمضاعفة، والتّكثير، والحث علىٰ الإنفاق.

❖ ❖ ❖

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

سورة يوسف [الآيات ٤٤ - ٥٢]

[٤٤] ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: قالوا؛ أيْ: قال الملأ: أضغاث أحلام: أخلاط أحلام مختلفة ليس لها تأويل، أضغاث جمع ضغث، والضغث: حزمة من النّبات، أو مجموعة من الحشائش المختلفة الأجناس، مع العلم أن الرّؤيا الّتي رآها الملك هي رؤيا واحدة، أو حلم واحد أطلقوا عليها أضغاث أحلام؛ للمبالغة؛ أيْ: هذا الحلم ليس كغيره من الأحلام.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: ما: النّافية.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾: بتعبير، أو تفسير الأحلام، ومعرفة ما تؤول إليه.

﴿بِعَٰلِمِينَ﴾: الباء: للتوكيد؛ عالمين: أيْ: يعترفون بتقصيرهم في هذا العلم علم تأويل الأحاديث (الأحلام)؛ أيْ: ليس عندنا من هذا العلم شيء، ولم يُعلمنا أحد.

[٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: وقال ساقي الخمر الّذي نجا من السّجن، وعُفي عنه بعد أن تعذر على الملأ تعبير رؤيا الملك، ومرت فترة طويلة من الزّمن.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: وادكر: بالدّال اشتُقّت من واذْتكر؛ حولت إلىٰ واذْدكر، ثمّ حولت إلىٰ ادْدكر، ادَّكـر: حدثت عدة تبديلات، وإدغامات؛ لتقارب مخارج الحروف. ارجع إلىٰ سورة القمر، آية (١٥)؛ للبيان.

﴿وَٱدَّكَرَ﴾: أيْ: تذكر بعد طول نسيان.

﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدَّة من الزّمن، الأمة من معانيها المدَّة، والحين، والوقت، وكذلـك تعني الجماعة من النّـاس، أو الرجل الّذي يعتبر أمـة؛ مثل: إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠]. والدّيـن، والملّة؛ كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزخرف:٢٢].

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾: أنا أخبركم بتأويله.

﴿بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق؛ بتأويل رؤيا الملك.

﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾: أيْ: فابعثوني إلىٰ يوسف. (قيل: كان السّجن خارج المدينة). والفاء: للتّعقيب؛ أيْ: مباشرة أرسلوني، أو أرسلوني الآن.

[٤٦] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: أيها: الياء: للنّداء، والهاء: للتّنبيه.

﴿ٱلصِّدِّيقُ﴾: صيغة مبالغة من صادق؛ أيْ: كثير الصّدق؛ لأنه علم ذلك منه حين كان في صحبته في السّجن؛ أيْ: صادق في أقواله، وأفعاله، وصادق في كلّ

أحواله؛ فلا يمكن أن تطلق كلمة الصّديق على حال واحدة، بل لا بدّ من اجتماع كلّ الأحوال معاً فضلاً عن الطاعة، والخضوع لله سبحانه.

ودرجة الصّديقين تلي مرتبة الأنبياء؛ مثل: أبي بكر الصّديق رضي الله عنه.

﴿أَفْتِنَا﴾: ولم يقل: أفتني؛ لأنّه لا يسأله عن رؤيا تخصه، كما سبق، وسأله: إنّي أراني أعصر خمراً.

﴿سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من نفس السّورة.

﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعل: أداة رجاء؛ راجياً أن أرجع إلى النّاس؛ لأنّه لا يجزم، أو غير متيقن بأنّ يوسف سوف يخبره بالفتوى، أم لا فيظهر عندها مظهر الكاذب أمام النّاس، أو سيقبل النّاس فتوى يوسف.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: تأويل الرّؤيا، ويعلمون فضلك في تعبير الرّؤيا، وقدرتك فيخرجوك من السّجن.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: قال يوسف للذي سأله الفتيا.

﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر، وجاء بصيغة الخبر للمبالغة في أهمية الزّرع؛ أي: ازرعوا في كلّ سنة من هذه السّنين على عادتكم.

﴿دَأَبًا﴾: الدّأب قيل: هو العادة الّتي تتكرر باستمرار، والدّأب على الشّيء

المداومة عليه، والملازمة والاستمرار، والدّأب: لا يكون إلا اختياراً ، أمّا العادة فقد تكون اختياراً، أو اضطراراً؛ أي: ازرعوا من دون كلل، ولا ملل، واستمروا على ذلك.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: وهذه معجزة علمية برهنت عليها العلوم الحديثة، والدّراسات العلمية: أن ترك الحبوب في سنبله أفضل من استخراج الحبوب؛ مثل القمح، وغيره؛ لأن ذلك يؤدي إلى المحافظة على البروتينات بنسبة قد تصل إلى (٣٠٪) مقارنة بالحبوب المعزولة من سنابلها ، حيث تتعرض لضياع البروتينات إضافةً إلى الوقاية من الحشرات كحشرة السوس.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أيْ: لكم أن تأكلوا القليل منه، وتتركوا الباقي محفوظاً في سنابله لمواجهة، واستعداداً للسنين السّبع الشّداد القادمة بعد سبع سنين البركة، والرّحمة؛ لتجنب المجاعة.

﴿مِّمَّا﴾: من: ابتدائية بعضية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: ثم: للترتيب، والتّراخي؛ يأتي من بعد ذلك؛ أيْ: من بعد السّبع السنين الخصبة.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: سبع سنين جدباء، لا زرع، ولا مطر، وإنما جفاف وجدب.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أيْ: يأكل أهلهنَّ ما ادخروا لأجلهنَّ؛ أيْ: هذه السّبع سنين العجاف (المجدبة) سيأكلن سبع سنوات الخصب السّابقة، والّتي تمثل السّبع بقرات السّمان في الرّؤيا اللاتي يأكلهن سبع عجاف.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: القليل الّذي تدَّخرونه، أو تخبِّئونه للزراعة، وللبذار.

﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: مما مركبة من حرفي من+ما؛ من: ابتدائية بعضية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي. الإحصان: من أحصن الشّيء؛ أيْ: جعله في الحصن (الموضع، أو المكان الحصين) إذن: تأويل يوسف السّبع بقرات السّمان، أو السّنبلات الخضر بالسّنين الخصبة، سنين الخير والبركة، والسّبع بقرات العجاف، أو السّنبلات اليابسات بالسّنين المجدبة الّتي يقل فيها المطر، والخير والزّراعة.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: ثمّ: للترتيب العددي، أو التّسلسلي.

﴿يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من ، أيْ : مباشرة بعد السّنين السّبع العجاف.

﴿عَامٌ﴾: ولم يقل : سنة؛ لأنّ من خصائص القرآن أن يستعمل عاماً لعام الخير، والبركة، ويستعمل سنةً إذا كانت سنةَ جدب ومجاعة، وشدة، وبلاء.

﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يغاث من الغيث، وهو المطر الّذي يستفاد منه للزرع، والرّي، والإغاثة: الإعانة.

وهذا الكلام ليس داخلاً في رؤيا الملك، ولكنه مما أُوحي إلىٰ يوسف لحكمة أرادها الله تعالىٰ.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: مثل العنب، والزّيتون، وغيره، وتكرار فيه يدل علىٰ التّوكيد؛ أيْ: ففي ذلك (في ظرفية زمانية) العام يحدثُ الغوث، ويحدثُ العصر معاً.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: بعد أن نقل السّاقي تأويل الرّؤيا إلىٰ الملك طلب الملك أن يأتوا له بيوسف، فأرسل الملك رسوله ليخرج يوسف من السّجن، ويأتي به، ولكن يوسف رفض الخروج من السّجن قبل أن يُبرَّأَ من التّهمة الّتي وجِّهت إليه، أو ألصقت به، وأدخل السّجن بسببها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: فلمَّا: الفاء: تدل علىٰ التّرتيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين؛ جاء يوسفَ الرّسولُ المرسَلُ من الملك.

﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: قال يوسف للرسول: ارجع إلىٰ ربك (أيْ: إلىٰ الملك)، واسأله : ما بال النّسوة اللاتي قطعن أيديهن؛ أي: اسأله أن يحقق في أمر النّسوة اللاتي قطعن أيديهنَّ، ولم يذكر امرأة العزيز علىٰ الإطلاق مع كونها كانت هي السّبب، وذلك من كرم خُلقه، وحلمه، ومن باب السّتر.

﴿بَالُ النِّسْوَةِ﴾: حال النّسوة.

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِكَيْدِهِنَّ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥)، والآية (٣٤) من نفس السّـورة؛ لمعرفة معنىٰ: الكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير العلـم. ارجع إلىٰ الآية (٣٤)؛ عليم بما فعلن في إلصاق التّهمة بي، وأنا بريء منها.

[٥١] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك ما خطبكنَّ: أيْ: علم الملك بقصة النّسوة، وامرأة العزيز فاستدعاهنَّ للحضور؛ للتّحقيق في الأمر، قال: ما خطبكنَّ.

﴿مَا﴾: استفهامية؛ بمعنىٰ: التّعجب.

﴿خَطْبُكُنَّ﴾: الخطب الحدث الجلل، والأمر العظيم، والخطب مشتق من المخاطبة؛ أيْ: أمرٌ يحقُّ أن يخاطب به صاحبه.

﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾: إذ بمعنـىٰ: حين. خاطب الملك النّسـوة وسـألهنَّ: هل يوسـف هو من أراد الكيد، أو الغرر، أو السّوء بكنَّ خاطب جمع النّسـوة، ولم يفرد امرأة العزيز الّتي راودته وحدها، فلمـاذا جمعهنَّ؛ لأنّ باقي النّسوة لم يُنكرن علىٰ امرأة العزيز ما فعلت، ورضين بذلك.

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣١) من نفس السّـورة؛ أيْ: حاشا لله أن نراود يوسف عن نفسه.

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾: قالـت امـرأت العزيز: ارجع إلى الآية (٣٠) في نفس السـورة للبيان. حصحص الحق؛ أي: انكشف الحق (الأمر الثّابت واليقين)، أو : لم يعد هناك مجال للستر، ولا بُدَّ من الاعتراف بالحق.

الحصُّ: هو اسـتئصال شـعر الرّأس بحلق، أو مرض؛ حتّـى تتبيَّن جلدة الرّأس، أو بانت حصـة الحق من حصة الباطل، فامرأة العزيز لما رأت النّسـوة قلن : حاشا لله ، علمتْ أنّه لم يبق إلا هي وحدها فأقرتْ بذلك، وانكشف أمرها وظهر الحق.

وقالـت: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السّـورة؛ قالت ذلك من دون أيِّ تأكيد؛ فهي تريد أن تنسى المسألة.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: وإنّه: للتوكيد.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: لام لزيادة التّوكيـد، إنّه لمن الصّادقين في قوله حين قال : هي راودتني عن نفسي، أو إنّه بُرِّئَ من كلّ شيء اتُّهم به.

[٥٢] ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: اسم إشارة للبعد، وما حدث.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ يعلم العزيز (عزيز مصر).

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: أنّي: للتوكيد.

﴿لَمْ﴾: النّافية.

﴿أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: من الخيانة بالفاحشة، لا بالقول، ولا بالفعل.

واختلف المفسرون فيمن قال هذا القول: فمنهم من قال: هذا كلام يوسف ذلك ليعلم العزيز أنّي لم أخنه بالغيب (أيْ: وهو غائب)، أخنه في أهله، قال يوسف هذا حين أخبر، وهو في السّجن بما حدث في جلسة الملك مع النّسوة، ومنهم من قال: هذا كلام امرأة العزيز؛ لأنّ يوسف ما زال في السّجن، ولم يُدعَ إلىٰ الحضور بعد، ولأنّه في الآيات القادمة قال الملك: ائتوني به استخلصه لنفسي.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: من القائل هنا؟ لا يهم المهم هو المقولة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: لا يرشد الخائن ويسدده إلىٰ تحقيق غايته، بل يفضحه، وفي هذا إشارة، أو تعريض لما فعلته امرأة العزيز حين حاولت الخيانة بالمراودة (مراودة يوسف عن نفسه)، وكذلك تعريض في خطأ زوجها العزيز حين رمىٰ يوسف في السّجن، وهو بريء، وكذلك توكيد لأمانة يوسف، وأنّه لو كان خائناً لما هداه الله سبحانه، وبرَّأه، ولا سدَّد خطاه.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ
ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

سورة يوسف [الآيات ٥٣ - ٦٣]

[٥٣] ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

من المفسرين من قال: هذا قول امرأة العزيز، ومنهم من قال: هذا قول يوسف، ومنهم من قال: إنّه قول العزيز.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾: تعني: من سوء الظن بيوسف، أو سجنه بضع سنين من دون ذنب.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾: وما: الواو: عاطفة؛ ما: النّافية.

﴿أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾: أزكي نفسي من الزلل، أو السّوء.

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلنَّفْسَ﴾: لأمارة بالسّوء؛ أيْ: ميالة للهوىٰ، والشّهوات، أو ذات نزعة؛ أل التّعريف تدل علىٰ استغراق الجنس في كلّ النّفوس بالميل إلىٰ الشّهوات.

﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: اللام: لام التّوكيد، وأمارة صيغة مبالغة للفعل أمر. لأمارة بالسّوء؛ أيْ: كثيرة الأمر، كثيرة الشّهوات.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلّا: أداة حصر.

﴿مَا﴾: بمعنىٰ: من.

إلا من رحم ربي من النّفوس؛ أيْ: من عصمها فصرفها عن السّوء، والفحشاء.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: وما قالته امرأة العزيز يمكن تلخيصه بما يلي:

١ - قالت: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه، وإنّه لمن الصّادقين.

٢ - ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب، وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين: لم أخن يوسف في غيبه، وهو في السّجن، أو ليعلم زوجي أنّي لم أخنه بيوسف، وما حدث هو مراودة فقط فامتنع.

٣ - وما أبرِّئ نفسي إنّ النّفس لأمارة بالسّوء.

والله أعلم بمن قال؛ فالله سبحانه لا يريد أن يفضح من هو القائل، والمهم المقولة، والعبرة، ونكتفي بذلك.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: وقال الملك: ائتوني بيوسف.

﴿ائْتُونِي﴾: من الإتيان الّذي فيه معنى السّهولة بعكس المجيء فيه الصّعوبة؛ أي: ائتوني بيوسف من السّجن.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أيْ: أجعله من أهل مشورتي، وخاصّتي.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة بعد الإتيان؛ أيْ: كلّمه مباشرة من دون تأخير.

﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: قال الملك ليوسف: إنّك اليوم لدينا مكين: ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عالية ثابتة، ومكن مكانة؛ فهو مكين؛ أيْ: ثبت، واستقر؛ أيْ: مكين: ثابت، ومستقر.

﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كلّ شيء، وحفيظ.

[٥٥] ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن الأرض (خزائن مصر) جمع خِزانة: المكان الّذي تحفظ فيه الأشياء الثّمينة، والأموال، والحبوب، والثّمار في ذلك الزّمن؛ يمثل وزير المالية في زمننا الحاضر.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: كاتب حاسب، أو حفيظ على الأمانة، وأحافظ على ما تسنده إليَّ؛ صيغة مبالغة كثير الحفظ.

﴿عَلِيمٌ﴾: بتدبير الشّؤون المالية، وإدارة الأموال وتصريفها؛ صيغة مبالغة كثير العلم، وقد يسأل سائلٌ: كيف يطلب يوسف أن يتولَّى منصباً كهذا، وهل هو كفؤٌ له، وهناك قاعدة شرعية تقول: طالب الولاية لا يولَّى المستندة إلى الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن سمرة قوله ﷺ: «لا تسأل الإمارة»، وربما طلب ذلك؛ لأنّه يعلم أكثر من غيره أهمية الـ(١٥) سنة القادمة، وما سيحدث فيها من تأويله لحديث الملك، أو هو علمه وشعوره بعون الله تعالى له، وكونه يوحى إليه، وفي نيّته إقامة العدل، والقسط؛ فذلك يكفي.

[٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: بمثل هذا التّوفيق، والتّيسير، وإخراجه من السّجن؛ ليصبح وزيراً لخزانة الملك.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أصبح قادراً على تحقيق غاياته، ومطالبه، وأصبح مالكاً، وآمراً، وناهياً بعد أن كان سجيناً.

﴿لِيُوسُفَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: أيْ: ينزل منها أيَّ منزل، أو مكان يشاء، ويعمِّر، ويُنشئ كما يشاء كنايةً عن اتِّساع جاهه.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾: الرّحمة هنا قد تعني النّبوَّة، وغيرها مثل: الغنى، والسّعة، والملك.

﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام في الدّنيا والآخرة.

﴿مَن نَّشَآءُ﴾: من: ابتدائية، وللعاقل من نشـــاء من عبادنا حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: لا: النّافية.

﴿نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أمثال يوســف حين صبر على البلاء، وتجنب الفاحشة، وراح يدعو إلى الله وتوحيده، وما فعله في السّجن من خدمة الفقراء، وإعانتهم، كلّ ذلك من أعمال المحســنين الّتي تقسم إلى إحسان الكم، وإحسان الكيف، والأجر هو الجزاء على العمل الّذي يشمل القول، والفعل.

[٥٧] ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾: الواو: تفيد الاهتمام، والأجر: الجزاء على العمل.

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: خير: أفضل وأحسن من أجر الدّنيا.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: كانــوا لا تختــص بالماضــي فقط، بل تعنــي الحاضر، والمستمر، والمستقبل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تفيد الاستمرار، والدّوام، يتقون من الشّرك، والمعاصي، والفواحش.

[٥٨] ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: وكانوا عشرة بدون أخوهم بنيامين (الحادي عشر) الّذي تركوه وراءَهم مع أبيه في أرض كنعان جاؤوا إلىٰ مصر؛ ليشتروا القمح، أو للميرة.

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب بعد أن أصابهم القحط، والفاقة، بعد أن أرسلهم أبوهم؛ فدخلوا علىٰ يوسف.

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: عرفهم يوسف أنّهم إخوته؛ لأنّه حين ألقوه في الجب تركهم، وهم كبار في السّن، وتحدَّدت ملامحهم والكبير لا تتغيَّر ملامحه كثيراً، أمّا يوسف فقد تغيَّرت ملامحه.

﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: أيْ: لم يعرفوه أنّه أخوهم يوسف؛ لأنّه قد شب وتغيَّرت ملامحه، ولأنهم ظنوا أنه قد هلك، أو كونه وزيراً للملك يلبس ثياب الملوك.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة؛ لما: ظرف بمعنىٰ حين متضمِّن معنىٰ الشّرط.

﴿جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: أيْ: أوفىٰ لهم الكيل؛ أيْ: جعله تامّاً، وافياً؛ كيلهم من القمح الّذي جاؤوا لطلبه، وما يحتاجون إليه في سفرهم، والجهاز هو ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع.

﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: الباء: تدخل على ما هو مدار الكلام؛ أي: الجهاز في هذه الآية.

﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: أيْ: بنيامين؛ لأنّهم لم يحضروه معهم هذه المرة، وبنيامين هو أخو يوسف من أمّه وأبيه، وبقية الإخوة إخوةٌ من الأب؛ فيبدو أنّ يوسف بحث معهم حالتهم الاقتصادية، والاجتماعية، وتعرَّف على أحوالهم، وسألهم عن بقية إخوتهم، وعرف أنهم لم يحضروا أخاهم بنيامين، وهم لا يعرفون أنّه يوسف؛ فطلب منهم أن يحضروه معهم في المرة القادمة، وقال لهم:

﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾: ألا: أداة تنبيه، وحضٍّ، وحثٍّ.

﴿تَرَوْنَ﴾: تشاهدون، أو ترون بأعينكم.

﴿أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أيْ: أتمه.

﴿الْكَيْلَ﴾: من القمح، ولكلّ واحد كيل، أو حمل بعير؛ أيْ: جهزهم بعشرة أحمال، وزادهم حِملين آخرين واحداً لأبيهم، وواحداً لأخيهم الّذي لم يحضر.

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: منزلين: مشتقة من النُّزل: ما يُهيَّأ للضيف من سكن، وطعام، وشراب، والمنزلين: المضيفين.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾: لم: نافية.

﴿تَأْتُونِي بِهِ﴾: أيْ: بأخيكم من أبيكم (بنيامين)؛ أيْ: تحضروه معكم في المرة القادمة.

﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّافية للجنس.

﴿كَيْلَ﴾: الّذي يساوي حمل بعير لكلّ واحد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿عِندِى﴾: هـذه العندية مقصودة؛ فهي وصية لي عندكـم، وإنذار للمرة القادمة بإحضار أخيكم معكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: تكرار (لا) يفيد زيادة النّفي، ولا ناهية أو نافية.

﴿تَقْرَبُونِ﴾: لا ترجعوا إليَّ، أو لا تدخلوا بلادي.

[٦١] ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ﴾: قال إخوة يوسـف: سنراود: السّـين للاستقبال القريب؛ نراود: نطالب برفق ولين، ونكرِّر ذلك، ونحاول كلّ ما باسـتطاعتنا، وكل حيلة؛ لكي يستجيب أبانا لطلبنا، أو يأذن لنا بإحضاره معنا.

﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿أَبَاهُ﴾: ولم يقولوا: أبينا مما يدل على ضعف الرّابطة بينهم، وبين أبيهم، واضطراب العلاقة منذ غياب يوسف.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: لفاعلـون: اللام: تدل على التّوكيـد؛ أيْ: لفاعلون بكلّ توكيد حتّى يتركه يأتي معنا.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾: قال يوسـف لفتيانه، جمع: فتى، جمعها: فتيان، والفتى، أو الفتيان: تطلق في القرآن على الفئة غير المؤمنة، أو العبيد، والفتى: كان اسـماً

للعبد في عرفهم صغيراً كان أو كبيراً، ويستعمل لقب الفتية للفئة المؤمنة؛ كفتية أصحاب الكهف. ارجع إلىٰ الآية (٣٦) من نفس السورة.

﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾: البضاعة: العملة مثل الفضة، أو العملة المالية، أو الدّنانير، أو ما جاؤوا به من ثمن للميرة.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿رِحَالِهِمۡ﴾: جمع رحل، وهو ما يوضع علىٰ البعير من أمتعة، أو أوعية (جمع وعاء)؛ أيْ: أمر يوسف العاملين في الميرة (فتيانه) أن يعيدوا البضائع الّتي أحضرها إخوته لشراء القمح، ويضعوها في رحالهم، من دون أن يخبرهم بهذا حتّىٰ تكون مفاجأة لهم بعد أن ينقلبوا إلىٰ أبيهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾: لعلهم: للتعليل؛ أيْ: لكي يعرفونها: أكد بالنّون بدلاً من يعرفوها أنها بضاعتهم أعيدت إليهم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمِّنة معنىٰ الشّرط؛ تفيد الحتمية، حتمية الحدوث.

﴿ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾: أيْ: رجعوا إلىٰ أهلهم، وانقلبوا تختلف عن رجعوا؛ الانقلاب؛ يعني: الرّجوع مع التّحول إلىٰ وضع غير وضعه الأوّل، أو الحالة الّتي خرجوا فيها؛ أيْ: عادوا ومعهم الميرة، والطّعام بعد أن جاؤوا محتاجين.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: لعلَّ: أداة رجاء، وتستعمل في الأمور المتوقع حدوثها.

﴿يَرۡجِعُونَ﴾: بأخيهم بنيامين إلىٰ يوسف، أو إلىٰ أرض مصر مرة أخرىٰ.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ: حين.

﴿رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾: عادوا إلىٰ ديارهم، واجتمعوا بأبيهم.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾: قالوا: يا أبانا أُنذرنا بمنع الكيل منا في المرات القادمة إذا لم نحضر معنا أخانا لأرض مصر.

وجاء بصيغة الماضي بدلاً من قوله: سيمنع منا الكيل إن لم نأتِ بأخينا معنا في المستقبل؛ للدلالة علىٰ وقوع المنع بكلّ تأكيد.

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾: فأرسل: الفاء: للتوكيد.

﴿نَكۡتَلۡ﴾: تعني: فأرسل معنا أخانا نكتل في المستقبل، ولأنّ كيله سيكون من نصيب الكلّ (العائلة بكاملها) قال: نكتل؛ أيْ: كيله يضاف إلىٰ بقية الأكيال الّتي تخصُّ العائلة معاً؛ أيْ: كيل بنيامين وكيل بقية الإخوة كلّها تجمع معاً، وتستخدم، وتسخر لكلّ أفراد العائلة، والأب معاً؛ أيْ: إذ اكتال الواحد منهم كأنّ الكلّ اكتالوا.

وأما بالنّسبة للناحية اللغوية: فنكتل أصلها نكتال؛ فلما التقىٰ ساكنان حذفت الألف، والألف منقلبة عن ياء، وأصل اللفظ نكتيل بفتح التّاء، وكسر الياء؛ فحدث إعلال بالتّسكين (سكنت)، ثمّ قلبت الياء ألفاً؛ لانفتاح ما قبلها، وتحركها في الأصل فأصبحت نكتل.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: وإنا: للتوكيد.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص له خاصة.

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ حافظون: من كلّ مكروه، أو أذىٰ، وعلىٰ حياته حافظون له في سفره معنا ولن نفرط به مهما حدث.

❖ ❖ ❖

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

سورة يوسف [الآيات ٦٤ - ٦٩]

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: قال يعقوب.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنىٰ النّفي؛ أيْ: ما آمنكم عليه، وهل: أشد استفهاماً من الهمزة، كما لو قال: أأمنكم عليه.

﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾: أيْ: ستفرطون به؛ أيْ: تضيعونه كما فرطتم: ضيعتم يوسف من قبل.

﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: للقرآن خصائص، ومن خصائصه استعمال آمنكم عليه؛ تعني: للأشخاص، وعلىٰ: تفيد الاستعلاء، والتّسلط، والعدوان؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النور:٥٠].

وأما للأموال فيستعمل به؛ مثال قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٧٥].

﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كَمَآ﴾: الكاف: للتشبيه؛ ما: مصدرية.

﴿أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسف من قبل سابقاً في الماضي، ومعنىٰ الآية: إنكم لم تستطيعوا حفظ يوسف من قبل؛ فكيف ستستطيعون حفظ بنيامين.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: فالله خير حافظاً: فالله خير حافظاً منكم، وقُرئت: فالله خيرٌ حِفظاً؛ أيْ: منكم، وجاءت بالتّنوين؛ لتدل علىٰ الحال، والمستقبل، ولا تعني الآية المقارنة بينهم، وبين الله؛ فهي لا تجوز، ولا تستقيم، ومن المعلوم أنّ الله سبحانه يرسل حفظة (ملائكة) موكلون بحفظ العبد، كما في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

وقول يعقوب: فالله خير حافظاً؛ تعني: أنّي أتوكل علىٰ الله، وأفوض أمري إليه؛ لأنّه هو خير حافظاً، ويبدو أنّه سيفكر في الأمر، ويضع لهم بعض الشّروط لإرساله معهم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد؛ أيْ: خير الحافظين.

﴿أَرْحَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل أفضل اسم تفضيل.

﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: جمع راحم، اسم فاعل من رحم، أرحم الرّاحمين بي، وبكلّ خلقه؛ فعسىٰ أن يرحمني برحمته، ويرد يوسف إليَّ، جرىٰ هذا الحديث قبل فتح متاعهم.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: حين.

﴿فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾: أي: الميرة، والطّعام الّذي أعطاهم إياه يوسف؛ أي: الأوعية الّتي تحمل الحبوب والمؤونة.

﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾: أيْ: ثمن الطّعام الّذي دفعوه إلىٰ يوسف مثل النّقود، أو الدّراهم، أو الفضة (ما كان يمثل العملة المالية آنذاك ويشترىٰ بها).

﴿رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡ﴾: أُعيدت إليهم، ولم تقبض؛ عندها:

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي﴾: ما: استفهام فيها تعجُّب، أو نافية، أو اسم موصول؛ بمعنىٰ الذي: أي: الّذي نطلب.

﴿مَا نَبۡغِي﴾: بمعنىٰ: الاستفهام؛ أيْ: كلّ شيء نبغيه نطلبه هنا، وما نبغي بمعنىٰ: النّفي؛ ما نبغي منك شيئاً من المال، أو الدراهم حين نعود إلىٰ العزيز مرة ثانية، وما نبغي بمعنىٰ: اسم موصول؛ أيْ: هذا المال الّذي نبغيه ونطلبه ونحتاجه. وفي سورة الكهف آية (٦٤) قال موسىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ ولمعرفة الفرق بين نبغي، ونبغ؛ ارجع إلىٰ سورة الكهف آية (٦٤) للبيان.

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾: هذه: الهاء: للتنبيه، ذه: اسم إشارة للقرب؛ تعني: البضاعة.

﴿رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾: أُعيدت إلينا، وتكرار ردَّت إلينا مرتين للتوكيد، وفرحهم بإعادة البضاعة إليهم؛ لأنّهم كانوا بأشد الحاجة إليها.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾: ونمير: من مار أهله بميرهم؛ أيْ: حمل إليهم الميرة، وهي الطّعام، أو الّذي يُخزن من الطّعام للعام القادم، وتسمّىٰ المؤونة. ونمير أهلنا: نأتي لهم بالميرة بالرّجوع مرة أخرىٰ إلىٰ العزيز؛ فيكون السّياق: هذه بضاعتنا

ردت إلينا نحافظ عليها، أو نستعين فيها، ونمير أهلنا بها؛ أيْ: نشتري لهم الطّعام مرة ثانية.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: بنيامين؛ فلا تخف عليه، فهم يشجعون أباهم على إرسال بنيامين معهم.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لأنّ العزيز يعطي كلّ رجل حمل بعير، وبذلك نحصل على زيادة كيل واحد.

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعد؛ أيْ: يشير إلى الكيل أنّه كيل يسير؛ أيْ: سهل الحصول عليه؛ لأنّ العزيز أوصى بإحضاره.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾:

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾: قال يعقوب لبنيه: لن: حرف نفي تنفي المستقبل القريب، والبعيد معاً، أرسل أخاكم معكم.

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: حتّى: حرف غاية نهاية الغاية، وهي إتمام الموثق، والموثق هو العهد المؤكّد باليمين؛ أي: القسم؛ أيْ: أقسموا بالله.

﴿تُؤْتُونِ﴾: ولم يقل تؤتوني: لأنه موثق ينتهي بعودة أخيهم بنيامين بعد أن يرسله معهم فهو غير مستمر أو أبدي وغير دائم طلبه لكي يأمن مكرهم وأن يفعلوا به كما فعلوا بيوسف.

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾: لتأتنـــي: اللام: لام التّوكيد، والنّون: لزيـــادة التّوكيد؛ أيْ: لترجعُنَّه إليَّ سالماً.

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا: أداة حصر؛ لتأتنني به حصراً.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ للتّعليل، والتّوكيد.

﴿يُحَاطَ بِكُمْ﴾: من الإحاطة بالشّـــيء من كلّ الجوانب؛ أيْ: تحاصروا من عدوكم، أو تمنعوا من النّجاة بشـــتىٰ السّـــبل، أو تغلبوا، وتهلكوا جميعاً بقضاء وقدر من الله تعالىٰ.

﴿فَلَمَّآ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية بمعنىٰ: حين.

﴿ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: أعطوه عهدهم المؤكَّد بالقســـم علىٰ ردِّ أخيهم، وعدم التّفريط به.

﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: قـــال أبوهـــم: الله علىٰ ما نقول وكيل (شـــهيد، ورقيب)؛ أي: الله ســـبحانه شـــهيدٌ علـــيَّ، وعليكم؛ فأشـــهدَ يعقوبُ الله علىٰ عهدهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾: قال يعقوب لبنيه: يا بَنيَّ لا تدخلوا من باب واحد؛ قيل: كان للمدينة أربعة أبواب، وكانوا أحد عشر رجلاً، لا تدخلوا من باب واحد حين تعودون إلىٰ مصر للمرة الثّانية.

﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾: خوفاً من الحسد، والتّحرز من العين، وحتّىٰ لا يرون جماعة واحدة، أو يحاط بهم إذا كانوا جميعاً، وكونهم ذوي جمال وأولاد يعقوب .

﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾: ما: النّافية؛ أيْ: ما كان رأي يعقوب في دخولهم من أبواب متفرقة يُفيدهم شيئاً.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿وَمَآ أُغۡنِي﴾: أيْ: ما أدفع، أو ما ينفعكم نصحي شيئاً إن أراد الله بكم ضرّاً، أو نفعاً.

﴿مِن شَيۡءٍ﴾: من: استغراقية تشمل أيَّ شيء مهما كان حسداً، أو غير حسد إذا قضىٰ الله ذلك.

﴿شَيۡءٍ﴾: نكرة؛ أيِّ شيء مهما كان نوعه، وشكله، وهذا الاحتراز في الحقيقة لا يردُّ قدر الله وقضائه.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: إن: حرف نفي أقوىٰ نفياً من ما؛ أيْ: وما الحكم إلا: أداة حصر.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾: تقديم الجار والمجرور، عليه: يفيد الحصر بدلاً من توكلت عليه؛ أيْ: عليه وحده توكلت.

﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾: وعليه وحده فليتوكل: الفاء: للتوكيد،

يتـوكل المتوكلون: يطلبون منه العون بعد تقديم الأسـباب، أو يفوضون أمرهم إلىٰ الله وحده بعد أن يقدِّموا الأسباب. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (١٢) لمعرفة الفرق بين: وعلىٰ الله فليتوكل المتوكلون، وعلىٰ الله فليتوكل المؤمنون.

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: ولما: الواو: عاطفة؛ لما: ظرف زماني بمعنىٰ: حين، متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿دَخَلُوا۟﴾: مصر.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكاني.

﴿أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: أيْ: دخلوا من أبواب متفرقة.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: ما: النّافية.

﴿يُغْنِى﴾: يدفع عنهم، أو ينفعهم ذلك من شـيء؛ فالحذر، أو الحيطة، أو الاحتراز لا يرد قضاء، ولا قدر إذا أراده الله سبحانه أن يقع.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: وما كان ذلك إلا: أداة حصر.

﴿حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: هي مجرَّد شـعور، وخوف، أو شـيء في نفس يعقوب مثل الشّـفقة، أو الحنان والخوف علىٰ أولاده من الحسد، أو يحاط بهم

كما بين ذلك في الآية (٦٦) من نفس السورة؛ أي: يتعرضوا للقتل والأذى والمكيدة.

﴿قَضَىٰهَا﴾: أنفذها، ووصَّى بها بنيه، أو تكلم بها.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو﴾: وإنّه: للتوكيد.

﴿لَذُو﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ ذو: صاحب.

﴿عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾: صاحب علم.

﴿لِّمَا﴾: اللام: حرف جر؛ ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ لذو علم لما علمناه: لذو علم أنّ دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله من شيء؛ لذو علم لما علمناه: أنّه لا يصيب بَنيهِ إلا ما قضى الله، وقدّر؛ لذو علم: صاحب علم لتعليمنا إياه أمور دينه؛ يعلم أنَّ العين حق، كما ورد في الحديث الّذي أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «العينُ حقٌّ».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنّ: الحذر من القضاء والقدر لا يفيد، والحسد، والعين حقٌّ، ولكن بإذن الله تعالى، وأنّ الأخذ بالأسباب لا ينفي التّوكل.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: علوم الآخرة؛ فهم عن الآخرة غافلون، أو جاهلون.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: لما: ظرف زماني؛ بمعنى: حين، متضمِّن معنى الشّرط.

﴿دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: ومعهم أخوهم بنيامين الّذي كان أخاه لأبيه وأمّه.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾: كيف حصل هذا التّعارف، والإيواء؟ لم يصرِّح به القرآن، وإنما أخبرنا بالنّتيجة الّتي تكشف لنا أنّ يوسف تصرَّف بحكمة حتّىٰ لا ينكشف أمره عليهم، ويعلموا أنّه يوسف في نفس الوقت أطلع أخاه بنيامين علىٰ نفسه، وزالت الرّيبة من بينهم، ثمّ أخبر يوسف أخاه بنيامين عن حيلة وضعت ليتاح له أخذ أخيه بنيامين؛ أي: إبقائه معه في مصر، واتَّفقا معاً، ووافق بنيامين، كما سنرىٰ في الآيات القادمة.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: من البؤس، وهو الضّر، والشّدة؛ أيْ: لا تحزن، أو لا تيْئَس: من اليأس، ولا: النّاهية. هذا قول يوسف لأخيه: فلا تبتئس.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بما: الباء: للإلصاق؛ ما: بمعنىٰ: الّذي.

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال، والأفعال، أو الكيد، أو العدوان الّذي فعلوه بي في الماضي.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ربع الحزب ٢٥

سورة يوسف [الآيات ٧٠ - ٧٨]

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: هيأ، وأعد لهم الميرة، أو الطّعام، وما طلبوا.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: وضع، أو جعل، أو دس السّقاية في رحل أخيه، والرّحل: ما يوضع علىٰ البعير؛ مثل الخُرج، ويوضع فيه متاع المسافر من طعام، وأدوات يحتاج إليها، والسّقاية، قيل: إناء كان الملك يشرب به ثمين جداً من الفضة، والذّهب، والجواهر، وسمّي صواع الملك، ثمّ حُولت أو جعلت صاعاً يكال به؛ أيْ: مع طول الزّمن لم يعد يستعمل الملك ذلك الوعاء للشرب؛ فجعل مثل الصّاع يكال به الطّعام؛ مثل: القمح، أو الشعير، أو الرز، أو التمر... وغيرها، ويطلق عليه السّقاية.

فقد أمر يوسف بعض أعوانه أن يدسُّوا السّقاية في رحل أخيه بنيامين، وكانت هذه هي الوسيلة، أو الحيلة الّتي خططها مع أخيه؛ لكي يُبقي أخاه عنده، كما سنرىٰ بعد قليل، وبعد أن استعدوا للعودة إلىٰ ديارهم، وركبوا جمالهم:

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: ثمّ: للترتيب التّسلسلي في الأحداث؛ أيْ: ترتيب الأخبار.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: أيتها: أيَّ: أداة للاستفهام للعاقل، وغير العاقل، والزّمان، والمكان، والهاء: للتنبيه.

﴿ٱلْعِيرُ﴾: الإبل، والبغال، والحمير الّتي تحمل الميرة، والطّعام؛ أي: القافلة (الرجال مع العير)، والنّداء موجّه إلىٰ أصحاب العير.

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: أيْ: يا أصحاب العير إنّكم: إنّ: للتوكيد.

﴿لَسَٰرِقُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ كان يكفي أن يقول: إنّكم سارقون؛ فهو قد أكّد بأن، واللام، وسارقون: جملة اسمية تفيد الثّبوت؛ أيْ: صفة السّرقة.

[٧١] ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾: أيْ: وأقبل إخوة يوسف إلىٰ المؤذن، وأعوانه، أو من حوله يسألونهم ماذا: استفهام حقيقي، وماذا: أقوىٰ في الاستفهام من: ما، ولم يقولوا: ما تفقدون، قالوا: ماذا تفقدون.

﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾: أيُّ شيء تفقدون؟ أيْ: ما هو الشّيء الضائع المفقود الّذي لا تجدونه؛ أيْ: حين سمعوا النّداء من بعيد بدؤوا بالسّؤال، وهم يسيرون متجهين نحو المؤذن.

[٧٢] ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: فتيان يوسف، والمؤذن.

﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: أيْ: لمن وجد لنا صواع الملك (السّقاية) له حمل بعير من الميرة، والطّعام مكافأة له.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾: وقال المؤذن: وأنا بحمل البعير كفيل أعطيه لمن جاء به.

﴿زَعِيمٌ﴾: من الزّعامة الّتي تعني: القوة، والقدرة على الشّيء، وزعيم القوم: رئيسهم.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: أيْ: قال إخوة يوسف: تالله: التّاء: تاء القسم، وهي أقوى أدوات القسم، وفيها معنى التّعجب؛ أيْ: أقسموا، وهم بدهشة لاتهامهم بأنّهم من السّارقين. وهذا القسم (تالله) تكرر ثلاث مرات في سورة يوسف في هذه الآية، والآية (٨٥)، والآية (٩١)، وهذا القسم ليس خاصاً بإخوة يوسف فقط؛ فقد ورد في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦]، وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [النحل:٦٣].

﴿لَقَدْ﴾: لقد: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، والتّوكيد أيضاً.

﴿عَلِمْتُم﴾: من العلم، والعلم: يفيد اليقين، والعلم: يتعلق بالصّفات بينما المعرفة تتعلق بالذّوات؛ أيْ: لم يقل : لقد عرفتم.

﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما: النّافية.

﴿جِئْنَا﴾: قدِمنا.

﴿لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ نفسد في الأرض: تعني: السرقة؛ فالفساد من معانيه: السّرقة الّتي تؤدّي إلى الخوف، والقتل... وغيره.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: وما: النّافية، وتكرار ما: لزيادة، وتوكيد النّفي؛ نفي الفساد، ونفي السّرقة.

[٧٤] ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المؤذن، وأعوانه قالوا لإخوة يوسف:

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ ما: استفهامية.

﴿جَزَاؤُهُ﴾: وهاء الضّمير في (جزاؤه) تعود على جزاء، أو عقاب سرقة الصّواع، أو تعود على السّارق.

﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾: أنّكم لم تسرقوا الصّواع، أو أنّكم أخذتموه.

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: قال إخوة يوسف: من وجد الصّواع في رحله فهو جزاؤه؛ أيْ: من سرق شيئاً يصبح السّارق عبداً مملوكاً للذي سرق منه، وهكذا كان حكم السّارق في بني يعقوب أن يصبح السّارق عبداً مسترقاً للمسروق له مدّة سنة كاملة.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أيْ: مثل هذا الجزاء؛ أي: استرقاق السّارق مدّة سنة نجزي الظّالمين (أي: السّارقين المفسدين في الأرض).

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: فبدأ: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أيْ: أمر يوسف فتيانه بتفتيش أوعيتهم، وكانوا عشرة إخوة قبل أن يفتش وعاء أخيه (بنيامين)؛ كي ينفي عنه الشّبهات بأنّه يكيد لهم شيئاً ما.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: ثمّ: للاستبعاد، والتّرتيب الكلامي، أو التّسلسلي في الأحداث، وليس يعني التّرتيب، والتّراخي في الزّمن؛ فتش وعاء أخيه أخيراً؛ فاستخرج الصّواع.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كِدْنَا﴾: من الكيد: وهو التّدبير الخفي، والحيلة، أوحينا إليه بالإلهام، أو الوحي كيف يسترد أخاه بهذه الطّريقة، أو الحيلة، وشبه ذلك بالكيد. ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السورة.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: ما: النّافية.

﴿كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: أيْ: لو اتبعوا، أو طبقوا قانون السّرقة في دِين الملك (في مصرَ)؛ أيْ: في حكم المِلك ما كان يحق له، أو يسمح له أن يأخذ أخيه، أو يُبقيه عنده سنة؛ لأنّ قانون الملك أو دِينه ينصُّ علىٰ أنّ السّارق يغرَّم ضعفي ما سرق، ويضرب، وهو قانون مغاير لحكم بني إسرائيل.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد؛ أيْ: لولا مشيئة الله سبحانه ما تمكّن يوسف من أخذ أخيه، وإبقائه عنده.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: نرفع درجات.

﴿مَّن﴾: ابتدائية.

﴿نَّشَآءُ﴾: بالعلم، والحكمة، والنّبوة، والإيمان.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: ذي علم: صاحب علم؛ هناك من أعلم منه، وهكذا يتسلسل الأمر حتّىٰ ينتهي أخيراً إلىٰ الله؛ فهو علام الغيوب، وأعلم

العالمين، وعالم الغيب، والشّهادة، عليم بكلّ شيء، ولا يخفىٰ عليه شيء في السّموات، ولا في الأرض.

[٧٧] ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: أيْ: إخوة يوسف؛ قالوا: يا عزيز مصر لا تعجب.

﴿إِن يَسۡرِقۡ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك؛ إن يسرق بنيامين.

﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾: فقد: الفاء: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد؛ أيْ: له أخ من قبله كان يسرق، ولم يسمّوا أخاهم الّذي كان يسرق (هو يوسف).

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾: ولم يرد علىٰ اتهامهم له بالسّرقة؛ فقد كظم غيظه، وغضبه، وأخفىٰ يوسف ذلك في نفسه، وقيل في تفسير هذا: عندما كان يوسف يُربَّىٰ عند عمته بعد وفاة أمّه، وعندما كبر، أراد يعقوب أخذه من عمته، وأرادت عمته أن تستبقيه عندها، وكانت تعلم أنّها إذا اتهمته بسرقة شيء ما عندها حسب شريعة يعقوب يبقىٰ عندها (السّارق يُسْتَرَقُّ سنة)؛ فلذلك قامت عمداً، ووضعت نطاقاً لها من أبيها إسحاق في متاع يوسف، وادّعت أنّها فقدت نطاقها؛ فبحثوا عنه فوجدوه في متاع يوسف، وهكذا أبقته عندها سنة أخرىٰ في حضانتها.

﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾: قال يوسف في نفسه: لأنتم شرٌّ مكاناً أشرُّ منزلة عند الله مني لما فعلتم بي وبأبيكم.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: والله: تقديم الله للحصر.

﴿أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: تكذبون، أو تفترون عليّ الكذب بالسّرقة.

[٧٨] ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

﴿ قَالُوا ﴾: أيْ: إخوة يوسف.

﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾: يا: النّداء؛ الهاء: للتنبيه؛ يا أيُّ: للتّعظيم.

﴿ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ إِنَّ لَهُ ﴾: أيْ: بنيامين.

﴿ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾: توكيد، لا يتحمل الصّدمة، أو الفاجعة بفقد ابنٍ آخَر له بعد أن فقد يوسف من قبل.

﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾: استبق أحدنا بدلاً منه، وأتم إحسانك علينا، وخلِّ سبيله حتّى يرجع إلى أبيه.

﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: إنا: للتوكيد.

﴿ نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: في أفعالك لنا؛ بالتّصدق علينا، والصفح، والعفو، ومعاملتنا بالحسنى.

❖ ❖ ❖

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

سورة يوسف [الآيات ٧٩ - ٨٦]

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾:

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: قال يوسف: معاذ الله؛ أيْ: أعوذ بالله أن نأخذ بريئاً بدلاً من سارق؛ فهذا ظلم.

﴿أَن نَّأْخُذَ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: إلا: أداة حصر، فقط نأخذ من وجدنا متاعنا؛ أي: الصّواع عنده.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾: إذن: حرف جواب، وجزاء.

﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾: اللام: للتأكيد؛ ظالمون: جمع ظالم، والظلم: الخروج عن حكم، أو منهج الله؛ لمعرفة معنى الظلم: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤).

[٨٠] ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين.

﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾: استيْئَسوا: استيْئَس: بلغ أعلىٰ درجات اليأس. ونجياً: تعني تناجوا كفاية (مبالغة في نجواهم).

استيئسوا: علىٰ وزن استفعلوا؛ للمبالغة من يئس، ييْئَس، وزيادة السين: للمبالغة؛ أيْ: استيئسوا من إقناع العزيز بعد أن حاولوا كلَّ المحاولات لإعادة أخيهم معهم، وبعد جهد ومشقة فشلت كلُّ المحاولات، ولم تعد هناك بارقة أمل، وانقطع أملهم ورجاؤهم من أن يخلِّي سبيل أخيهم.

﴿مِنْهُ﴾: تعود علىٰ العزيز (يوسف)، أو تعود إلىٰ أخيهم.

﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾: انتهوا من النّجوىٰ، أو مناجاة بعضهم بعضاً؛ يعني: أنّهم بعد أن يئسوا من إقناع العزيز انفردوا بأنفسهم ليتناجوا، وما سيفعلون، وما سيقولون لأبيهم، وانتهوا من النّجوىٰ.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: سناً، أو قدراً، أو رأياً، قيل: كبيرهم هو الّذي أشار عليهم بإلقاء يوسف في البئر بدلاً من قتله.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، ونفيٍّ. ارجع إلىٰ سورة التوبة، آية (٦٣)؛ للبيان.

﴿أَنَّ أَبَاكُمْ﴾: أن: للتوكيد، أباكم.

﴿قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قد: حرف تحقيق.

﴿أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾: عهداً مؤكَّداً بالقسم بحفظ أخيكم بنيامين، وإعادته إلىٰ أبيه، موثقاً من الله.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف، أو تعني: ومن قبل فرَّطتم في يوسف، والتفريط: يعني: التقصير في إتمام الموثق، أو العهد.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ لن: حرف نفي، نفي الاستقبال القريب، والبعيد.

﴿أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: أغادر أرض مصر، أو أتنحَّىٰ عن مكاني هذا.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾: بالعودة، والرّجوع إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: أو: للتخيير؛ أيْ: يقضي لي بخلاص أخي بنيامين، ويُفرج عنه؛ أيْ: يطلق سراحه، أو يحكم في أمري بحكمٍ ما، وهو خير الحاكمين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٩) من سورة يونس؛ للبيان.

حينئذٍ يبدو أنهم سألوه ماذا نفعل؛ فقال كبيرهم:

[٨١] ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾:

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾: الرجوع: هو العودة إلىٰ المكان الذي بدأ، أو انطلق منه.

﴿فَقُولُواْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ ارجعوا إلىٰ أبيكم؛ فقولوا:

﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱبۡنَكَ﴾: بنيامين سرق.

﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾: ما: النّافية.

﴿شَهِدۡنَآ﴾: عليه بالسّرقة؛ أيْ: ما رأيناه يسرق؛ إلا حصراً بما علمنا.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتوكيد؛ أيْ: لم نره يسرق، وإنما علمنا ذلك بما جاءنا من العلم، أو سمعناه من النّاس، أو وصلنا أنه سرق صواع الملك.

﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾: ما: النّافية؛ ما كنا نعلم الغيب، وأنّ هذا سيحدث له عندما أخذنا بنيامين معنا في سفرنا، أو ما كنا نعلم الغيب حين أعطيناك موثقاً من الله لنأتيك به، وإلا ما أعطيناك، أو ما كنا نعلم أنّ ابنك سيسرق، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله، وإلا لمنعناه من فعل ذلك، أو ما كنا نعلم الغيب لعلهم اتهموه بالسّرقة (حيث الوقت ليلاً)، ويعلم كبيرهم أنّ أباهم قد لا يصدِّق هذه الأقوال كلَّها، كما فعل سابقاً عندما أخبروه بأنّ يوسف أكله الذئب؛ لذلك قال لهم: إن كذَّبكم أبوكم؛ قولوا له:

[٨٢] ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾:

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾: القرية أهل القرية.

﴿ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: أيْ: مصر الّتي نزلنا فيها للميرة.

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: العير: القافلة إذا كانت فيها دواب (جمال، وحمير)، وتحمل الطّعام (الميرة) تسمَّى العيرَ.

﴿ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: قدِمت معنا إلى مصر للميرة أيضاً. قيل: كانوا قوماً من الكنعانيين فهم شهدوا ما حدث؛ أيْ: أصحاب العير الّتي قدِمت إلى مصر معنا.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: لصادقون: اللام: للتوكيد؛ أيْ: سواء صدقتنا أم لم تصدقنا ،نحن صادقون بريئون من التّهمة، وهم على حقٍّ في هذه المرة أنهم كانوا صادقين.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

وبعد أن رجعوا إلى أبيهم إلا كبيرهم الّذي بقي في مصر، وبقي بنيامين مع أخيه يوسف الّذي أخذه أجيراً في دين الملك، وأخبروا أباهم بما حدث.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: قال يعقوب.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي؛ أيْ: أشك في كل ما أخبرتموني به، ولن أصدقكم.

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أيْ: زينت لكم أنفسكم أمراً غير محمود سيِّئٍ لكم خاصَّة، وهذه هي المرة الثّانية الّتي يردِّد نفس الكلام؛ فقد قال حين لم يرجع يوسف: بل سولت لكم أنفسكم أمراً، آية (١٨)، وحين لم يرجع بنيامين اتَّهمهم بنفس التّهمة.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فصبر: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ صبر جميل: الصّبر الّذي لا يصاحبه شكوىٰ لأحد من البشر، ويمكن الشّكوىٰ إلىٰ الله وحده، وهذا لا ينافي الصّبر الجميل. ارجع إلىٰ الآية (١٨) ممن نفس السورة.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: عسىٰ: أداة رجاء، وتستعمل في الأمور المرجوة الّتي تتحقق غالباً.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: ولم يقل: بهما؛ لأنّهم أصبحوا ثلاثة يوسف وبنيامين وكبيرهم الّذي قال: لا أبرح الأرض.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالي، وبحال يوسف، وبنيامين، وبإخوة يوسف، وبما هو صدق، وما هو كذب، ولا تخفىٰ عليه خافية في السّموات، ولا في الأرض، والعليم الحكيم فيما قضىٰ، وقدر علىٰ خلقه؛ فهو أحكم الحاكمين، وهو أحكم الحكماء.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: أي: انصرف عنهم، وابتعد، وانفرد لوحده بحزنه؛ أيْ: خلا بنفسه.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: الأسف: هو أشد الحسرة، أو يا مصيبتاه، وزيادة الألف فيه دلالة على شدة الحزن، والألم، وأبلغ من قوله: يا أسفِ، يا أسفي، وفيه تعجُّب أيضاً، وهذا الأسف لا يتعارض مع الصّبر الجميل ما دام يعقوب لوحده.

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾: الحُزن بضم الحاء: هو الألم النّفسي، وضيق في الصّدر على شيء مضى، وله زمن معين قد يطول، أو يقصر، ثمّ ينتهي، أما الحَزن بفتح الحاء: فهو لا ينتهي أبداً؛ إلا بموت الفرد؛ فهو الحُزن الشّديد منذ فقدان يوسف إلى فقدان أخيه، هذه السّنين الطّويلة، سبَّب له ابيضاضاً في العين، وضعفاً، أو فقدان البصر، وسببه كما نسمِّيه (كتاركت).

﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾: حزين ساكت ممتلئٌ غيظاً، وحزناً، وغماً، ولا يظهر غيظه، ولا كربته لأحد من النّاس، ولكنه من شدة الغيظ يريد أن ينفجر، ويشتكي ويخبر بحاله. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٤)؛ لمزيد من البيان.

[٨٥] ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾:

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾: قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب:

﴿تَٱللَّهِ﴾: تاء القسم، وتحمل معنى التّعجب من تدهور حالته الصّحية بسبب غياب يوسف.

﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾: حذفت منها لا النّافية من جواب القسم، وأصلها تالله لا تفتأ تذكر يوسف؛ أيْ: لا تنسى تذكر يوسف، أو لا تزال تذكر

يوسف، أو لا تنطفئ نارك، أو تسكن عن ذكر يوسف، أو نقسم بالله أنّك لا تنسى تذكر يوسف، أو تسكن؛ أيْ: تتوقف، أو تكفُّ عن ذكره ليلاً، ونهاراً، ونار يوسف في جوانحك لا تنطفئ، ولا تهدأ. إذن تفتؤا من معانيها: لا تنسى، أو لا تسكن، أو تهدأ نارك على فراق يوسف، وحذف حرف النفي (لا)؛ لأن أمر الحرص أو الهلاك غير مؤكد مقارنة بقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١]؛ ارجع إلى تلك الآية للمقارنة.

وكذلك من معانيها: ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾: من فتأ، وفتئ؛ أيْ: زال وتحول؛ أيْ: ما زالت تداوم على ذكر يوسف.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿تَكُونَ حَرَضًا﴾: أي: الّذي لا يفعل ما يقول؛ أي: الفاسد عقله كالمجنون، والمخبول، والمشرف على الهلاك (الحرض؛ أي: المرحلة قبل الموت)، وأعراضها اختلال في العقل، أو الحرض: عدم القدرة على النهوض، وقيل: أصل الحرض الفساد في الجسم، أو العقل.

﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾: أو: للتخيير.

﴿تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾: تموت، وتبلى فعلاً؛ فهم أقسموا على أمر ظنوا أو تصوروا سيحدث وهو أن أباهم حرضاً أو من الهالكين ولم يحدث.

[٨٦] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾: قال يعقوب:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة.

﴿بَثِّي﴾: البث: هو الحُزن العظيم، والألم النّفسي الشّديد الّذي يصيب المبتلىٰ؛ فلا يصبر عليه حتّىٰ يبثّه للناس، أو لله تعالىٰ؛ أيْ: يخبر النّاس به، وما هو فيه، أو لا يستطيع كتمه أكثر من ذلك، والبثُّ أصله النّشر.

لنعلم أن الحُزن شيء مؤقّت وسوف يزول عاجلاً، أو آجلاً.

أما الحَزن: فشيء دائم سيستمر حتّىٰ الموت.

فالأسىٰ يتحول إلىٰ حُزن، والحُزن يتحول إلىٰ البث، وهو أعلىٰ درجات الحُزن الّذي لا يطاق؛ مما يدعو صاحبه إلىٰ أن يبثّه للنّاس ليعلموا بحالته.

وأما الأسف: فهو حُزن مع غضب.

﴿وَحُزْنِيٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٤) من نفس السّورة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: وحده.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنّ الله قادر علىٰ كشف الضّر، وقادر علىٰ ردّ يوسف وبنيامين إليَّ، وإنّ رؤيا يوسف صدق ولم تتحقق بعد.

❖ ❖ ❖

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

سورة يوسف [الآيات ٨٧ - ٩٥]

[٨٧] ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟﴾: نداء من يعقوب إلىٰ أولاده فيه حنان، واستعطاف.

﴿ٱذْهَبُوا۟﴾: ارجعوا إلىٰ مصر.

﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: أيْ: تتبعوا، والتمسوا أخبار يوسف، وأخيه، والتّحسس: طلب الخبر بالحاسة، أو طلب معرفة الشّيء بالبحث الدّقيق؛ أيْ: تتبّعوا أخبارهما، وابحثوا عنهما بشكل دقيق بالسّؤال، والبصر، والسّمع، وبكلّ حاسة.

﴿مِن يُوسُفَ﴾: من: بعضية؛ أيْ: بعض أخبار يوسف.

﴿وَأَخِيهِ﴾: بنيامين، التمسوا أيَّ خبر عنهم.

﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: ولا: النّاهية.

﴿تَا۟يْـَٔسُوا۟﴾: لا تقنطوا، واليأس: هو انقطاع الأمل من العثور علىٰ شيء، أو حدوث شيء ما.

﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: من فرج الله، أو رحمته، وأصل الرّوح النّفس؛ يقال: أراح الإنسان تنفس بارتياح بعد انفراج الغم، وزوال الكربة.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: إنّه: للتوكيد؛ لا يقنط من فرج الله.

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إلا: للحصر.

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الجاحدون بِنِعَمِ اللهِ، وقدرته، ورحمته، والجاهلون، وغير الصابرين، أو القوم الضّالون.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٦) من سورة الحجر: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: الرّحمة هنا: في سياق الولد (الإنجاب)، وجاءت هذه الآية في سياق عقم سارة (امرأة إبراهيم)، وقول الملائكة لإبراهيم: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٥-٥٦]؛ فالقنوط: هو أشدّ من اليأس، والقنوط: أخصُّ من اليأس؛ اليأس: أعم يشمل القنوط.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمان بمعنىٰ: حين دخلوا علىٰ العزيز؛ أيْ: أخوهم يوسف للمرة الثّالثة.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: أصابنا الضّر؛ أي: الفقر الشّديد، والجوع، والحاجة، وأصاب أهلنا الضُّرُّ: هو الأذىٰ الّذي تكون له آثار بعيدة، والأذىٰ يتحول إلىٰ ضُرٍّ.

الضُّر: هو أشد من الأذىٰ، ويكون في النّفس، والبدن.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: مزجاة من فعل أزجى الرّباعي؛ بمعنى: مردود لفساده، مُزجاة: اسم مفعول، وزجاه؛ بمعنى: دفع؛ أيْ: جئنا ببضاعة كاسدة لا تصلح للبيع، أو الشّراء لرداءتها، وهذه البضاعة مثل الصّوف، والسّمن، أو دراهم رديئة مزيفة قديمة، فكل تاجر يحاول التّخلُّص منها، ودفعها لغيره.

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: أيْ: أتم لنا الكيل، أو زِدْ لنا الكيل، ولا تعاملنا بما تساوي بضاعتنا من قيمة، وسامحنا على رداءتها، وتصدَّق علينا؛ أيْ: وتفضَّلْ علينا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يَجْزِى﴾: من الجزاء: وهو أعم من الأجر، والجزاء: يكون وفقاً للعمل مقابل العمل الصّالح، أو السيِّئ، ويستخدم في النّفع، والضّرر.

﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: مقارنة بالمصدقين: المصدقون: فيها مبالغة أكثر في إعطاء الصّدقات؛ فهم قالوا: المتصدقين: أيْ: لم يطلبوا الكثير من الصّدقة؛ أيْ: هم يقبلون أيَّ شيء يعطيهم.

[٨٩] ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾: قال يوسف: هل علمتم.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنى التّوبيخ، والتّقريع، والتّهويل. اختلف المفسرون في السّبب الّذي دفع يوسف لهذا القول، وقال ابن عبّاس حين سألهم يوسف: هل علمتم ما فعلتم بيوسف، وأخيه إذ أنتم جاهلون: رفع التّاج عن رأسه، فعرفوه من الشّامة الّتي كانت على صدغه، وكان ليعقوب مثلها، وهناك من قال: ابتسم

يوسف، ولما ابتسم ظهرت ثناياه، وكانت علامة فارقة له؛ مما دفع إخوة يوسف إلى تذكُّره، وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف: أيْ: ما أعظم ما ارتكبتم بحقِّ يوسف وأخيه.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: بسبب طيشكم، وسفهكم، وجاهلون بعاقبة أمركم، وآثار ما قمتم به، ومجيء هذا القول في صيغة سؤال قد يدفع المسؤول في التّحقق من هوية وشخصية المتحدث، وقيل: ما أحلم يوسف ؛ إذ التمس العذر لهم بما فعلوه فيه، وسمّاه بالجهل. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لبيان معنى الجهل.

[٩٠] ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾: أيْ: قال إخوة يوسف ليوسف: أإنك لأنت يوسف: استفهام تقريري أكَّدوه بـ (أإنك): بأن، وكذلك باللام في (لأنت): استفهام تقريري مشرب بالتّعجُّب، والفرح بنجاحهم في العثور على يوسف؛ فردَّ عليهم يوسف:

﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾: قال أنا: للتأكيد، وأضاف كلمة يوسف، وهذا أخي أخرج لهم بنيامين، ولم يقل: أنا هو، وهذا أخي؛ لأنّ القاعدة: الاسم الظّاهر أقوى من الضّمير؛ إذن سؤالهم جاء بالتّوكيد؛ فكان الرّدُّ عليه كذلك بالتّوكيد.

﴿وَهَٰذَآ أَخِي﴾: وهذا: الهاء: للتنبيه، وذا اسم إشارة للقرب، وفيه معنى

التّعظيم، أو هذا أخـي عرفته كما عرفتكم، وأنتم لم تعرفوني حين دخلوا ﴿عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [آية:٥٨] من نفس السورة.

﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: قد: للتحقيـق، والتّوكيد، وأدخل أخاه في النّعمة، والمنِّ، من ناحية التّقوىٰ، والأمان، والصّبر.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿مَن﴾: اسـتغراقية تشمل كلَّ من يَتَّقِ، ويصبرْ (جمع بين التّقوىٰ والصّبر) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد.

﴿لَا يُضِيعُ﴾: لا: النّافية.

﴿أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جزاء، أو ثواب المحسـنين. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة.

وقدَّم التّقوىٰ علـىٰ الصّبر؛ لأنّ التّقوىٰ أهم من الصّبـر؛ فالصّبر من دون تقوىٰ لا جدوىٰ له، والصّبر يعين علىٰ التّقوىٰ.

[٩١] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾:

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ قال إخوة يوسف:

﴿تَٱللَّهِ﴾: تاء: القسـم، وفيها معنىٰ التّعجُّب مما حصل له من علو المنزلة والرّفعة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: لزيادة التّوكيد، والتّحقيق.

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فضّلك، واختارك الله علينا بالنّبوّة، والملك، والتّمكين، والجمال.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: وإن المخففة تفيد التّوكيد.

﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾: اللام: تزيد التّوكيد في الخطأ فيما قاموا به، ولم يقل: من المخطئين؛ الخاطئ: هو الّذي يعلم الصّواب، ويتعدّاه، والخاطئ: من يرتكب الذّنب عمداً، أمّا المخطئ: هو من لا يعلم الصّواب أصلاً، لا طريقه، ولا مكانه؛ فهو يرتكب الخطأ من دون عمد، أو قصد.

إذن: هم يعترفون بذنبهم، وأنهم ارتكبوه عمداً؛ حيث ألقَوا يوسف في غيابة الجبِّ.

[٩٢] ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قال يوسف لإخوته:

﴿لَا﴾: النّافية للجنس.

﴿تَثْرِيبَ﴾: عتاب، أو لوم.

﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: أيْ: بعد اليوم، والتّثريب: اللوم العنيف مأخوذ من التّرب: وهو الدّهن الكثيف، وهو الغطاء الشحمي الواقع تحت جدار البطن يغطي الأمعاء؛ أيْ: مع أنّكم تستحقون أن تلاموا على ما فعلتم بي لوماً عنيفاً يذيب الشّحم الشّديد شحم بطونكم، ولكني أسأل الله أن يغفر لكم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أرحم على وزن أفعل، أو أفضل الرّاحمين على الإطلاق؛ أيْ: إن وُجِدَ راحمون؛ فهو أرحمهم؛ فهو من فضله أطلق عليهم راحمين، ولكنه سبحانه هو وحده أرحم الراحمين؛ لأن رحمته لا تزول ودائمة، ومتعلِّقة بذاته بينما رحمة غيره زائلة، وفانية بموت صاحبها.

[٩٣] ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾: طلب من إخوته أن يذهبوا؛ أيْ: يعودوا إلى ديارهم، ويأخذوا معهم قميصه: ثوبه، ولم يقل: ارجعوا بقميصي هذا؛ لأنّ معنى ارجعوا بقميصي: أنّ القميص كان معهم حين قدِموا إلى مصر، ولكي يتجنَّب ذلك الظّن قال اذهبوا.

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾: ولم يقل أبيكم؛ فكأنهم لا يستحقون أن يكون أباً لهم لما فعلوه بأبيهم منذ فقدان يوسف؛ فقد ابيضَّت عيناه من الحزن، وهو كظيم، وأصبح حرضاً، أو من الهالكين، ولذلك قال: وجه أبي.

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: وعلم ذلك من الوحي الّذي أخبره بالقيام بذلك من باب المعجزة، أو الكرامة ليعقوب، وابنه يوسف ، وأنّ الله أرحم الرّاحمين.

﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أجمعين: تفيد التّوكيد؛ أي: ائتوني بجميع الأهل من دون استثناء.

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾:

﴿ وَلَمَّا ﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرف بمعنى: حين؛ متضمّن معنى: الشّرط.

﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾: القافلة (الإبل والدّواب المحملة بالطّعام، والزّاد مع أهلها)، وفصلت: تدل على شيء كان ملتصقاً بشيء، ثمّ انفصل، وفصلت العير: خرجت من مصر متجهةً إلى مكان إقامة يعقوب.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: قال يعقوب: إنّي: للتوكيد.

﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: أيْ: أشعر بريح تحمل رائحة يوسف؛ أيْ: هو لا يزال حياً يرزق، وأشم رائحته، الرّائحة المنبعثة من قميص يوسف.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾: لو: حرف شرط.

﴿أَن تُفَنِّدُونِ ﴾: أن: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد؛ خاطب يعقوب من حوله من الأهل؛ لأنّ أولاده لا زالوا في طريق العودة. التّفنيد: مرض الخرف، وضعف العقل، وضعف الرّأي بسبب الهرم، وتقدُّم العمر.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾: لولا اتّهامكم لي بالخرف، والهرم لصدقتموني، والسؤال لماذا لم يشم رائحة يوسف عندما كان يوسف في مصر؟ قيل: لأنّ الرّوائح في المدينة كثيرة، وتختلط مع بعضها، أو لبعد المسافة أيضاً.

وعن ابن عباس : أنّه كانت المسافة مسيرة ثماني ليال بين القميص، ويعقوب ما يعادل (٨٠ فرسخاً).

[٩٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٣).

أيْ: قال الّذين كانوا مع يعقوب من بقية الأهل:

﴿إِنَّكَ لَفِي﴾: لفي: اللام: للتوكيد.

﴿ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: ليس ضلال الدّين، والعقيدة، وإنما الضّلال هو الخطأ، وعدم الاهتداء إلىٰ الصواب؛ أيْ: في خطئك القديم في إفراطك في حب يوسف، وكثرة ذكره، والانشغال به، وتوقُّع العثور عليه، والبحث عنه بشكل دائم، والّذين قالوا ذلك ظنوا أنّ يوسف قد مات.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

نصف الحزب ٢٥

سورة يوسف [الآيات ٩٦ - ١٠٣]

[٩٦] ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زماني؛ أيْ: حين متضمِّن معنىٰ الشّرط ألقاه.

﴿أَن﴾: تشير إلىٰ طول انتظار يعقوب لهذا البشير، وعلمه أنّ يوسف لا زال حياً، ولذلك باعد بين لما وجاء بإدخال أن إشارة إلىٰ استطالة الوقت؛ أيْ: طول الانتظار فمعناها التّراخي في الزّمن؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٣]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص:١٩].

﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾: جاء: تفيد المجيء بمشقة، وصعوبة، بينما أتىٰ: تدل علىٰ السّهولة، واليسر.

﴿ٱلْبَشِيرُ﴾: قيل: هو الأخ الأكبر؛ أيْ: كبيرهم الّذي قال: لن أبرح الأرض حتّىٰ يأذن لي أبي، أو يحكم الله لي، وقيل: اسمه يهوذا، جاء ومعه قميص يوسف .

﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: ألقاه: الهاء تعود إلىٰ القميص؛ ألقىٰ القميص علىٰ وجه أبيه.

﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾: الرّدة: العودة إلىٰ الحال الأولىٰ؛ أيْ: رجع يعقوب يبصر، ويرىٰ كما كان قبل فقدان بصره.

فكان قميص يوسف معجزة أولاً بسبب رائحته الّتي سبقت القميص بثماني ليال، وثانياً: حين ألقي القميص علىٰ وجه يعقوب ارتد بصيراً.

﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: قال يعقوب لأهله، ومن حوله عندها: ألم أقل لكم: إنّـي أعلم من الله ما لا تعلمون؛ لأنّه نبي، ويوحىٰ إليه.

الفرق بين يأتي بصيراً، فارتد بصيراً:

يأتي بصيراً: كما ورد في الآية (٩٣) من نفس السّورة.

يأتي إليَّ مع كلِّ أهله إلىٰ مصر وهو مبصر.

أما فارتد بصيراً: رجع يعقوب ذا بصر بعد أن كان أعمىٰ فرجع بصيراً؛ أيْ: رجع إلىٰ ما كان عليه من الإبصار؛ كأن لم يصب بابيضاض العينين.

ففي الآية (٩٣) قـال: ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾، وفي الآية (٩٦): ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾؛ أي: ارتد بصيراً أولاً، ثمّ يأتي إليَّ بصيراً ثانياً، أو بعد ذلك.

[٩٧] ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾:

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾: هنا يقرُّ الإخوة بالذّنب، ويعترفون لأبيهم، ويطلبون منه الاستغفار لذنوبهم.

﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾: استعمل النّون المشددة في إنّا مع أبيهم؛ للتوكيد، بينما مع أخيهم قالوا: وإن كنا لخاطئين. إن: المخففة (التّوكيد أخف).

والّذي يتبادر إلىٰ الذّهن: أنّه كان ينبغي أن يكون التّوكيد أشد لأخيهم؛ لأنّهم أساؤوا إليه، وألقوه في غيابة الجب، وليس لأبيهم، والحقيقة ما قالوه لأبيهم بعد فقدان يوسف، وما حدث له من جرّاء ذلك الحُزن، والأسف، وفقدان بصره ، أهم مما حدث ليوسف، وذلك مما دعاهم إلىٰ الاعتذار، والاعتراف بالخطيئة لأبيهم، والتّوكيد الشّديد له، مقارنة بالتّوكيد الخفيف لأخيهم.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾: قال أبوهم يعقوب: سوف، ولم يقل سأستغفر لكم ربي؛ لأن السين تدل علىٰ الزّمن القريب، ولأن سوف: حرف استقبال تدل علىٰ البعد، والتّراخي في الزّمن؛ أيْ: بعد زمن، أو في المستقبل سوف أستغفر لكم ربي، ولكن ليس الآن، ولكن في المستقبل؛ تعني: أن يعقوب يريد أن يؤجِّل مسألة الاستغفار لهم؛ لكي يسأل ربَّه أن يغفر لهم علىٰ ما فعلوه من ذنب فيما بعد، وليس حين سألوه، والحكمة في ذلك: كي يندموا علىٰ ما فعلوا، ويشعروا بالذّنب، ويتوبوا توبة نصوحاً، وتدل علىٰ عمق الأثر الّذي في نفسه مما فعلوا به وبيوسف.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد زيادة التّوكيد أيضاً.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كلاهما صيغة مبالغة تدلان علىٰ كثرة المغفرة، والرحمة. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٢٩)؛ للبيان.

لنقارن قولـه تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [آية:٩١]، مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [آية:٩٧]:

قالوا ليوسف: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: استعمل إن: المخففة؛ تدل علىٰ توكيد خفيف.

وقالوا لأبيهم: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾: استعمل: إنّا: المشددة؛ لأنّ إساءتهم إلىٰ أبيهم كانت أشـد؛ حيث أصيب بالحُزن، والعمىٰ، واللوعة علىٰ فقدان يوسف، وأخيه لسنين طويلة؛ أما إساءتهم مع يوسف كانت لا تقارن مع إساءتهم لأبيهم؛ نعم فعلوا ما فعلوا بيوسـف، ولكن أصبح عزيزاً، وعلىٰ خزائن الأرض، ولذلك قال لهم أبوهم : سـوف أسـتغفر لكم ربي. وقال لهم يوسف: لا تثريب عليكم اليوم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أيْ: أبـاه، وخالته؛ لأنّ أمّه قد ماتت من قبـل، ولم يقل: والديه، وفي هذا إكرام لخالته التـي هي بمنزل أمه، رغم أن والده هو يعقوب فهو غلب خالته علىٰ أبيه بالذكر.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: قد تعني: لما خرج لاسـتقبال أبويـه خارج المدينة أركب معه أبواه في عربته، أو مركبته، أو أنزل أبواه عنده في بيته، وقدَّم كلمة إليه: للدلالة علىٰ الحصر؛ أيْ: لا يريد منهما إلا أن ينزلا عنده في بيته، ولم يقل: آوىٰ أبويه إليه.

أوىٰ إليه أبويه:

١ - ضمَّهما إلىٰ موكبه حين خرج إلىٰ استقبالهما.

٢ - أو أنزلهما في مسكنه وبيته.

﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾: بعد أن قال: دخلوا علىٰ يوسف، إذن هناك دخولان: دخول الاستقبال، وكان الأول خارج المدينة، والدّخول الثّاني عند دخول بيته، أو دخول واحد، وقال ذلك للتّرحيب بهم مرة أخرىٰ، والخطاب موجَّه إلىٰ أبويه، والعائلة معاً.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿شَآءَ﴾: المشيئة تسبق الإرادة، وقدَّم المشيئة علىٰ آمنين؛ للاهتمام؛ لأنّ مشيئة الله أهم من الأمن، ولا يتحقَّق الأمن إلا بمشيئة الله تعالىٰ.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: أجلسهما علىٰ العرش.

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾: لـه: هاء الضمير، قيل: تعود إلىٰ يوسف؛ أيْ: خروا ليوسف (أيْ: أبواه وإخوته) سجَّداً؛ سجود تحية، أو شكر، لا سجود عبادة؛ كالانحناء، وكان ذلك جائزاً في شرعهم.

وقيل: هاء الضمير تعود إلىٰ الله سبحانه؛ أي: الكل خرُّوا لله سجَّداً؛ سجود شكر، سجود عبادة.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾: وقال يوسف لأبيه:

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: يـا: أداة نداء، والتّصغير في (يا أبت): فيها شعور بالحنان، والعطف.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلىٰ ما يحدث الآن من سجود هو:

﴿تَأۡوِيلُ﴾: تفسير، أو تعبير رؤياه من قبل حين كان طفلاً، وحين رأىٰ أحد عشر كوكباً، والشّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: وضم قبلُ يدل علىٰ زمن معلوم، ومقصود؛ أيْ: حين رأىٰ أحد عشر كوكباً، ولو كسر قبل، وقال: من قبلِ: تدل علىٰ زمن غير محدد، أو واضح، ومعلوم.

﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿جَعَلَهَا﴾: أي: الرّؤيا.

﴿حَقّٗا﴾: رؤيا صادقة، وحقاً من الحق، وهو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿بِيٓ﴾: الباء: للإلصاق؛ أيْ: بي خاصة؛ أيْ: إحسانٌ خاصٌّ بي؛ إذ أخرجني من البئر، ومن السّجن، وجعلني علىٰ خزائن الأرض.

وهناك فرق بين أحسن بي، وأحسن إليَّ:

أحسن إليَّ: تعني: إحسان عام يصيب كلَّ عبد، أو يشترك به كلُّ عبد.

أمّا قوله: أحسن بي: أيْ: إحسان خاص.

﴿أَحْسَنَ﴾: أيْ: أنعم وفضَّل عليَّ.

﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لئلا يُشعر إخوته بالخجل، والنّدم، ويذكرهم بإساءتهم إليه؛ لأنّه خرج من الجب إلىٰ الرّق، والعبودية، والبيع، فلم يذكر ذلك، بينما خرج من السّجن، وأصبح العزيز، والحفيظ علىٰ خزائن الأرض (مصر).

أو قيل: لم يذكر الجب؛ لأنّ السّجن والجب يمثلان مكان غير مستحب، أو الجب كان يمثل السّجن، فذكر أحدهما يكفي عن الآخر.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: جاء: كلمة جاء تحمل معن الجهد، والمشقة، والصّعوبة؛ أيْ: جاء بكم بصعوبة.

﴿مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: يعني: البادية، والاسم البدو: مشتق من البُدوِّ: وهو الظّهور، ويرىٰ أنّهم كان ينتقلون في أرض كنعان، وكانوا أهل وأصحاب مواشٍ ينتقلون حيث الماء، والمرعىٰ.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾: من: ابتدائية.

﴿بَعْدِ﴾: ظرفية زمانية، ومكانية.

﴿أَن﴾: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿نَّزَغَ﴾: أفسد الشّيطان بيني وبين إخوتي، وأصل النّزغ هو النّخس نخس الدّابة؛ لحثّها علىٰ الجري، والسّرعة، وجاءت هنا بمعنىٰ الإفساد والخصومة بينه

وبين إخوته؛ فقد حاولوا قتله وهم قد أغروا به، ولم يقل بعد أن وسوس الشيطان؛ الوسوسة: أعم من النزع، والنزع: حالة خاصة من الوسوسة، والوسوسة في الأصل تكون بالصوت الخفي، وقد تكون أحياناً بالصوت المسموع.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: إنّ ربي: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبِّي﴾: الخالق، المدبر، الرّزاق، اللطيف: أحاط علمه بالأسرار، والبواطن، والخفايا.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾: لا يوجد شيء مستور عنه مهما لطف، ودق، وصغر، ولا تخفىٰ عليه خافية، ولا يعوقه شيء؛ فهو خبير بمواقع الأشياء، والشّيء حين يرق ويصغر؛ أيْ: يلطف .

لطيف لما يشاء بعباده: يُحسن إليهم، ويكرمهم، ويعطيهم، ورؤوف رحيم بهم.

﴿لِّمَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي؛ أيْ: لطيف للذي يشاء.

﴿إِنَّهُ﴾: إن: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السّورة.

[١٠١] ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾:

﴿رَبِّ﴾: نداء من دون ياء، ولم يقل: يا رب؛ لأنّ الرّب أقرب إلىٰ عبده من حبل الوريد.

﴿قَدْ ءَاتَيْتَنِى﴾: قد: للتوكيد، والتّحقيق.

﴿ءَاتَيْتَنِى﴾: من الإيتاء: وهو العطاء مع إمكانية استرداد الشّيء المعطىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق بينهما زيادة الياء تدل علىٰ العطاء الوافر من النسوة والملك وتأويل الأحاديث.

﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أيْ: بعض الملك، وهو مُلك مصر؛ أي: الحكم.

﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: من: للتبعيض أيضاً من بعض تأويل الأحاديث، وليس كلَّ الأحاديث، وهي تعبير الرّؤيا، وقد تشمل بعض الآيات، والأحكام الربانية. والتأويل تعريفه: هو نقل ظاهر اللفظ إلىٰ معنىٰ آخر، أو دلالة أخرىٰ لسبب من الأسباب، ولم يقل علمتني من تفسير الأحاديث؛ التفسير تعريفه بشكل عام: هو كشف المراد؛ أي: المعنىٰ، أو كشف المفردات الغير واضحة.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فيها معنىٰ الخلق؛ أي: الشّق؛ أيْ: شق عنه فظهر، أو الفتق كانتا رتقاً ففتقناهما؛ أي: إظهار الخلق للوجود، أو الإظهار بالإخراج إلىٰ الوجود، والشق: التّفطر؛ مثل: تفطُّر الشّجر إذا تشقق بالورق، وفطر الله الخلق؛ أيْ: أظهرهم بإيجاده إياهم.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: الولي: المعين، والنّاصر، والحفيظ، والمتولِّي أمري؛ أي: المنعم عليَّ فلا أحتاج إلىٰ أحد غيرك في الدّنيا والآخرة.

﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾: مسلماً موحِّداً، ومخلِصاً علىٰ دِين الإسلام؛ بعيداً عن الشرك، وعلىٰ أعلىٰ درجات الإيمان.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: من الأنبياء، وغيرهم من الصّالحين، الصّديقين، والشّهداء؛ أي: اجعلني في زمرة الصّالحين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان.

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، وذلك هنا تفيد القلة، وتستعمل تلك لكثرة الأنباء أو تعدد القصص، وذلك لقلة الأنباء، أو القصص، ففي سورة يوسف ذكرت قصة يوسف فقط، وأما في سورة هود مثلاً ذكرت قصص كثيرة: قصة نوح، وعاد، وثمود، وإبراهيم، ولوط، وفرعون، ولذلك قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ [هود:٤٩].

﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾: من: ابتدائية؛ تفيد التّبعيض؛ أيْ: بعض أنباء الغيب (أنباء) الأخبار المهمة العظيمة المتعلِّقة بيوسف، ويعقوب.

﴿الْغَيْبِ﴾: ما غاب عن العباد، واستتر.

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: نخبرك به عن طريق الوحي، والوحي: هو إعلام بالخفاء؛ أيْ: ذلك من أنباء الغيب؛ لأنّك لم تحضر بني يعقوب. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنى الوحي.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: أيْ: حاضراً معهم؛ أيْ: مع إخوة يوسف.

﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: إذ: ظرفية للزمن الماضي؛ بمعنى: حين.

﴿أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: اتفقوا على أن يُلقوا يوسف في غيابة الجب.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَمْكُرُونَ﴾: يدبِّرون بالخفاء حيلة التّخلص منه، والمكر به. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٩٩)؛ لمعرفة معنى المكر.

[١٠٣] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: ما: النّافية.

﴿أَكْثَرُ﴾: أيْ: غالبية النّاس.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: لو: شرطية.

﴿حَرَصْتَ﴾: على هدايتهم، أو رغبت، أو طمعت. وقيل: الحرص: أشد الطمع؛ الخطاب موجَّه إلى رسول الله ﷺ.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ بمؤمنين بالله؛ إيمان عقيدة، وتوحيد.

❖ ❖ ❖

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة يوسف [الآيات ١٠٤ - ١١١]

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النّافية.

﴿تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: من أجر: من: استغراقية؛ تفيد التّوكيد؛ استغراق النّفي لأخذ أيِّ أجر.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: إن: حرف نفي أشد نفياً من: ما؛ أيْ: ما هو إلا ذكرٌ للعالمين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء بعد النّفي؛ تعني الحصر؛ أيْ: حصراً، وقصراً هو ذكرٌ للعالمين؛ أي: القرآن هو ذكر؛ لأنّه يُذكِّر كلَّ مؤمن بالله تعالىٰ، ويمنع من الغفلة، والعزوب؛ أي: النسيان.

وإذا قارنا هذه الآية مع آية الأنعام (٩٠): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

ذكر: فيه معنىٰ الشّرف، والرّفعة.

وذكرىٰ: من تذكر.

ذكرٌ: أقوىٰ من ذكرىٰ؛ فذكرٌ: جاء في سياق آيات يوسف الّتي جاءت في سياق الدّعوة، والتّبليغ، والهداية؛ حيث يقول الحق: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

وإذا قارنا هذه الآية (١٠٤): ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، والآية (٩٠) من سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: نجد أنّ قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: آكد وأبلغ في النّفي من قوله: ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَكَأَيِّن﴾: مركبة من كاف التّشبيه، وأيٍّ المنونة، وصارت كلمة واحدة؛ بمعنىٰ: كم: الخبرية المفيدة للتكثير، ولمقارنة كأين، ويكأن: ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٤٥).

﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من: ابتدائية، أو التّبعيض، آية كونية تدل علىٰ وحدانية الله، وأنّه هو الخالق؛ كالجبال، والأنهار، والبحار، والشّمس، والقمر، والكواكب، والنّجوم.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: يشاهدونها.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: صيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار؛ للمرور. هم: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: صفة اسمية تدل علىٰ ثبوت إعراضهم، واستمرارهم عليه.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يتعظون بها، ولا يفكرون بها، ولا ينتفعون بها، ولا تهديهم إلىٰ الخالق، وكيف يمرون علىٰ آية في السّموات والأرض قد يكون بوسائل النّقل الحديثة؛ مثل: المركبات الفضائية، والطّائرات، والسّيارات... وغيرها؛ يمرُّون عليها في أسفارهم، وتنقُّلهم من مكان إلىٰ آخر أو يشاهدونها.

[١٠٦] ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو: عاطفة؛ ما: حرف نفي.

﴿يُؤْمِنُ ﴾: أيْ: ما يقرُّ، ويصدِّق بعبادة الله إلا هو مشرك في نفس الوقت.

﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾: أكثرهم: أهل مكة، وغيرهم.

﴿بِاللَّهِ ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾: إلا: تفيد الحصر.

﴿وَهُم ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿مُّشْرِكُونَ ﴾: جمع مشرك: مشـــركون جملة اسمية تدل على ثبوت الشّرك فيهم؛ سواء أكان باتخاذ الآلهة، أو الولد، أو البنت، أو الشّريك، أو النّد، والمثيل، والطاغوت.

[١٠٧] ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾:

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتّعجب.

﴿أَن ﴾: مصدرية؛ للتعليل، والتّوكيد؛ تأتيهم.

﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾: عقوبـــة، صاعقة، قارعة، صيحة، زلزلة؛ ســـمِّيت غاشية: لأنّها تعمُّ، وتغطِّي الجميع؛ تغشاهم: تصيبهم، تشملهم جميعاً من عذاب الله.

﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أو: للتخيير، هذه أو تلك تأتيهم السّاعة بغتة؛ أيْ: فجأة، والسّاعة تعني: ساعة تهدم النّظام الكوني الحالي.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: توكيد لبغتة بوقت إتيانها، أو قيامها.

[١٠٨] ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ هَٰذِهِ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: هذه: الهاء للتنبيه؛ ذه: اسم إشارة للقرب.

﴿سَبِيلِي﴾: سنتي، وشريعتي، صراطي، منهجي.

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: أدعو إلى الإيمان بالله، والإسلام، والتّوحيد، ولا إله إلا الله.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿بَصِيرَةٍ﴾: حُجَّة بالغة واضحة، ويقين.

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: أنا: للتوكيد.

﴿وَمَنِ﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿اتَّبَعَنِي﴾: آمن بالله، وصدَّق بي، وبرسالتي، أو سنتي؛ أيْ: أنا ومن اتبعني على حُجَّة بالغة واضحة ندعو بها إلى دين الله.

في هذه الآية (١٠٨) من سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، وفي الآية (٢٠) من سورة آل عمران: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾.

ما هو الفرق بين اتبعن، واتبعني؟

اتبعن: هؤلاء قلة من الاتباع الذين أسلموا وجوهُهُم لله من المسلمين.

اتبعني: هؤلاء الدّعاة إلى الإسلام، والتّوحيد، وهم كثرة يدعون على بصيرة، وعلم، مقارنة بالذين أسلموا وجوههم لله، ولذلك أضاف لهم الياء زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى.

في سورة الأنعام، الآية (١٥٣): ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

في سورة يوسف الآية (١٠٨): ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

في سورة النّساء، الآية (١١٥): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

فقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾: أيْ: دين الله الإسلام هو ديني.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾: أيْ: سنتي، سنة الله؛ هذه سنتي.

وقوله تعالى: ﴿سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: سنة الإجماع؛ هذا سبيل المؤمنين.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: وأنزِّه الله تعالى من كلِّ عيب، ونقص، وشريك، وندٍّ،

ومثيل، وولد، وبنت في ذاته، وأسمائه، وصفاته. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ما: النّافية.

﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وأنا بريء من جميع المشركين.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

هذا ردٌّ على قولهم؛ لأنّهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت:١٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾: ما: النّافية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿مِن قَبْلِكَ﴾: من: ابتدائية؛ أيْ: ابتداء الغاية في الزّمن الّذي سبق قدومك؛ أي: قبلك مباشرة بدون فاصل زمني مقارنة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الأنبياء:٧]؛ قبلك: تحتمل الزمن القريب أو البعيد.

﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾: إلا: حصراً.

﴿رِجَالًا﴾: وليس فيهم امرأة.

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾: بالوحي، وهو الإعلام بالخفاء بإرسال رسول، أو الإلهام، أو التّكليم من وراء حجاب. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾: أيْ: ليس من أهل البوادي، والأعراب.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أفلم: الهمزة: للاستفهام، والفاء: للتوكيد، لم: النّافية، وفاء السببية مقارنة بالواو كقوله أولم يسيروا الواو: لمطلق الجمع.

﴿فَيَنظُرُواْ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب.

﴿كَيۡفَ كَانَ﴾: كيف: للاستفهام، والتّحذير.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: حين يذكّر العاقبة ويقول كان عاقبة؛ يعني: العذاب؛ أيْ: كيف كان عذاب الّذين من قبلهم، وحين يؤنّث العاقبة فيقول كيف كانت عاقبة؛ تعني: الجنة؛ من خصائص القرآن.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من: ابتدائية.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من زمن قريب، وفيها تهديد، ووعيد أكبر مقارنة بقوله: قبلهم؛ أيْ: تعني إهلاك الأقوام التي جاءت قبلهم منذ زمن قريب؛ فيه تهديد أكبر من إهلاك البعيد، ويأتي بحرف من.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: الجنة، واللام: لام الاختصاص.

﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾: خير من الدّنيا.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾: أدّوا أوامر الله، وتجنّبوا نواهيه، واللام: لام الاختصاص.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتوبيخ على عدم التّعقل (الفهم)، وتعجُّب من ترك التّفكير، وألا: أداة تنبيه، وحضٍّ، وتحمل معنى الأمر.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: أن تفهمون ما يتلى عليكم، وما توعظون به، والخطاب موجَّه إلى المشركين، والمكذبين بآيات الله.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: حتّى: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل.

﴿ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: من يأس، واستيئس: فيها مبالغة وشدة في اليأس على وزن استفعل، ولكن لم يصل إلى درجة انقطاع الأمل كاملاً من عدم إيمان أقوامهم، وتصديقهم لهم، وتسرب اليأس إليهم، ولكن الأمل لم ينقطع، ولا زالوا عندهم أمل؛ فالمؤمن سواء أكان رسولاً، أم غيره لا ينقطع أمله أبداً، وما يتسرب إليهم من اليأس أمر عارض مؤقَّت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

أما لو قال: حتّى إذا يئس الرّسل: فهذا يدلُّ على انقطاع الأمل كاملاً، وهذا غير معقول أن يحدث من أيِّ رسول بعثه الله، أو اختاره لرسالة.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾: لأنّ نصر الله لم يأتهم بالسّرعة الّتي أرادوها؛ مما أدى إلى تسرب اليأس إلى قلوبهم وظنوا لن يؤمن بهم أحد، أو خافوا أن

يكذبهم الغير، أو ظنَّ الأتباع، والقوم أنّ الله ليس مع هذا الرّسول، ولم يؤيِّده، وفرحوا بذلك.

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾: فنجي: الفاء: تدلُّ على التّرتيب، والمباشرة.

﴿مَن﴾: استغراقية؛ تشمل كلَّ الرّسل الّذين آمنوا.

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾: عند نزول العذاب؛ فنجي من نشاء؛ أيْ: كلّ الرّسل، والّذين آمنوا.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: لا: النّافية.

﴿يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا لا يردُّ: لا يستطيع أحد أن يمنع وقوع عذابنا، أو دفعه، أو تحويله، أو تغييره.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المجرمين: الكافرين، المشركين، والعاصين الّذين لم يتوبوا، وأصبحت صفة الإجرام عندهم ثابتة. ارجع إلى سورة هود، آية (١١٦)؛ لمزيد في معنى: المجرمين، وسورة الجاثية آية (٣١).

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كَانَ فِى﴾: ظرفية.

﴿قَصَصِهِمْ﴾: من القصص: قصَّ تتبَّع الأثر بلا زيادة، أو نقصان. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السّورة.

﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: عبرة: مشتقة من عبور النّهر، الانتقال من شاطئ إلى شاطئ؛ أيْ: تذكرة وعظة، أو الدلالة التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم.

﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: الصّفوة من المؤمنين ذوي العقول النيّرة.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: ما: النّافية لكلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ ما كان القرآن حديثاً يُفترى: الحديث هو الخبر قليله وكثيره؛ القرآن ليس أخبار كاذبة مختلَقة.

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿تَصْدِيقَ﴾: تصديقاً مؤيداً مطابقاً لكلِّ ما جاء في الكتب السّماوية السّابقة من الأصول الصحيحة.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفصيلاً لكلّ ما يحتاجه البشر من الشّرائع، والأحكام، وأمور الدِّين، والحلال، والحرام، والأمر، والنّهي في حياتهم الدنيا ومعيشتهم.

﴿وَهُدًى﴾: مصدر هداية، أو هو الهدى، والهادي للحق، والصّراط المستقيم.

﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: رحمةً يجلب لهم ما يسرُّ، ويدفع عنهم ما يضرُّ، وعلاجاً لمن وقع في المعصية، والوقاية من الشّرِّ، أو الوقوع في المعصية.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ يستفيد منه القوم المؤمنون خاصَّة.

❖❖❖

سُورَةُ الرَّعْدِ

ترتيبها ١٣ | آياتها ٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

ثلاثة أرباع الجزء ٢٥

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ
جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

سورة الرعد [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٣)، وفي النّزول (٩٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿الٓمٓرۚ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾: تلك: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ علو منزلة الكتاب، والآيات الآتية، أو الّتي سبقتها، أو الكل، وتفيد الكثرة.

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: القرآن، وسمّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في الأسطر. ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة، وأل التعريف: تفيد التّعظيم، وتعني: الكتاب التّام.

﴿وَٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول، ويعني: الكتاب.

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: أنزل إليك دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا ليلةَ القدر.

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل عليك، ارجع إلىٰ سورة البقرة، الآية (٤)؛ للبيان.

﴿مِن﴾: من: ابتدائية.

﴿رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: أي: الخالق، المربي، المدبر، المحيي، المميت، الرزاق؛

أي: القرآن، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: القرآن المحفوظ من التحريف، والتبديل.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾: هو عطف العام علىٰ الخاص (وهو الآيات).

ولا ننسىٰ نهاية سورة يوسف آية (١١١) كيف وصف القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

خمس صفات للقرآن، وبدأ سورة الرعد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ أضاف إلىٰ الخمس صفات صفة أخرىٰ: أنه الحق.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: لكن: حرف استدراك.

﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لا يؤمنون بالله تعالىٰ، ولا بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

ولو نظرنا إلىٰ ترتيب النّزول؛ فقد نزلت سورة يوسف قبل سورة الرعد (انظر في ترتيب النّزول)؛ ففي نهاية سورة يوسف قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾، وبداية سورة الرعد: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ انظر التشابه بين نهاية سورة يوسف مع بداية سورة الرعد.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾:

وكيف لا يؤمنون بالّذي أنزل إليك الحق؟! والّذي رفع السّموات بغير عمد، والّذي سخر الشّمس، والقمر، والّذي يدبر الأمر، والّذي مد الأرض،

وجعل فيها رواسي، وأنهاراً، ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، ويغشي اللّيل النّهار، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: الله: اسم علم على واجب الوجود، يتضمن كلّ أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي: مرفوعة بأعمدة؛ حقيقة قوية جداً؛ نحن لا نراها؛ أي: رفع السّموات بعمد، نحن لا نراها بالعيون؛ لكونها خفية. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؛ أي: سبحانه خلقها أولاً، ثم رفعها بعد أن خلقها.

﴿عَمَدٍ﴾: جمع: عماد، ومفردها: عامود، وهذه الآية كأنّها تتمة للآية (١٠٥) من سورة يوسف: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، وفي هذه الآية: رفع السّموات بغير عمد ترونها.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: كلام إخباري.

﴿تَرَوْنَهَا﴾: الهاء: تعود إلى العمد؛ فهو سبحانه رفع السّموات بعمد، وهذه العمد مختفية لا نراها، وتمثل القوى الأربع، وهي:

١ - القوة النّووية الشّديدة أقوى القوى.

٢ - القوة النّووية الضّعيفة.

٣ - القوة الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).

٤ - قوة الجاذبية، وهي أضعف القوى المعروفة.

ويجب أن نفرق بين قوة الجاذبية (قوة الجذب للمادة الدّاخلة في تركيب

جسم ما (موجات الجاذبية الداخلية) الّتي تتبادل الجذب مع جسم آخر (موجات الجاذبية الخارجية).

فهناك قانونان كقانون الجاذبية: الّذي يشد، أو يربط النّجم الأصغر إلى الأكبر، وقانون الطرد المركزي: الّذي يدفع الجرم الأصغر من الأكبر، وعندما تتساوى قوى الطرد المركزي مع قوى الجاذبية: تتحدد المسافة بينهما، وتظل ثابتة إلا بأمر من الله تعالى.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: تعني: السّموات السّبع، وكلمة السّماء: اسم جنس يشمل السّموات السّبع؛ تضم السّموات، وهذه القوى الجاذبية المختلفة بين المجرات، والكواكب، والنّجوم، والشّموس تبقى ثابتة لا تتغير رغم كونها مختلفة؛ فالكون يبقى مستقراً بفضل هذه القوى، ولا ينحرف، وهو بناء دقيق متماسك، وليس فراغاً، كما كان يُظن قديماً.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة يونس.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾: سخر الله الشّمس، والقمر سخرها حين خلقها، ودائماً في القرآن يقول: سخر بالفعل الماضي؛ لأنّ التّسخير، تمَّ سابقاً في مرة واحدة.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: تعني: ذلل الشّمس والقمر؛ ليؤديا مهمتهما، ولا اختيار لهما؛ فالشّمس، والقمر كلٌ في فلك يسبحون في المجرة الشّمسية، فهذه المخلوقات خُيرت من قبل فاختارت أن تكون مسخرة، وعندما يقول: سخر لكم، يأتي ذلك في سياق تعداد النّعم، وعندما لا يذكر: لكم، تكون في سياق الكلام عن مطلق قدرة الله تعالى.

﴿كُلّٞ يَجۡرِي﴾: كلّ: من الشّمس، والقمر. فالشمس تجري حول مركز

المجرة، وتجـري بحركة مدارية، وتجري في الفضاء نحو نجم النسـر، والقمر يجري حول الأرض وحول محوره.

﴿يَجْرِي﴾: مشـتقة من جري الحصان، أو تجري كجري الأمواج صعوداً، وهبوطاً؛ أي: بشـكل متعرج؛ تجري لمستقر لها: فسره العلماء قديماً: هو تحت عرش الرّحمن.

والتّفسير العلمي: تجري إلىٰ ما يسمّىٰ نقطة القمة الشّمسية؛ تجري بزاوية تميل (١٠ درجات) جنوب غرب نجم النّسـر، والشّـمس، والقمر، والأرض، والكواكب، والنّجوم: الكلّ يجري في المجرة، فالشـمس تتم دورة كاملة حول مركز المجرة في (٢٥٠ مليون سنة)، وتتم هزة كاملة من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل في (٦٠ مليون سنة).

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لأجلٍ: الـلام: تفيد الانتهاء والاختصاص، أو بيان العلة (التعليل) يجـري لبلوغ النهاية، والأجل المضروب للشـمس والقمر وهو يوم القيامة هذا يدل علىٰ أنّ التّسـخير سوف ينتهي، وينقطع، والتّسخير الحاصل من النّعم الدّائمة علينا، والأجل: هو يوم القيامة، عندها تكون الشّمس قد استنفدت وقودها، ولم تعد مشـتعلة، وتسـكن، وتخمد، وتنطفئ؛ أي: تفقد إشـعاعها، وتصبح بلا ضوء، وعندها ينطبق عليها قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

أمّا قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: تجري الآن إلىٰ يوم القيامة؛ حتّىٰ تنقضي مدة أجلها، والأجل: الوقت المضروب لانقضاء الشّيء الّذي حدده لها ربنا، وعندها تُبدل الأرض غير الأرض والسّـموات. ارجع إلىٰ سورة لقمان، الآية (٢٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: يصرف أمر ملكوته، وكونه، وخلقه كيف يشاء.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: أي: يأتي بالآيات بأساليب متعددة، ومواضيع مختلفة.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل؛ بالنظر في هذه الآيات الكونية الدّالة على عظمة الخالق، وقدرته، وكونها مسخرة من أجلكم.

﴿بِلِقَآءِ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام.

﴿تُوقِنُونَ﴾: اليقين: هو العلم بالحق، والعلم بأن ليس هناك غيره؛ توقنون بكمال قدرته على البعث، والحساب يوم القيامة؛ توقنون: من اليقين ومحله في القلب، واليقين درجات:

١ - علم اليقين.

٢ - عين اليقين.

٣ - حق اليقين؛ أعلاها حق اليقين. ارجع إلى سورة التكاثر، آية (٥).

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر؛ تعود على الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: مد: بسط طولاً وعرضاً؛ أي: مد قشرة الأرض؛ فالأرض كانت مغمورة بالماء كاملاً، ولم تكن هناك يابسة، ثم فجر الله قاع هذه الأرض بالبراكين الّتي ألقت بحممها تدريجياً حتّى ظهرت فوق الماء بشكل جزر تسمى الحافة في وسط المحيط، وبدأت هذه الجزر تتمدد لتشكل القارة الأم الّتي تفتتت بشبكة من الصدوع إلى قارات، ثم بدأت القارات تتباعد حتّى وصلت إلى أماكنها الحالية.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: أي: أرسى الجبال في الأرض.

﴿رَوَاسِيَ﴾: لا تعني فقط الجبال، بل الصّفائح القارية تحت المحيطات، والطبقات المركزية المكونة للأرض، والمركبة من الحديد، والنّحاس؛ فالرّواسي: تشمل الجبال البارزة فوق سطح الأرض، وتحت سطح الأرض المنغمسة في القشرة الأرضية الصّلبة، وما تحت البحار، والمحيطات، هذا التّوزيع للرواسي على الأرض؛ حتّى لا تميد؛ أي: لا تضطرب، أو تميل، وتبقى في حركة ثابتة ودائمة حول نفسها، وحول الشّمس. ارجع إلى سورة النحل، آية (١٥).

﴿وَأَنْهَارًا﴾: يرتبط تكوُّن الجبال بتكوُّن الأنهار عادة؛ لأنّ الجبال تصد الرياح الحاملة لبخار الماء؛ مما يؤدي إلى تشكل السحب الركامية، ونزول المطر الّذي يسيل إلى أسفل الجبال، ويساعد على تشكل الأنهار. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢).

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: كلمة «زوج» مفرد، والزوجان هما الذّكر والأنثى، والزّوج؛ أي: المثيل، وجعل أي خلق من كل شيء من النبات، والثمرات، والإنسان، والحيوان، وكل مخلوق زوجين؛ ليبقى وحده سبحانه منفرداً بالوحدانية.

﴿ٱثْنَيْنِ﴾: للتوكيد.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يغطي الليل النّهار؛ أي: طبقة الظّلام تغطي طبقة النّهار (الطّبقة الغازية) الّتي تضيء حين تصل إليها أشعة الشّمس حين تدور الأرض حول نفسها في كلّ (٢٤ ساعة) مرة. ارجع إلى سورة يونس، آية (٦٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: للتوكيد؛ آيات: كونية عظيمة لقوم يتفكرون.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: من التّفكر، وهو النّظر في الدّلائل الدالة على وجود الخالق، والدالة على عظمته، وقدرتــه، ووحدانيته، وأنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد، ويقدس.

[٤] ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: أي: في قشرة الأرض.

﴿قِطَعٌ﴾: بقاع مختلفة من التّربة. متجاورة: متلاصقة؛ تركيب هذه التُّرب مختلفــة؛ منها: ما يصلح للزراعــة، ومنها: ما لا يصلح (أجــدب)، والخصوبة تختلــف من موقع إلى آخر، ومــن أرض إلى أرض؛ فهناك تربــة حمراء، وتربة سوداء، وتربة رملية.

فقد بدأت قشــرة الأرض بصخور تســمى الصخور الناريــة الّتي تكونت عن طريق تبرد صهــارة مندفعة من داخل الأرض بدرجات حــرارة عالية جداً، ثم تعرضت هذه الصخور لعوامــل التعرية كالمطر، والرياح، واختلاف درجات الحــرارة، وعمل الكائنــات الحية كلّ ذلــك أدّى إلى تفتت الصخــور النّارية، وتشــكلت منها الصخور الرّسوبية عن طريق ترســب التربة، ثم بعض الصخور النارية والرسوبية انطمرت في أعماق الأرض؛ فكونت صخوراً متحولة ملتحمة

بقوة شـــديدة؛ فهذه الأنواع الثلاثة كونت قشرة الأرض؛ فكلمة قطع متجاورات إشارة إلىٰ تباين القشرة الأرضية المكونة من صخور متباينة في صفاتها المعدنية، والطبيعية، والكيميائية.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾: جمع جنة، والجنة: هي كالبستان الكثيف بالشجر، والثمر.

﴿وَزَرْعٌ﴾: الحب، القمح، والرّز، والشّعير.

﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: صنـــوان: صفة للنخيل؛ صنوان تشـــير إلىٰ المثنىٰ، والجمع. الصّنو: الفرع الّذي يجمعه مع فرع آخر أصل واحد؛ أي: تخرج نخلتان، أو ثلاث من أصل واحد، أو نخلة لها رأسان، أو أكثر، وقد نرىٰ أربعاً أو خمساً من أصل واحد.

وصنو الشّيء؛ أي: نظيره، أو مثيله، أو شجرة لها فرعان كل فرع صنو للفرع الآخر، ومن شـــجرة واحدة تخرج ثمار مختلفة الألوان، والطعوم الّتي تشير إلىٰ تباين تربة، وصخور الأرض من مكان إلىٰ مكان آخر.

﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: أي: من أصول مختلفة، وصنوان: من أصل واحد.

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: أي: رغـــم أنه يســـقىٰ بماء واحد نجدهـــا مختلفة في الثّمر، واللون، والطعم.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: مثـــل: أنواع التّمـــر المختلفة في الجودة، والطّعم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٣).

﴿يَعْقِلُونَ﴾: من: عقل الشّـــيء؛ عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، ونتائجه؛

أي: لا يفهم هذه الآيات إلا من درس وفهم هذه الحقائق بأن الله سبحانه وتعالىٰ أعطىٰ لكلّ بذرة نباتية القدرة علىٰ أن تختار أثناء نموها ما يناسبها من عناصر، ومركبات الأرض؛ لتخرج ثمار مختلفة اللون، والطعم.

[٥] ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: استئنافية؛ إن: شرطية تفيد الشّك، والنّدرة بالعجب من تكذيب هؤلاء.

﴿تَعْجَبْ﴾: الخطاب موجه إلىٰ النّبي ﷺ، وبالتّالي إلىٰ أمته، تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين، أو القول بأنّك ساحر، أو كذاب، أو مجنون، أو غيرها.

﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: أي: فأعجب من ذلك قولهم: أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد؟! أي: هم لا ينكرون أن يموتوا، ويتحولوا إلىٰ تراب، وإنما العجب إنكارهم للبعث، والحساب.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: والرسول ﷺ شرح لنا ذلك في حديث؛ قال ﷺ: «كل ابن آدم يبلىٰ إلا عظماً واحداً هو عجب الذَّنَب منه خلق، ومنه يركب يوم القيامة»؛ فقد تبين من الطب: أن الأكتودرم في الجنين تشكل كثيراً من الأجهزة، وبعد ذلك تنسحب إلىٰ نهاية العمود الفقري بعد أن تشكل العمود الفقري، وتلتحم آخر (٣) فقرات، وتشكل عظم عجب الذنب (العصعص)؛ فهو لا يبلىٰ أبداً، وقبل النفخة ـ نفخة البعث ـ ينزل الله سبحانه ماءً من السّماء؛ فينبتون كما ينبت البقل. ارجع إلىٰ سورة الروم، آية (١٩).

ولمعرفة الفرق بين عجب، عجيب، عُجاب: ارجع إلىٰ سورة ق، آية (٢).

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، واستعمال إذا ظرفية زمانية للمستقبل، وتدل على حتمية حدوث الموت، وانقلابهم إلى تراب.

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أإنا: استفهام إنكاري مشوب بالتّعجب، والنّفي.

﴿لَفِى﴾: اللام: لام التّوكيد.

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بعد البعث، والموت، والجديد: يدل على أنه كان موجوداً قديماً، ثم تجدد؛ أي: خلقوا من جديد بعد موتهم، بينما الشيء المحدث: هو الشيء الذي لم يكن سابقاً؛ أي: موجوداً ثم وجد.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: اسم إشارة، واللام: لام البعد. يشير إلى بعد انحطاطهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: جحدوا بربهم وأنكروا وجوده ونعمه، والباء: للإلصاق.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: انظر في «أولئك» الأولى، وتكرار أولئك؛ للتوكيد اللفظي، وفصل الأغلال عن النّار.

﴿ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: الأغلال: جمع غل، وهو القيد من حديد تشد به اليدان إلى العنق؛ فلا يستطيعون الالتفات يمنة، أو يسرة في النّار.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: انظر: في «أولئك» السّابقة.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: انظر: في الآية (٣٦) من سورة الأعراف؛ للبيان.

❖ ❖ ❖

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

سورة الرعد [الآيات ٦ - ١٣]

[٦] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر إنكارهم للبعث، وتكذيبهم للحساب، والجزاء؛ يذكر صفة أخرىٰ لهم هي: استعجالهم بالعذاب؛ فيقول:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الاستعجال: أن تطلب الشّيء قبل حلـول، أو مجيء زمنه، ولكلّ غاية زمن فإذا حاولـت أن تصل إليها قبل زمنها؛ فهذا استعجال.

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والسّيئة هنا: العقوبة، والعذاب، وتعريفها: كلّ ما يسيء للنّفس بشكل عام؛ فهم يستعجلون بالعذاب؛ أي: أن يُنزل عليهم؛ لأنّهم ينكرون وقوعه، ولا يؤمنون بالبعث، ولا بالعذاب في الآخرة، ولا بالرّسل، ولا بجنة، ولا بنار، أو أي: إنذار.

﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: إنّ أي إنسان عاقل يستعجل للحصول علىٰ الحسنة أوّلاً؛ فهم؛ لفسـاد عقولهم، وعدم إيمانهم عكسـوا الآية؛ فطلبوا السّيئة قبل الحسنة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الحسنة.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: خلت: مضت وسبقت.

﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: العقوبات، جمع مَثُلة: وهي العقوبة الفاضحة الّتي تنزل بالإنسان بسبب جريمته؛ سميت مَثُلة: لكون العقاب يماثل الجريمة، أو العقاب على قدر الجريمة، أو سميت مَثُلة؛ لأنّ صاحب الجريمة بعد عقوبته يصبح عبرة لغيره، فيرتدع الغير به؛ أي: مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين، فلماذا لم يرتدعوا ويعتبروا، ويخافوا؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: وإنّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ لَذُو﴾: لذو: اللام: للتوكيد، والتّعليل.

﴿مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ﴾: أي: مالك المغفرة، أو القادر على أن يغفر أو لا يغفر؛ أي: يستر ذنوبهم، ولا يعاقبهم عليها؛ يغفر لهم، ويثيبهم على حسناتهم رغم ظلمهم إذا تابوا وأنابوا إليه. وإذا قارنا لذو مغفرة مع قوله تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] تعني: المستحق لأن يكون صاحب المغفرة.

﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: جاء بعلى: للاستعلاء؛ أي: أن ظلمهم يقتضي العقوبة، ولكن رحمة الله ومغفرته بهم أنه يؤخر عنهم العذاب؛ لعلهم يتوبوا وينيبوا إليه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لشديد: اللام: للتوكيد؛ لشديد العقاب: كما هو لذو مغفرة. ولمعرفة معنى العقاب: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٦).

[٧] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ﴾: لولا: أداة حض، وجاء بالفعل المضارع بدلاً من قالوا؛ ليدل على تكرار قولهم، وتجدده؛ فهم لم يكفُّوا عن مثل هذا السّؤال بعد.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أي: معجزة للدلالة على نبوته ﷺ، وصدق ما يُخبر به. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٧) من نفس السورة وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: لا يعني هذا تكرار للآية، وإنما هناك اختلاف فالآية (٧) يطلبون آية تدل على نبوة الرسول ﷺ، وأما الآية (٢٧) هم يطلبون؛ أي: آية تهديهم وتدلهم إلى الهداية الخاصة؛ هداية قلوبهم، ولذلك جاء الرد: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: ليكن هذا هو الرّد على طلبهم.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر، والتّوكيد. أنت فقط منذر، والإنذار: هو الإعلام مع التحذير، وهو الإخبار بشيء يجب القيام به، أو الابتعاد عنه؛ أي: أنت منذر، وليس المسؤول عن الإتيان بالآيات، ولم يقل منذر، ومبشر؛ لأنّ سياق الآيات في الّذين كفروا بالبعث، واستعجلوا العذاب؛ فليس هناك ما يبشرهم به.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: نبيٌّ يهديهم إلى الحق، وإلى ربهم، أو لكلّ قوم هاد، وأنت منذر، وهاد لكلّ قوم؛ يهدي إلى دين الله، والصّراط المستقيم.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص، والقوم: الجماعة، أو الأمة، وطلبهم أن يُنزل عليك آية إنما هو للتعجيز، ولو جاءتهم كلّ آية ما كانوا ليؤمنوا بها، ولطلبوا غيرها.

[٨] ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾:

بعد أن ذكر سبحانه إنكار الّذين كفروا للبعث، واستعجالهم بالعذاب، وطلبهم إنزال آية على رسوله ﷺ، يورد سبحانه الأدلة على أنّ علمه محيط بكلّ شيء؛ فهو يعلم ما يخفون في أنفسهم مثل إنكار البعث، ويعلم بحالهم، وبما طلبوا من استعجال العذاب، وإنزال آية وغيرها؛ فهو يعلم كلّ ذلك، ويعلم كذلك:

﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي تحمل كلّ أنثى، أو مصدرية: ما تحمل كلّ أنثى ذكراً، أو أنثى، جنيناً واحداً، أو أكثر، وهل الجنين تام النّمو، أو مشوه، والأنثى من كلّ جنس الإنس، والجن، والحيوان، والنبات.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾: بالوضع، والإسقاط، والولادة قبل تسعة أشهر، ونقص وزن الجنين.

﴿تَغِيضُ﴾: من غاض؛ أي: نقص؛ أي: تنقص وتحمل سبعة، أو ثمانية أشهر بدلاً من تسعة، أو تسقط، وتشمل كلّ الأرحام.

﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: بعدد الأجنة، وزيادة وزن الجنين، وما تزداد بالوضع بعد (تسعة أشهر)، وما تحملُ كلٌّ: بالضم، ولم يقل: كلَّ بالفتح؛ لأنّ هناك من الإناث غير حامل؛ أي: متزوجة، أو متزوجة وغير حامل، أو في سن اليأس، أو لم تبلغ سن البلوغ، ولو قال: كلَّ: لكان يعني: كلّ الإناث حوامل.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: ولم يقل: كلَّ: لو قال: كلَّ: لكان يعني ذلك:

أنّ كلّ شـــيء خلقه في الكون كان بمقدار، مع العلم أنّ هناك أشـــياء خلقها بغير مقدار، والمقدار يعني: الكم؛ مثل: الوزن، والحجم.

[٩] ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾: عالم: اســـم فاعل من علم، لا يغيب عن علمه شـــيء في الأرض، ولا في السّـــماء، لا العالم الظّاهر المشهود يغيب عن علمه، ولا العالم الخفي المســـتتر عن العيون، والحواس، والمدركات؛ فهو أيضاً علام الغيوب؛ يعلم ما يعمله كلّ مخلوق، وما يجري في كونه.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيم الشّـــأن؛ أكبر من كلّ شيء، وأعظم، وأجَلُّ من كلّ شيء، الّذي يصغر كلّ شـــيء أمام عظمته وكبريائه، وكلّ شيء بالنّسبة له صغير، وأكبر من أن تدركه العقول، والحواس.

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: علو الذّات، والصّفات؛ المتعالي على عرشه؛ المستعلي على كلّ شيء بقدرته، وســـلطانه، وعظمته، وكبريائه؛ المتعالي عن الولد، والشّريك، والنّد، والنّظير؛ علو المكانة، والقدر، والقهر.

[١٠] ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾:

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم ﴾: أي: عالم الغيب والشهادة؛ يستوي عنده سبحانه من يسرُّ بقوله، أو يجهر، أو يختفي من الناس، أو يظهر.

﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: ابتدائية اســـتغراقية تشمل كلّ واحد؛ سواء أسر قوله، وأخفاه، أو جهر به وأعلنه.

﴿وَمَن﴾: تكرار للتوكيد.

﴿مُّسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ﴾: وراء جدر، أو في ظلام، أو متوار عن أعين النّاس.

﴿مُّسْتَخْفٍ﴾: اسم فاعل من: استخفى على وزن مستفعل؛ أي: مبالغ في الاختفاء.

﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: أي: ذاهبٌ في سربه؛ أي: في طريقه، ويراه كلّ واحد، أو ظاهر ماشي في ضوء النّهار، والباء: ظرفية؛ تعني: في النّهار. وتكرار من ثلاث مرات يفيد التّوكيد، وفصل كلّ حالة عن الأخرى.

[١١] ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: للإنسان؛ اللام: لام الاختصاص، والهاء: تعود للإنسان.

﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: ملائكة يتعاقبون عليه بالليل، والنّهار؛ لحراسته، وكتابة أعماله، وحفظه من المضار، ومراقبة أحواله، والتّعقيب: العود بعد البدء، وسميت الملائكة معقبات؛ لأنّهم يعودون عليه المرة بعد الأخرى؛ ملائكة في الليل تعقب ملائكة النّهار، ويسمون الحفظة، وقيل: اثنان بالنّهار، واثنان بالليل. ومعقبات: هذه التّاء ليست تاء التّأنيث، ولكنها تاء المبالغة، وأصلها: مَلَك معقِب.

﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: من أمامه، ومن خلفه؛ أي: يحرسونه من أمامه، ومن خلفه.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: يحفظونه: يحرسونه، وقيل: يحفظونه من السّوء، ومن كلّ ما يضر به؛ أي: يحفظونه بأمر صادر من الله سبحانه، وبإذنه.

﴿مِنۢ﴾: للابتداء، وليس كما يظن البعض يحفظونه من قدر الله، وقضائه، حتّىٰ إذا جاء أمر الله، أو قدر الله وقضاؤه، خلّوا بينه وبين أمر الله؛ فهم لا يعارضون أمر الله وقدره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: إنّ: للتوكيد؛ لا: النّافية للجنس تشمل كلّ الأزمنة.

﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من نعمة، وصحة، وأمن، أو من فقر، ومجاعة، وضنك العيش.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من الكفر، والجحود، والمعاصي، والفساد، أو الإيمان.

﴿وَإِذَآ﴾: ظرف للزمن المستقبل متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾: مثل العذاب، أو البلاء، أو الهلاك، أو صيحة، أو زلزلة، أو خسف.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ لا: نافية للجنس.

﴿مَرَدَّ لَهُۥ﴾: أي: لا يرده، أو يمنع وقوعه أيُّ شيء حتّىٰ الملائكة المعقبات وغيرها.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: وما: للنّفي، وما لهم من دون الله؛ أي: غير الله.

﴿مِّن﴾: استغراقية تستغرق كلّ وال (ناصر معين حافظ مانع)، وتفيد

التّوكيد، ونظير هذه الآية هي قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء، الآية (٤٢): ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾؟ الجواب: لا أحد.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي﴾: هو: ضمير يفيد التّوكيد؛ الّذي: اسم موصول.

﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: يريكم: رؤية بصرية.

﴿الْبَرْقَ﴾: الّذي ينشأ عن اصطدام السّحب الرّكامية المشحونة بالشّحنات الكهربائية الموجبة، والسّلبية، وبسبب اختلاف أحجام هذه السّحب، وبالتّالي محتواها من الشّحنات الكهربائية يحدث التّفريغ الكهربائي الّذي يؤدي إلىٰ تمدد الغلاف الغازي في منطقة التّفريغ؛ فتحدث الأصوات الرهيبة للرعد نتيجة تغيرات الضغط، والتّمدد، ودرجات الحرارة العالية، وهذا البرق الّذي يدوم بين جزء من (١٠٠) جزء من الثّانية، أو جزء من (١٠٠٠) جزء من الثّانية، ويحمل ما بين (١٢،٠٠٠) إلىٰ (٢٠٠،٠٠٠) أمبير، وتؤثر الصّدمة الكهربائية النّاتجة عن البرق إلىٰ إصابة الجهاز العصبي، والقلبي، واحتراق الجلد، وصعوبة في التّنفس؛ وقد يؤدي إلىٰ صعق المصاب، والموت، إذا لم يسعف.

أمّا ما يدفع إلىٰ الخوف من البرق؛ مثل: حصول الحرائق، وإتلاف الحرث، والزرع، وحدوث الصدمات الكهربائية التي تزهق أرواح بعض الناس، وأمّا ما يدفع إلىٰ الطّمع الشّديد عند رؤية البرق هو الغيث، وبالتّالي الحرث، والزّراعة، والفواكه، والثّمرات.

وكذلك البرق حين يحدث يؤدي إلىٰ أكسدة كثير من عناصر الغلاف

الغازي للأرض؛ فالنتروجين يتحول إلىٰ أكسيد النتروجين، وإلىٰ أكسيد الكربون، وأكسيد الكبريت؛ هذه الأكاسيد تذوب في الماء النازل؛ فتزيد خصوبة الأرض، وما يصاحب ذلك من خير في الزرع، والثمار.

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: أي: السّحب الرّكامية المملوءة بالمطر الشّديد. وهناك السحب الطباقية القريبة من سطح الأرض ويكون سمكها قليلاً، ولا تؤدي إلىٰ المطر، وأما السحب الركامية الّتي كالجبال، ووزنها بالأطنان، ومع ذلك تحملها الرياح، وتتشكل من اصطدام السحب المختلفة في شحناتها الكهربائية؛ مما يؤدي إلىٰ ارتفاعها إلىٰ أعلىٰ مما يؤدي إلىٰ تبردها، وتزداد الرطوبة فيها، وبخار الماء، وحينما تصل إلىٰ حد ما تتراكم علىٰ الجانبين؛ حيث تقل قوة الدفع من أسفل، ولا تعود قادرة علىٰ رفعها أكثر من ذلك؛ فتتكون السحب الركامية الّتي تشبه تضاريس سطح الأرض. ارجع إلىٰ سورة النور، آية (٤٣).

والرعد، والبرق يصاحب السحاب الثّقال فقط؛ أي: السحب الركامية.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾:

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾: التّسبيح: هو تنزيه الله سبحانه عن بقية الذّوات، وصفاته عن باقي الصّفات، وهو منزه عن الأغيار، وعن الولد، والشريك، والنّد، والمثيل، وعن كلّ نقص، وعيب.

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: تسبيحاً مصحوباً بالحمد، الباء: للإلصاق، والمصاحبة.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]؛ بما في ذلك النباتات، والجمادات، والحيوانات، وبعض النّاس؛ فكل هذه النباتات، والجمادات، والحيوانات تسبح بحمد ربها، ولها لغة خاصة تتكلم مع بعضها البعض.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: يسبحون كذلك.

﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: من: تعليلية.

﴿خِيفَتِهِۦ﴾: الملائكة يخافون الله من الرّعد المصحوب بالصّواعق، والخوف ليس على أنفسهم، ولكن يخافون على النّاس؛ لأنّ الملائكة حفظة للناس، ومن وظائفهم أيضاً أنهم يستغفرون للذين آمنوا؛ سورة غافر، الآية (٧)، ويخافون ربهم مخافة إجلال، ومهابة.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: نار تحدث من كهربة السّماء، وكهربة الأرض، عندما تتقارب السّحب من الأرض تنشأ هذه الصّواعق؛ جمع: صاعقة؛ الناتجة من تفريغ الشّحنة الكهربائية السّماوية في الأرض؛ مما يؤدي ـ أحياناً ـ إلى صاعقة تحرق كلّ ما تقع عليه بما فيها الغابات، والمنازل... وغيرها.

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ تشمل كلّ من يشاء.

﴿مَن﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

أسباب النّزول: كما ذكر الواحدي، عن ابن عباس ﷺ، والطّبري قيل: نزلت هذه الآية في أربد بن قيس، وعامر بن الطّفيل حين حاولا قتل رسول الله ﷺ،

فأمّا أربد: فأرسل الله عليه صاعقة (ناراً من السّماء)؛ كالبرق فصعقته، وأحرقته، وأمّا عامر بن الطّفيل: فأصيب بالغدة: التهاب غدة في عنقه فهلك، ومات بسرعة.

وقيل: نزلت في رجل من طواغيت العرب، أرسل رسول الله ﷺ رسولاً يدعوه إلىٰ الإسلام، والإيمان؛ فقال: أخبروني ما الله؟ أمن ذهب، أم من فضة، ونحاس؟ وعاد الرّسول إلىٰ رسول الله ﷺ يخبره بما قال ذلك الطّاغوت؛ فأرسل إليه ثانية، وثالثة، فرفض، فأرسل الله عليه ناراً فهلك؛ هذا ما رواه الطّبري، عن علي، وقاله مجاهد.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾: في شأن التّوحيد، والبعث، والملائكة، والولد، والبنت، والشّريك، وشأن الله تعالىٰ؛ هل هو من ذهب، أو فضة، أو ينكرون القرآن، ويكذبون رسول الله ﷺ.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: المحال: مشتقة من الحول، والحول يعني: القدرة علىٰ التّصرف، أو المحال مشتقة من الحيلة (المحال؛ أي: الكيد)؛ شديد الكيد، وهو التّدبير الخفي بالمكايدة، وشديد المحال: شديد الأخذ، أو شديد العقوبة؛ شديد القوة، والانتقام، وشديد المحال: يضم كلّ تلك المعاني؛ أي: يخبر الله سبحانه أنّه أقوىٰ منهم، وأشد حيلة، وقوة، وتصرفاً؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا حائل عن المعاصي إلا الله، ومن رحم، ولا قوة علىٰ الطّاعات إلا بالله، والاستعانة به، والتّوكل عليه سبحانه العليّ الكبير.

❖ ❖ ❖

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

سورة الرعد [الآيات ١٤ - ١٨]

[١٤] ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: له خاصة دعوة الحق، وهي: لا إله إلا الله، أو:

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: الحق: هو الله، وكلّ دعاء إليه وحده بدون إشراك هو دعاء الحق، ومن يدعو غير الله؛ فقد دعا غير الحق، أو دعا باطلاً، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير؛ أي: هو وحده تعالىٰ الّذي يُدعىٰ الحق، والقادر علىٰ الاستجابة.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الّذين: اسم موصول.

﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: من دون الله؛ من غير الله، أو سوىٰ الله؛ مثل: الآلهة، والأولياء، والملائكة، والأنبياء.

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾: لا: النّافية.

﴿بِشَىْءٍ﴾: الباء: للإلصاق، وشيء: نكرة تعني: أي شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً؛ أي: لن تساعدهم بشيء مهما كان نوعه، بل تخيِّب من يدعوها.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: إلا: أداة حصر؛ الكاف: للتشبيه؛ أي: كمن هو عطشان فيرفع يديه، ويبسطهما إلىٰ الماء، وهو بعيد عن الماء، أو واقف أمام الماء طالباً وصول الماء إلىٰ فمه، فالماء سائل لا يحس بدعاء العطشان،

وبحاجته إلىٰ الماء، سواء بسط كفيه، أم لم يبسطهما، ولا يبلغ فاه، وهذا هو حال الّذين يدعون من دون الله؛ كالأصنام، أو الاحتمال الثّاني: أنّ العطشـــان يحاول أن يغرف الماء بيديه ليشـــربه، وهو باسط كفيه في الماء؛ فيرفعهما من الماء، ولا يعلق بيديه أي ماء، وهذا مستحيل؛ لأنّ الماء يزول بعد رفع الكفين إلىٰ الفم.

﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾: ليبلغ فمه، اللام: لام التّعليل.

﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾: ما: النّافية.

﴿هُوَ﴾: تعود علىٰ الباسط كفيه إلىٰ الماء، أو «هو» تعود علىٰ الماء؛ أي: لا الماء يبلغ فاه، ولا هو ببالغه.

﴿بِبَٰلِغِهِۦ﴾: الباء: للتوكيد؛ ببالغه: بالغ فاه ليشربه، أو هو شاربه.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الواو: واو الحال، أو التّوكيد؛ ما: النّافية.

﴿دُعَآءُ﴾: الدعاء: هو الطلب والســـؤال والحث علىٰ الاستجابة وقد يعني العبادة، وما دعاء الكافرين المشركين الضّالين إلا في ضلال.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾: في: ظرفية.

﴿ضَلَٰلٖ﴾: ضياع، وخسران؛ أي: وما دعاء، أو عبادة الكافرين لهذه الأصنام وكل شيء من دون الله في الحقيقة إلا باطل، وضياع.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور: لفظ الجلالة يفيد الحصر.

﴿يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: السجود: إما أن يكون سجوداً حقيقياً، وإما يعني الخضوع، والانقياد.

﴿مَن﴾: هي للعاقل؛ أي: تشمل كلّ عاقل في السّموات، والأرض من الملائكة، والإنس، والجن؛ فهؤلاء يسجدون طوعاً؛ أي: بإرادتهم، وهذا يسمّى سجود الطوع؛ أي: الاختيار، أو كَرهاً: بفتح الكاف؛ أي: عدم القبول والرضا، وقد تعني: الإجبار، ولو قال كُرهاً: بضم الكاف تعني: الرضا والقبول، ولو كان فيه تعب ومشقة كما هو الحال في حالة الحمل فالمرأة رغم مشاق الحمل هي راضية، بل فرحة بالحمل، أما كَرهاً: مثل ترك الديار والهجرة بسبب الاضطهاد والتعذيب، وإذا كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد؛ مثل: إصابتهم بالأمراض العديدة، والكوارث، والمصائب؛ فهم خاضعون لحكم الله تعالى؛ فالكافرون، والمشركون: يسجدون سجود الخضوع، والانقياد؛ أي: سجود الكره.

﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾: الواو: واو العطف عطف الظلال (غير العاقل) على العقلاء فسقوط ظلالهم على الأرض رغم امتناعهم عن السجود يعتبر من عظمة قدرة الله تعالى فظلالهم تسجد بالغدو: أوّل النّهار، والآصال: ما بين العصر، والمغرب. وأما عطف غير عاقل على العاقل، أو بالعكس نجده في بعض الآيات ربما للتغليب أو ربما للجمع.

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾: الظّل: هو الخيال المقابل للشمس الّذي يظهر للشيء المادي القائم، وظلالهم تسجد طوعاً، وكرهاً، أو تخضع لمشيئة الله بالامتداد، والتّقلص، والفيء، والزّوال.

فأشـــعة الشّمس أغلبها لا يُرىٰ كالأشعة السينية، وغاما، وما فوق الحمراء، وتحت الحمراء، وأشعة الراديوم... وغيرها.

ومن أشعة الشّمس حزمة صغيرة تســمّىٰ حزمة الضوء المرئي الغير قادرة علىٰ اختراق الأجسام الصلبة، ولذلك بسببها تتكون الظلال، أما الأشعة الأخرىٰ: فهي قادرة علىٰ اختراق الأجسام الصلبة، وهذه الحزمة حزمة الضوء المرئي: هي سبب تشكل النهار، وتشــكل الظلال، والظل: يتحرك فحين تشرق الشّمس من المشرق، يتحرك مع حركة الأرض؛ فحركة الظل يخبرنا ربنا أنها صورة من صور العبادة، والسجود لله؛ أي: من مظاهر الخضوع.

[١٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: اسأل يا محمّد ﷺ المشركين، أو الكافرين: من رب السّموات، والأرض.

﴿مَن﴾: اســتغراقية اســتفهامية؛ تفيد الإلزام. الرّب: هــو الخالق، المدبر المتولي، الرّزاق.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: جاءت الإجابة من الله، ولم يترك الإجابة؛ لتأتي منهم، ومجيء الإجابة من الله أشــد وأقوىٰ، ولتكون حجة عليهم، والسّؤال هنا يتضمن معنىٰ التّوحيد.

وفي سورة الزّخرف: جاءت الإجابة منهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أفاتخذتم: الهمزة للاستفهام، والتوبيخ، والإقرار؛ فإذا كان هو الله سبحانه وتعالىٰ الّذي خلق السّموات والأرض، فكيف تتخذون من دونه أولياء؛ أي: شركاء، أو آلهة، وأصناماً، وأوثاناً تعبدونهم، وتدعونهم من دون الله!

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يملكون لكم، ولا حتىٰ لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، وقدم النّفع علىٰ الضّر؛ لأنّه تقدمها قوله: ولله يسجد من في السّموات والأرض طوعاً وكرهاً، طوعاً: من الطّاعة الّتي تؤدي إلىٰ النفع، وكرهاً: من الكره الّذي يؤدي إلىٰ الضّر، وربما لكون النفس تحب النفع أولاً، وتكرار (لا): للتوكيد، وفصل كلاً من النفع عن الضر أو كلاهما معاً لا يملكون.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: هل: استفهام تحمل معنىٰ النّفي؛ أي: لا يستوي.

﴿يَسْتَوِى﴾: يتساوىٰ: يتعادل.

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الأعمىٰ: الكافر المشرك، والبصير: المؤمن الموحد.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى﴾: أم: حرف للإضراب الانتقالي، والهمزة فيها: للاستفهام، والإنكار، والتّوبيخ؛ (هل تستوي) مثل السّابقة.

﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الشّرك، والكفر، والضّلال.

﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمان.

﴿تَسْتَوِي﴾: ولم يقل: يستوي؛ لأنّه تأنيث غير حقيقي.

﴿أَمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلقوا كخلق الله؛ فتشابه عليهم خلق الله بخلق الآلهة، أو الشركاء؛ أي: اختلط الأمر، ولم يقدروا على التّفريق بين الخلقين، ولاحتجوا على ذلك، ولكنهم؛ أي: الشّركاء لم يخلقوا شيئاً، والله خالق كلّ شيء؛ فإن أقروا بذلك كان بها، وإذا لم يقروا بذلك:

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد، والحصر. خالق كل شيء: والخلق لغةً: هو التقدير، ويعني: الإيجاد من العدم أو من شيء.

﴿الْوَاحِدُ﴾: المتفرد والمتوحد بالألوهية، والرّبوبية، والصّفات، والأسماء الحسنى.

الواحد: الّذي لا يتجزأ؛ أي: لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولا شريك له، ولا ند، ولا نظير. الأحد: الّذي لا مثيل له، ولا ند، ولا شبيه. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهَّارُ﴾: القوي، الغالب الّذي قهر كلّ شيء، وذلّ، واستسلم له كلّ مخلوق؛ بالابتلاء، وبالموت، فكيف يكون له مساوياً، وهو القهار الّذي خضعت له الرقاب طوعاً، أو كرهاً. ارجع إلى سورة ص، آية (٦٥)؛ لمزيد من البيان في معنى: القهار.

لنقارن هذه الآية (١٦) من سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، مع الآية (٨٤) من سورة المؤمنون: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

السّــؤال في آيــة الرّعد عن التّوحيد، أو في ســياق آيــات التّوحيد، فجاء الجواب: قل الله الواحد القهار.

السّــؤال في آية المؤمنــون عن المُلك، وليس التّوحيــد، بل عن الملكية، والمالك، سؤال من يملك السّموات السّبع، والعرش؟

الجواب: سيقولون لله.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الملكية؛ فكلّ استفهام له غرض معين.

[١٧] ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أنزل ســبحانه من السّحاب: المتشكل من بخار الماء المتصاعد من الأرض، والبحار، والمحيطات ماء (أي: مطراً).

فحين ينزل الماء من السّــماء بشــدة يشق قشــرة الأرض؛ ليكون الأنهار، والجداول، وحين نزوله يفتت صخــور الأرض، وأثناء هبوطه نجد أن المعادن الثقيلة تترسب أولاً، والأشياء الخفيفة تبقى على السطح؛ فبذلك نستطيع التنقيب عن الذهب، والفضة، والنحاس... وغيرها، وما يبقى على السطح هو الغثاء؛ أي: الأشياء الّتي لا قيمة لها، وبذلك يتمكن الإنسان من الاستفادة من معادن الأرض مثل: الذهب الّذي يدخل في أفران ذات حرارة عالية تؤدي إلى انفصال الشوائب المختلطة بالذهب، ويترسب الذهب الخالص، وتطفو على السطح الشوائب.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشــرة؛ سالت: جرت أودية

جمع وادٍ، وهو المنخفض بين مرتفعين، وكلّ وادٍ يستوعب من المياه على قدر اتساعه، وهذا من رحمة الله.

﴿بِقَدَرِهَا﴾: قد تعني بما قدره الله أيضاً من قلة، أو كثرة في الماء، وبحسب حجم الوادي، وبما ينفع النّاس، وإلا لحدثت الفيضانات في كلّ مرة، وغرقت الأرض، والقرى، والنّباتات، والحيوانات، وهدمت البيوت.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: فاحتمل: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أي: وما أن ينزل المطر نلاحظ أن السّيل: وهو الماء المتجمع من ماء المطر المندفع الّذي يشكل سيلاً يجرف معه الفضلات، والأشياء مثل الأوساخ الّتي علقت بوجه الأرض، فكأنه يكنس الأرض، ويطهرها من الأسباب المؤدية إلى انتشار الأمراض والأوبئة.

﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾: الزّبد: هو الرغوة، والغثاء الطافي على وجه الماء من قاذورات الأرض.

﴿رَّابِيًا﴾: عالياً مرتفعاً يطفو على وجه الماء.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: ومما: الواو: عاطفة؛ مما: مركبة: من وما؛ من: للابتداء؛ تعني: البعضية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: يوقدون: الفاعل هنا النّاس؛ يوقدون عليه: لتطهيرها، وتخليصها من الشّوائب المختلطة بها.

﴿عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: من المعادن، وفلزات الحديد، والذّهب، والفضة، والنّحاس، وغيرها.

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلباً لاستخراج الذهب، والفضة المستعملة كحلية،

والحلية تعني الزينة الخارجية، والحلية جزء خاص من الزينة، والزينة تشمل الخارجية والداخلية، والزينة أعم من الحلية، وتشمل الحلية واللباس الخارجي، ولباس التقوىٰ، والزهور زينة والألوان والنجوم... وغيرها.

﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾: أو لصنع متاع؛ أي: أواني، وأدوات، وسيارات... وغيرها مما ينتفع به من الآلات، والصّناعات... وغيرها.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: أي: ينتج عن صناعتها، وتنقيتها زبد مثل زبد السّيل. والسؤال هنا: لماذا ضرب الله تعالىٰ المثل الثاني، أو لماذا أعقب المثل الأول بالمثل الثاني، أليس المثل الأول كافياً؟ ذلك لأن السؤول والفيضانات ليست مشاهدة أو معروفة لكل الناس الذين يعيشون في ناحية من الأرض ويضرب المثل الثاني يكون معظم الناس قد علم معنىٰ المثل الأول الثاني وبالتالي الحق والباطل.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: فالسّيل، والحلية، والمتاع تمثل الحق الّذي لا غنىٰ عنه، والزبد الرابي فوق السيل، أو الناتج عن تنقية المعادن؛ مثل: الذهب، والفضة، والنحاس، والصناعة: هو يمثل الباطل الّذي لا قيمة له، ويجب التّخلص منه.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: تدل علىٰ مراحل لم تذكر؛ فأعقبها بالفاء؛ أما: شرطية، وتفصيلية.

﴿ٱلزَّبَدُ﴾: أو الباطل.

﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: أي: يزول بعد الاحتكاك بجوانب الوادي، ويضمحل، ويزول، وأمّا الزّبد النّاتج عما يوقدون عليه في النّار: يُرمىٰ، ويُطرح، ويتخلص منه كذلك، ولا يستفاد منه بعد عملية التّصفية، والتّطهير.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: أمّا: تفصيلية، وشرطية.

﴿مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من الماء (السّيل)، والمعادن المصفاة.

﴿فَيَمْكُثُ﴾: يبقىٰ في الأرض، وينتفع به أهل الأرض؛ مثل: الحديد، والذّهب، والفضة، والنّحاس... وغيرها من المعادن.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: كذلك يضرب: ليس بتكرار للأولىٰ، فالأولىٰ للحق والباطل، والثانية: لبقية الأمثال، وأيضاً سببه جملة الاعتراض عاد للتذكير؛ أي: أنّه سبحانه كما بين لكم الأمثال السّابقة بين الحق، والباطل؛ كذلك يبين الله الأمثال الأخرىٰ الّتي تحتاج إلىٰ بيان. والأمثال: جمع مثل، والمثل: هو تشبيه حال بحال أخرىٰ، أو شيء حسي بشيء معنوي؛ لإيضاح الأمور المشتبهات، ولإزالة غموض الإجمال.

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾:

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الّذين استجابوا لربهم، وللكافرين الّذين لم يستجيبوا له.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: الّذين: اسم موصول يفيد المدح، والتّعظيم، استجابوا لربهم بالطّاعة، والإيمان، وتجنب المعاصي.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة؛ مؤنث: الأحسن إشارة إلىٰ حسن الثواب، والحسنىٰ: اسم من أسماء الجنة، أو صفة للجنة، وكقوله: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٧].

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾: الّذين: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾: لم يستجيبوا لدعوة الله، والإيمان، وهم الكفار، والمشركون.

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾: لو: شرطية.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام التّملك (الملكية)، والاختصاص.

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي في الأرض من مال، وكنوز، وخيرات.

﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾: جميعاً: للتوكيد، ومثله معه؛ أي: ضعف ذلك، ولا يوجد إنسان يملك ما في الأرض، ولا نصفها، أو ربعها.

﴿لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾: اللام: لام البدل، أو التّعليل؛ افتدوا به: لقدموه فداءً لأنفسهم من العذاب، ولو حدث ذلك ـ وهو من المستحيل ـ فلن يقبل منهم دلالة علىٰ بؤس حالهم في الآخرة، أو مصيرهم البائس. ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٣٦) من سورة المائدة هي قوله تعالىٰ: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ لوجدنا: لافتدوا به (فعل ماض) ليفتدوا به (مضارع)؛ المهم هنا لو الشرطية؛ أي: آية الرعد جوابها: افتدوا به، ولو الشريطة في آية المائدة جوابها: ما تُقبل منهم؛ فيكون النسق علىٰ التالي: آية الرعد أولاً (لو افتدوا به)، ثانياً: آية المائدة (ما تقبل منهم)، وأما (ليفتدوا به) في آية المائدة هي للتعليل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلىٰ سوء المنزلة، والمكانة، والمصير.

﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: لا يغفر لهم، ولا تقبل لهم شفاعة، ولا فداء، ولا يتجاوز لهم عن سيئة، وما قدموه من عمل صالح يصبح هباء منبثاً.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: الواو: عاطفة مقارنة بـ(ثم مأواهم)، ثم: التي تدل على التراخي في الزمن، كما ورد في سورة آل عمران آية (١٩٧) (ثم في هذه الأحاديث في سياق الحياة الدنيا)، وأما آية الرعد: فجاءت في سياق الآخرة وليس هناك فاصل زمني؛ المأوى: اسم مكان من: أوى يأوي، والمأوى: المنزل، أو المكان الّذي يأوي إليه للراحة والإقامة، وفيها معنى: الضّم، ووردت في سياق الجنة، أو النّار.

﴿جَهَنَّمُ﴾: جهنم: اسم من أسماء النار، وللنار أسماء كثيرة ورد ذكرها في القرآن؛ منها: جهنم (ورد ذكرها ٧٧ مرة).

الجحيم (٢٥) مرة.

لظى (١) مرة.

والسعير (٨ مرات، وسعيراً ٨ مرات).

وسقر (٤ مرات منها ٣ في سورة المدثر).

والحطمة.

والهاوية.

وكل واحد من هذه الأسماء هو اسم علم للنار كلها.

والنار: درجات، وقيل: دركات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

ولها سبع أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤].

وجهنم: تعني: بعيدة القعر، شديدة الغضب، منظرها مستنكر وكريه.

وأما الجحيم: تعني: النار المتأججة، شديدة التأجج والاضطراب لا يمكن السيطرة عليها.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: بئس: فعل من أفعال الذّم؛ مثل: ساء وقبح.

﴿ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش؛ شبه ما تحتهم من النّار بالمهد المريح الّذي يُعد للطفل الوليد؛ للتهكم، والتقريع بهم.

❖ ❖ ❖

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

سورة الرعد [الآيات ١٩ - ٢٨]

[١٩] ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.

﴿أَنَّمَآ﴾: أن: حرف توكيد، ما: اسم موصول؛ أي: الّذي، فتكون الآية: أفمن يعلم أنّ الّذي أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟

﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: هو القرآن العظيم؛ أي: المؤمن يعلم أنّ القرآن الّذي أنزل الله على رسوله هو الحق، بينما الكافر الأعمى لا يعلم (والعمى هو عمى البصيرة، وليس عمى العين).

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: كمن: الكاف للتشبيه؛ من: للعاقل، وتشمل المفرد والمثنى والعاقل؛ هو: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أعمى: قد تعني عمى البصر، أو عمى البصيرة، وتسمى العمه، وكلاهما يعني: عدم الاهتداء للحق، وما أنزل الله، ولم يقل كمن لا يعلم، وإنما أبدل الذي لا يعلم بالأعمى؛ لأن الأعمى لا يرى ما يجري حوله فقد انتفى علمه عن إدراك الحقائق، ونفى عنه العلم بشكل عام، فكلمة أعمى تشمل من لا يعلم، وأشد وأبلغ من الذي لا يعلم، وهذا هو حال الكافر والمشرك والجاهل.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتذكر من الذّكر، وهو العلم الحادث بعد النّسيان، أو الغفلة،

وهو حضور المعنى في النّفس، فالحاجة إلى العلم ثم المحاكمة العقلية تحتاج إلى نظر وزمن طويل فيما أنزل إليك من ربك، والتذكر يضاد السهو، إنما ينتفع بالتّذكر، وضرب الأمثال، أولو الألباب الّذين وصفهم الله بالصّفات الثّمانية التّالية الّتي ذكرت في الآيات (٢٠-٢٢).

﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جمع: لب، وهو منطقة في الدّماغ موكل إليها بالتّفكير، والنّظر في الأمور والإدراك، والبصيرة، وتسمّى جهاز لمبيك.

﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: تعني: الصّفوة من المؤمنين ذوي العقول المنيرة، ومنهم: الرّسل، والأنبياء، والصّديقون، والشّهداء، والصّالحون، والصّحابة، وبعض الحكماء، والعلماء؛ فهم فئة خاصة اختاروا طريق الهداية؛ فهداهم الله، واستجابوا لله، ويفهمون ما يخاطبهم به الله. ارجع إلى الآية (١٩٧)، والآية (١٧٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾:

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: الّذين: اسم موصول يفيد المدح، وتكرار كلمة الّذين: للتوكيد، والتعظيم، والمدح.

﴿يُوفُونَ﴾: من الوفاء، وهو الإتمام، والالتزام بالعهد، وتطبيق بنوده. العهد: الوعد المقرون بشرط، والعهد يقتضي الوفاء، والوعد يقتضي الإنجاز. والعهد: اسم للجنس.

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: العهد: هو التزام، أو تكليف يلتزم به الإنسان مع الله سبحانه، أو مع إنسان آخر، أو مع نفسه؛ أي: يوفون بما أمرهم الله من التّكاليف، وما

أوجبه الله على لسان الرّسل من الفروض، وتجنب جميع المعاصي، والعهد: يضم العقود، والوعود، والمعاهدات.

﴿يُوفُونَ﴾: بصيغة المضارع الّتي تدل على التّكرار، والتّجدد، والاستمرار.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: الميثاق: هو العهد الموثق، أو المؤكد بالأيمان؛ أي: القسم، وما أوجبه العبد على نفسه كالنّذر. لا: النّافية. لا يخلون بعهدهم مع ربهم، أو المؤمنين. النّقض: التّخلي عن العهد، ورفض الالتزام به، وعدم نقض الميثاق يقرب في المعنى من الوفاء بالعهد. ويمكن القول: عدم النّقض هو تأكيد للوفاء بالعهد، أو يمكن اعتبار ذلك من ذكر العام بعد الخاص. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧)؛ لمزيد من البيان في معنى العهد، والميثاق، ولم يكرر ذكر الله فيقول: ولا ينقضون ميثاق الله؛ لأن الميثاق يشمل عهد الله وغيره.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، وتكرار «الّذين» يفيد التّوكيد، والمدح.

﴿يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: مثل: صلة الرّحم، والجار، والفقير.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: الخشية: الخوف مع التّعظيم للخالق، ومهابته مع العلم، أو الخشية: خوف، وحذر مبني؛ أي: مقرون، بعلم، وتعظيم للذي تخشاه، وفيها معنى الأمل.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: الخوف: يكون من أمر لم يقع بعد؛ أي: الخوف من العقاب المشكوك في وقوعه بسبب ارتكابهم المعاصي، والتّقصير في الطّاعات، الحساب يكون على كلّ صغيرة، وكبيرة، ووزن الأعمال.

﴿سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾: بأن لا يغفر لهم من ذنوبهم شيئاً، أو لا تقبل منهم حسناتهم، أو أعمالهم الصّالحة؛ لأنّهم أحبطوا أعمالهم، ولم يتجاوز عن سيئاتهم، ويشمل كلّ أنواع العذاب المهين، والأليم، والمقيم، والعظيم.

ما هو الفرق بين ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾، وبين ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [فاطر:١٨]؟

يخشون ربهم، أعم من: يخشون ربهم بالغيب؛ تشمل الخشية في العلن (أمام النّاس)، وفي السّر (إذا خلى بنفسه؛ أي: وحده)، وتشمل الخشية من عقابه يوم القيامة.

يخشون ربهم بالغيب؛ تعني: بالسّر فقط إذا خلى وحده، وغاب عن أعين النّاس، وكذلك تعني: يخشون عقابه القادم يوم القيامة، والعقاب أمر غيبي.

[٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾: والذين: ارجع إلى الآيات السابقة.

﴿صَبَرُواْ﴾: على الطاعات، وتجنب المحرمات، وعلى الابتلاءات، والباعث على الصبر: هو محبة الله، والتّقرب منه، وليس الرّياء، والسّمعة. ارجع إلى الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان في معنى: الصبر.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتموها بأركانها، وشروطها، وخشوعها، وأوقاتها.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾: تضم الصّدقات، والزّكاة، والعلم... وغيره من أنواع الرزق في السّر، والعلانية.

﴿مِمَّا﴾: من: البعضية؛ أي: بعض ما رزقناهم؛ ما: بمعنىٰ: الذي.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: الـدّرء: هو الدّفع بسـرعة؛ أي: بدون تأخير، والدّفع يكون بقوة، وشـدة، (والدّرء يكون بسـرعة)، أو يتبعون السّيئة بالحسنة بسـرعة، والذّنب بالتّوبـة، وكما قال سـبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، وقال ﷺ: «وأتبع السّـيئة بالحسـنة تمحها». رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي ذر. والحسـنة شـرعاً: كلّ ما يستحسنه الشّـرع، ويورث ثواباً بامتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: أولئك: اسـم إشارة، واللام: للبعد؛ لعلو منزلتهم؛ يشير إلىٰ أولي الألباب الّذين اجتمعت لهم تلك الصّفات الثّمانية، والمتأمل لهذه الصّفات يجـد أنّ بعضها جاء بصيغة المضارع، وبعضهـا جاء بصيغة الماضي؛ مثل: يوفون، لا ينقضون، يصلون، يخشـون، يخافون، يدرؤون بالحسنة السّيئة: جاءت بصيغة المضارع الّتي تدل علىٰ التّجدد، والاستمرار.

وفيها متسع من الوقت، وتؤدىٰ في زمن غير محدد.

أمّا صبروا، وأقاموا الصّلاة، وأنفقوا بصيغة الماضي فيجب تأديتها في زمن معين، محدد.

والإنفاق؛ كالزّكاة في كلّ عام، فالكلّ يعلم أنّ الصّبر: هو القاسم المشترك لكلّ تلك الصّفات الثّمانية.

وخلاصة القول: ما كان له وقت محدد عبر عنه بالماضي، وما كان مستمراً، وليس له وقت محدد، ومتكرراً، أو متجدداً: جاء بصيغة المضارع.

﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: عقبىٰ: مأخوذة من العَقِب؛ فالقدم له مقدم، وله عقب، وعقب: هو ما يعقب الشّيء، وعقبىٰ: علىٰ وزن فعلىٰ، وعقبىٰ: اسم بمعنىٰ: الجزاء، أو آخر كلّ أمر، والّذي يعقب الدّار الدّنيا: هي الدّار الأخرىٰ.

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: وما هي عقبىٰ الدّار؟ هي: جناتُ عدن يدخلونها؛ كما تشير الآية (٢٣) التالية هذه هي عقبىٰ الدّار، وكلمة عقبىٰ: وردت في خمس آيات في سورة الرّعد، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن إلّا في هذه السّورة، أمّا كلمة العاقبة؛ فقد وردت (٣١) مرة في بقية السّور.

[٢٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: العَدْن: هو الإقامة الدّائمة؛ أي: جنات الإقامة الدّائمة، دار القرار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر. أخرجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده.

بينما الدّنيا، دار الزوال، الدّار السفلىٰ.

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾: يدخلونها: بعد الحساب.

﴿وَمَن﴾: ابتدائية.

﴿صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: تعني: الآباء، والأمهات.

﴿صَلَحَ﴾: أي: آمن، وعمل صالحاً.

﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: والأزواج تعني: الزوج، أو الزوجة، أو: الذرية؛ أي: الأولاد من الذكور والإناث ما داموا اتّصفوا بصفة الصّلاح، والإيمان.

كلّ حسب طاقته، وبفضل الله سبحانه وتكرمه عليهم يلحقهم بآبائهم.

وكقوله تعالىٰ في سورة الطور، آية (٢٢): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ فالإيمان، والعمل الصّالح شرط أولي للحوق بالآباء.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: بالهدايا، وللسلام عليهم.

[٢٤] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾:

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: الباء: يمكن أن تكون باء السّببية، أو البدلية؛ أي: بسبب صبركم في الدّنيا، أو بدل صبركم في الدّنيا، وجاء الصّبر بصيغة الماضي؛ أي: انتهىٰ زمن الصّبر بانتهاء التّكاليف يوم القيامة.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: وتقديره يقولون: سلام عليكم، وسلام عليكم: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبات، والدّوام، وأقوىٰ، وأبلغ من القول: قالوا سلاماً (جملة فعلية تدل علىٰ التّجدد، والتّكرار.

وقالوا: سلام بصيغة نكرة، ولم يقولوا السّلام عليكم معرفة؛ لأنّ النّكرة: تدل علىٰ العموم، والشّمول، وتعني: التّحية، والأمان، والطمأنينة، ودوام السلامة من الموت، ومن كلّ مكروه، أو أمر غير مستحب.

أمّا السّلام عليكم بأل التّعريف: تدل علىٰ أمر معين محدد، وهو التّحية فقط مثلاً، وقد جاء بتنكير السّلام في كلّ القرآن إلا آية واحدة هي قول عيسىٰ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٣].

﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ نعم: من أفعال المدح.

﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: أي: الجنّة، كما قلنا سابقاً. ارجع إلىٰ الآية (٢٢).

[٢٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾:

المناسبة: ومقابل أولي الألباب الّذين استحقوا عقبىٰ الدّار (جنات عدن)، يذكر الّذين استحقوا اللعنة، ولهم سوء الدّار؛ فيذكر من صفاتهم ثلاث صفات:

أولاً: نقض العهد: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: وقطع صلة الرّحم. ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر، وبالظلم، والبغي، والعدوان، ويهلكون الحرث، والنسل. ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ: الفساد.

ولم يذكر شيئاً عن الخشية؛ لأنّهم لا يؤمنون بالله، وعن الخوف؛ لأنّهم لا يؤمنون بالبعث، ولا شيئاً عن الصّبر، ولا الصّلاة، ولا الإنفاق؛ ما داموا قد كفروا بالله، ولم يقدموا لأنفسهم خيراً.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم: إشارة، واللام: للبعد، ودنوّ منزلتهم.

﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص؛ أي: لهم خاصة؛ أي: كأنّ اللعنة ما خُلقت إلا لهؤلاء الّذين قاموا بنقض الميثاق، والقطع، والفساد في الأرض، واللعنة: هي الطّرد، والبعد عن رحمة الله، ونيل سخطه، وغضبه عليهم، واللعنة: اسم يدل علىٰ الثّبوت.

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: تكرار «لهم»؛ يفيد التّوكيد، وفصل كلاً من عقاب اللعنة عن عقاب سوء الدّار.

﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: سوء العاقبة، وهي: جهنم.

أمّا الفرق بين عليهم اللعنة، ولهم اللعنة:

عليهم اللعنة: تنزل عليهم اللعنة، وتحل عليهم، وعلى: تفيد الاستعلاء.

ولهم اللعنة: تفيد الاستحقاق، والاختصاص خاصة بهم؛ أي: استحقوا اللعنة.

وعليهم اللعنة؛ أي: يحل عليهم وبالها، أو عاقبتها، وهي: الطّرد، والبعد عن رحمة الله.

[٢٦] ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾:

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: الله وحده، وتقديم الفاعل: يفيد الحصر.

﴿يَبْسُطُ﴾: يوسع الرّزق، والرزق: يشمل المال، والمتاع، والعلم، والذرية، والأخلاق... وغيرها.

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: لمن: اللام: لام الاختصاص؛ من: اسم موصول بمعنى: هو الّذي يبسط الرّزق لأي عبد من عباده، وبسط الرّزق: هو ابتلاءٌ للعبد.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيق، ويُفقر من يشاء، أو يعطي الكفاية، أو الشّيء القليل لأي عبد من عباده، والتضييق أيضاً ابتلاءٌ للعبد.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: وفرحوا: تعود على النّاس بما بسط الله لهم في الدّنيا من الخيـــرات، والنّعيم، والمال، والمُلك، وبـــاء بالحياة: للإلصاق، والاهتمام. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: ومـــا: الواو: الحالية؛ تفيد التّوكيد؛ ما: النّافية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: إذا قارنا وقدرنا الحياة الدّنيا بالآخرة تكون الحياة الدّنيا حصراً، وقصراً عبارة عن متاع زائل شـــيء يُتمتع به، ثمّ يفنى، أو يزول، أو يضمحل.

لنقـــارن هذه الآيـــة من ســـورة الرّعـــد: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، ووردت هذه الآية كذلك في ســـورة الإســـراء، الآية (٣٠)، وسورة الرّوم، الآية (٣٧)، وسورة سبأ، الآية (٣٦).

مع الآية (٤٩) من ســـورة ســـبأ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، وردت هذه الآية في العنكبوت، الآية (٦٢).

ومع الآية (٨٢) من ســـورة القصص: ﴿اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾.

فآية الرّعد، والإســـراء، والرّوم، وسبأ؛ تعني: هناك إنســـان ما يرزقه الله، ويوسع عليه طوال حياته، وهناك إنسان آخر يُضيق عليه، وفقير طوال حياته، وهو في الوضع نفسه.

أمّا آية سبأ، والعنكبوت؛ تعني: هناك إنسان ما يرزقه الله، ويوسع عليه، ثمّ هذا الإنسان نفسه تتغير حاله، ويصبح فقيراً معدماً بعد أن كان غنياً.

أمّا آية القصص: فهي آية خاصة بقارون الّذي بسط الله له الرّزق، ثمّ خسف به وبداره الأرض فجأة؛ فمات، ولم يضيق له.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ﴾: ارجع إلى الآية (٧) من السّورة نفسها؛ للبيان، وفي سورة العنكبوت، آية (٥٠): ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾: إذن هم لم يكتفوا بآية واحدة، بل طلبوا إنزال أكثر من آية، وردَّ الله سبحانه عليهم: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:٥٠].

﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء:٥٩].

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٥٠].

﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧].

فالقرآن وحده يكفي لهم كآية، والله قادر على أن ينزل آية، أو آيات، ولكن كذب بها الأولون، وإذا أنزل آية، ولم يؤمنوا بها، استأصلهم الهلاك عن بكرة أبيهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: أي: إنزال آية لن يُغير مجرىٰ من ضل بنفسه، واستمر في ضلاله، وعناده، وجحد بآيات ربه؛ فالله سبحانه يتركه لضلاله، وعناده؛ ليزداد ضلالاً، وكفراً، وكذلك إنزال آية علىٰ من اهتدىٰ، وآمن؛ فلن يؤثر، ويُغير مجرىٰ إيمانه، ولكنه سبحانه يُعين هذا إذا استعان بالله، ويزيده هداية.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: بدلاً من: ويهدي من أناب إليه، وتقديم الجار والمجرور: يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده يهدي من أناب.

﴿أَنَابَ﴾: الإسراع والرّجوع إلىٰ الله سبحانه، والإقبال عليه، وليس ضرورياً أن تكون نتيجة ذنب، أما التوبة تكون صادرة عن ذنب والعزم علىٰ تركه، وعدم الرجوع إليه، والندم والإكثار من الأعمال الصالحة.

وقدم: يُضل من يشاء، علىٰ: يهدي إليه من أناب؛ لأنّ الضّالين في الأرض أكثر من المهتدين.

[٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾:

تقدير هذه الآية، وعلاقتها بالآية السّابقة؛ يهدي إليه من أناب (من: للمفرد المثنىٰ، والجمع) من الّذين آمنوا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾: أي: من أناب، هو من الّذين آمنوا، أو يهدي إليه من أناب، ويهدي الّذين آمنوا؛ أي: صدقوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تطمئن: تسكن، وتهدأ، وتأنس، وتستقر قلوبهم.

﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: وهو القرآن الكريم، وذكر الله العادي، ويشمل التّحميد، والتّسبيح، والتّهليل، والتّكبير، ويشمل الصّلاة... وغيرها؛ أي: الذّكر المطلق، أو الذّكر الخاص.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: ألا: أداة استفتاح، وتنبيه.

﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: ذكر الله سبحانه: هو سبب، أو مصدر الاطمئنان، والسّكون للقلوب، وبغير ذكر الله لا تطمئن القلوب مهما كانت الأسباب.

﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: أي: تأنس وترتاح وتهيأ، والاطمئنان ينتهي أو يؤدي إلى السكينة والاطمئنان، والسكينة مصدرها الأمن، فالأمن يؤدي إلى الاطمئنان، والاطمئنان يؤدي إلى السكينة والراحة المتجددة المتكررة.

﴿تَطْمَئِنُّ﴾: فعل مضارع يفيد التّجدد، والاستمرار.

﴿ٱلْقُلُوبُ﴾: قلوب المؤمنين، قلوب الذّاكرين والذاكرات.

وهذا يعد من الإعجاز التأثيري لسماع كتاب الله (القرآن الكريم) بفضل التّردد الصوتي للقرآن الكريم الّذي يؤثر في منطقة الشعور، وبالتّالي القلب.

❖ ❖ ❖

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

سورة الرعد [الآيات ٢٩ - ٣٤]

[٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: مصدر من الطيب من: طاب يطيب، وطوبى: قيل: اسم شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، أو يسير الرّاكب في ظلها (مائة عام)، كما في حديث رواه الإمام البخاري، وطوبى قد تعني:

- العيش الطيب لهم.
- الخير الطيب لهم.
- اسم للجنة؛ أي: الجنة لهم.
- أطيب عاقبة لهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: المآب: المرجع والمآل؛ أي: الجنة لهم طوبى، ولهم حسن مآب، أو: لهم خاصة طوبى، و: لهم خاصة حسن المآب.

[٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾: أي: كما أرسلك الله سبحانه إلى أمتك الّتي هي

آخر الأمم؛ فقد سبق أن أرسل سبحانه رسلاً إلى أممهم، أو أرسلك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة.

﴿قَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَلَتْ﴾: مضت.

﴿مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾: كثيرة؛ مثل: أمة موسى، وعيسى، ونوح، وعاد، وثمود، ومدين. والأمة تعريفها: هي جماعة من النّاس تربطها عقيدة واحدة، أو ملة، أو شريعة، ولا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي.

﴿لِتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: لتتلو: اللام: للتوكيد، أو للتعليل.

﴿لِتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ﴾: لتقرأ عليهم. ارجع إلى الآية (٧١) من سورة يونس لبيان معنى التلاوة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي: القرآن الكريم. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: أوحينا.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: وهم: الواو: للاهتمام، والتّوكيد. كفر جحود، أو كفر بنعمه، أو شرك، أو تكذيب، وإنكار. يكفرون جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد وتكرار كفرهم.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، ومثال على ذلك: لما أرادوا كتاب الصّلح يوم الحديبية، وكتب عليّ رضي الله عنه: بسم الله الرّحمن الرّحيم؛ قالوا: ما نعرف الرّحمن، أو حين قيل لهم: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠]. واختار اسم الرحمن في هذه الآية؛ لأنه هو الذي يبسط الرزق وهو المنعم وهو الرحمن رغم تجدد كفرهم واستمرارهم على الشرك.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: قل: «هو»: ضمير منفصل يفيد الحصر، والتّوكيد: ربي خالقي، ومتولي أمري، ورازقي.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا رب غيره، ولا معبود سواه. لا: النّافية؛ إله: معبود؛ إلا: أداة حصر؛ هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه وحده؛ تقديم الجار والمجرور يفيد القصر، والحصر.

﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فوضت أمري كلّه إليه وحده، أو أستعين به.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: أي: أتوب إليه، وأستغفره. ولمزيد من البيان عن التوبة: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦-١٧)، ولمزيد من البيان عن التّوكل: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩).

[٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾:

المناسبة: أنّ مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ بما معناه: سيِّر؛ أي: حرك، أو أزل بقرآنك الجبال عن مكة؛ حتّى تتسع أرضنا للزراعة، وقطّع لنا الأرض، فنزلت هذه الآية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: ولو: شرطية، وأنّ: للتوكيد، والجواب محذوف في هذه الآية، وقد جاء في سورة الأنعام، الآية (١١١) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾.

﴿قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: أزيحت عن أماكنها.

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: شققت، وجعلت قطعاً قطعاً تفصل بينها الأنهار.

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾: أي: أُحيوا، وتكلموا، وجواب لو: أي لو حدث كلّ ذلك لما آمنوا، أو لكان هذا القرآن هو القادر على أن يفعل ذلك كله.

﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل: للإضراب؛ أي: لو شاء الله سبحانه لآمنوا جميعاً، ولكن لم يشأ، أو: بل لله القدرة على كلّ شيء، والإتيان بما طلبوه، ولكن لم يشأ، أو: أنّ علمه وإرادته لم تشأ ذلك؛ له الخلق والأمر سبحانه.

﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾: أفلم: الهمزة للاستفهام، والفاء: للتوكيد (فاء السّببية)؛ ما قبلها سبب ما بعدها.

﴿يَايْئَسِ﴾: يعلم، أو يقنط، أو يتبين.

١ - أفلم يعلم الّذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى النّاس جميعاً، ولكنّه لم يشأ، بل ترك لهم الخيار.

٢ - ألم ييأس (يقنط) هؤلاء المؤمنون من إيمان هؤلاء المشركين.

٣ - أفلم يتبين للذين آمنوا أن الله قادر أن يجعل النّاس أمة واحدة؛ أي: على دين واحد، وملة واحدة، ولكنه لم يشأ؛ فهم لم يستطيعوا أن يهدوا واحداً منهم، ولو شاء الله لهدى النّاس جميعاً.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: النّافية.

﴿يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الّذين كفروا بالرّحمن.

﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾: القارعة لغة: هو أن تأتي بشيء صلب، وتضرب به شيئاً صلباً؛ فيحدث صوتاً. أو القارعة ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، شيء

مخيف مرعب غيبي، داهية، أو مصيبة، أو كارثة تقرع قلوبهم. ومن أسماء يوم القيامة: القارعة، والصاخة، والطامة، والقيامة، والواقعة، والأزفة، والحاقّة.

﴿بِمَا صَنَعُواْ﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو حرف مصدري بما صنعوا من الكفر، والشّرك، والمعاصي.

﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: تحل على رؤوسهم مثل الكوارث، والصواعق، والمصائب الجوية، أو قريباً من منازلهم.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: حتّى: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: العذاب، أو موتهم، أو يوم القيامة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: فيه معنى المكان يعودون إلى الجنة، والزّمان يوم القيامة؛ ميعاد: مشتقة من الوعد: هو زمن التّواعد، أو مكان التّواعد، أمّا المعاد: من عاد يعود إلى بلده، معاد الرّجل: بلده الّتي يعود إليها؛ يذهب يسافر في البلاد، ثمّ يعود إلى بلده؛ فالله سبحانه لا يخلف الميعاد: ما وعد به؛ سواء أكان المكان، أم الزمان؛ فهناك فرق بين الميعاد والمعاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾:

﴿وَلَقَدِ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ،

والاستهزاء: يعني: التّحقير، والتّكذيب، والتّصغير من قدر الشخص الآخر، أو الشّيء، والاستخفاف به، والعيب عليه.

﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: برسل: الباء: للإلصاق.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: منذ زمن قريب؛ مثل: عيسىٰ عليه السلام... وغيره من الرسل.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فأمليت: الفاء: للترتيب، والتّراخي في الزّمن، والإملاء: هو الإمهال لمدة طويلة، أو التّأخير في العقوبة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي في الزّمن، أو للترتيب الذّكري.

﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقوبة، والقتل، والهزيمة، والبلاء، والأخذ يكون عادة أليماً شديداً.

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: عاطفة، كيف: للاستفهام، والتّعجب.

﴿كَانَ عِقَابِ﴾: فانظر كيف كان عقابي.

﴿عِقَابِ﴾: نكرة ليدل علىٰ شدته، وهوله عقاباً شديداً مثيراً للعجب.

لنقارن قوله في هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، وقوله في سورة الحج، وسبأ، وغافر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: من الإنكار.

آية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: تأتي في سياق أعمال السّخرية، والاستهزاء، والتّكذيب؛ فيكون العقاب شديداً، وأليماً، بينما: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: تأتي في سياق الأعمال الأقل من السّخرية، والاستهزاء، ولكن أعمال تستحق الإنكار، والإنكار قد لا يصاحبه عقاب بل مجرد تحذير، أو عدم الرّضا بما عملوا؛ فكلمة عقاب: أشد، وأقوىٰ، وتعقب الاستهزاء بدين الله، ورسله... وغيرها.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا

لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾:

﴿أَفَمَنْ هُوَ﴾: أفمن: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ الفاء: للتوكيد، ومن: اسم موصول.

﴿هُوَ﴾: تعود على الله (ضمير منفصل)؛ تفيد التّوكيد، والحصر.

﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: القيام: تولي خلقه من رزق، وحفظ، وتدبير، ورقابة، وإحصاء، ورعاية.

﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾: صالحة، أو طالحة مؤمنة، أو كافرة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: بما: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، بما كسبت من خير وشر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان في معنى كسبت، ويعد لكلٍّ جزاءه. أين جواب الاستفهام؟ محذوف؛ ليترك للقارئ أن يجيب عليه كقوله: كمن ليس هو بقائم من الأصنام... وغيرها.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: أي: كيف تشركون بالله، وتجعلون له شركاء، وهو الّذي يرزقكم، ويتولى أموركم، ويحفظكم، ويُحصي أعمالكم أو تجعلون لله شركاء عاجزين عن نفعكم، أو ضركم، ولا يعلمون بحالكم شيئاً، وغير قائمين بحالكم.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: سمّوا هؤلاء الشّركاء الّذين تزعمون. قل سموهم: على سبيل التهكم والسخرية منهم وليس على سبيل الأمر أو الواجب.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أم: حرف إضراب انتقالي؛ استفهام مصحوب بالإنكار، والتّوبيخ؛ أم تخبرونه بشركاء له تعبدونهم، وهو لا يعلمهم

أو لا وجـود لهم في الأرض؛ لأنّه يعلم ما في السّـموات، وما في الأرض، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض، ولا في السّماء.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أم: مجـرد قول لا حقيقة لـه وعبث، أو مجرد قول بالأفواه لا معنىٰ له، أو مجرد أسماء سميتموها أنتم، وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿زُيِّنَ﴾: المُزين هو الشّيطان.

﴿مَكْرُهُمْ﴾: والمكـر: هو التّدبير الخفي الّذي يقـوم به الماكر؛ للنيل من الممكور به، وهو احتيال في خُفية، وسـببه عجز الماكر عن مقاومة الممكور به، وهو أوّل مراتب الجبن، ويتراوح بين الخفيف، والعظيم، ونتيجة المكر السّـيئ هي: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

ومكرهم هنا يعني: جعل تلك الأصنام، والأوثان، والشركاء آلهة تعبد من دون الله.

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: أعرضوا هم أنفسهم عن الإيمان، واتباع الحق، ومنعوا الآخرين كذلك من اتباع الهدىٰ، ودين الله.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: ومن: الواو: اسـتئنافية؛ من: شـرطية تشمل الواحد، أو الجمع.

﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: من يختار طريق الضّلالة، ويعرض عن سـبيل الله يُمد الله لـه في ضلاله، وإذا قارنا قوله تعالىٰ في هذه الآيـة ﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ مع قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ [غافـر:٣٤]: يُضلل: أي: يمد الله له في ضلاله؛ يُضل: أي: هناك من يُضله.

﴿فَمَالَهُۥ﴾: فما: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد؛ ما: النّافية.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِنْ هَادٍ﴾: من: استغراقية؛ أي: هادي يهديه إلىٰ الحق، والصواب، والإيمان، ولن تجد له ولياً مرشداً.

[٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾:

ثمّ ذكر الله سبحانه جزاءهم علىٰ كفرهم، وشركهم؛ فقال:

﴿لَّهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مثل: القتل، أو الأسر، أو ما يصيبهم من سائر المحن، والكوارث الكونية، والجوية، والأمراض، والقحط، والجوع، والخوف، والأوبئة.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: ولعذاب: اللام: للتوكيد؛ بأنّ عذاب الآخرة:

﴿أَشَقُّ﴾: أشد، وأصعب.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: ما: النّافية.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِّنَ﴾: استغراقية.

﴿مِن وَاقٍ﴾: يقيهم عذابه؛ أي: يمنع عنهم، أو يصرف العذاب عنهم، أو يخففه.

❖ ❖ ❖

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

سورة الرعد [الآيات ٣٥ - ٤٢]

[٣٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾:

بعد ذكر عذاب الكفار في الدّنيا (لهم عذاب في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أشق)، يذكر سبحانه ثواب المتقين، وما أعده لعباده المؤمنين فيقول:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: لماذا قال سبحانه: مثل الجنة؟ والتّمثيل من معانيه: هو أن تلحق مجهولاً بمعلوم؛ لتأخذ منه الحكم، أو الصّورة؛ لأنّه لا توجد ألفاظ عندنا في الدّنيا تؤدي معنىٰ ما في الجنة؛ لأنّ فيها أشياء لم ترها عين، ولم تسمعها أذن، ولم تخطر علىٰ قلب بشر؛ إذن: لا يبقىٰ لنا إلا المثل، وهو أن نأتي بأشياء نعلمها، ونقارنها بأشياء لا نعلمها؛ حتّىٰ نحصل علىٰ صورة محتملة.

﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: وعد من الوعد، والوعد عادة إذا أطلق ولم يُقيد يدل علىٰ الخير، والوعيد: يدل علىٰ الشّر.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: تنبع أنهار الجنة من تحت تلك الجنات، وأنهار الجنة من الماء الغدق، واللبن، والخمر، والعسل.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾: أي: لا ينقطع، ولا ينقص، وفيها ما تشتهيه الأنفس،

وتلذ الأعين؛ دائم على مدار الزّمان، والأكل فيها ليس بسبب الجوع؛ لأنّه ليس فيها جوع، ولا ظمأ، وإنما للشهوة، والمتعة، واللّذة.

﴿وَظِلُّهَا﴾: وظلها دائم، لا تنسخه شمس، أو غيرها.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد التّعظيم، ويشير إلى الجنة.

﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: عقبى: أي: العاقبة، عاقبة أمرهم الجنة، على وزن فُعلى: عقبى: اسم بمعنى: الجزاء، أو آخر كلّ أمر. ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السّورة.

﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾: ولم يقل: وعقبى الّذين كفروا؛ لأنّ الّذين كفروا قد يرجعوا عن كفرهم، ويعودوا للإيمان؛ أمّا الكافرين فهم الّذين أصبحت صفة الكفر عندهم ثابتة، وماتوا، وهم كفار، وذكر عقبى الّذين اتقوا، وإتباعه بذكر عقبى الكافرين فيه بشرى للمتقين، وإنذار للكافرين.

[٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الّذين: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب من اليهود، والنّصارى؛ مثل: عبد الله بن سلام، وأصحابه، وسلمان الفارسي من مؤمني أهل الكتاب أهل التّوراة، والإنجيل، وإذا قارنا (الذين آتيناهم الكتاب بالذين أوتوا الكتاب) في

القرآن: نجد أن (الذين آتيناهم الكتاب): تأتي في سياق المدح والتفضيل والثناء، وأما (الذين أوتوا الكتاب) تأتي في سياق الذم والتوبيخ.

﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: من الآيات، والذّكر الحكيم (القرآن)؛ لأنّه موافق لما جاء في كتبهم، وهذا الفرح من الفرح المحمود. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه. انظر كيف قال تعالىٰ: (يفرحون) ولم يقل يؤمنون؛ فقد يكون مجرد فرح (سرور) لبعضهم، ثم ما لبثوا أن كفروا به؛ لأنك لم تتبع ملتهم.

﴿بِمَآ﴾: الباء: للتعليل، أو السّببية، بما أنزل عليك يا محمّد ﷺ، والفرح عادة يكون عندما يحقق الإنسان أمراً طيباً جلب له النّفع، وهناك فرق بين: أنزل عليك، و:أنزل إليك. ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة البقرة.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض الأحزاب. والأحزاب: جمع حزب؛ أي: طائفة متحزبة مجتمعة علىٰ هدف، أو أهداف من الّذين تحزبوا من المشركين من أهل مكة، ومن حولهم من الأعراب، أو أهل الكتاب: اليهود.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: من: للعاقل؛ تشمل: المفرد، والجمع.

﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: مثل: نبوة محمّد، أو ما جاء في وصف النّبي المرتقب، أو ينكر ما جاء في رجم المحصن، أو ما جاء به في البعث، والحساب. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٥١)؛ لبيان معرفة معنىٰ: الجحود، والإنكار، والفرق بينهما.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾: جواب للمنكرين، قل لهم يا محمّد:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿أُمِرْتُ أَنْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾: وحده؛ أي: أطيع أوامره، وأجتنب نواهيه.

﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾: لا: النّافية.

﴿أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ﴾: ولا أشرك: توكيد لـ: أمرت أن أعبد الله.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾: تقديم إليه: يفيد الحصر؛ أي: لا أدعو، ولا أعبد غيره.

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: تقديم إليه: يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده مرجعي، ومصيري.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ مع الآية (١٧) من سورة هود: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.

آية سورة هود: جاءت في سياق الكفر بالقرآن، أو بمحمد ﷺ، وهو أشد من الإنكار، وأشد من التّكذيب؛ فجاء التّحذير بالقول: فالنّار موعده.

أمّا آية سورة الرعد: جاءت في سياق الإنكار، وهو أقل من الكفر، والتّكذيب؛ فلم يذكر عاقبة الإنكار الّتي هي حتماً أقل من الكفر.

فآية هود: تحذر من الكفر به، وآية الرعد: تحذر من إنكار بعض الكتاب (التوراة).

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي: كما أرسلنا، أو مثل ما أرسلنا كلّ رسول بلسان قومه، وأنزلنا عليهم الكتب بلغاتهم.

﴿أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: أنزلنا عليك حكماً عربياً (قرآناً عربياً)، وسمي حكماً؛ لما فيه من الفرائض، والأحكام، أو حكماً عربياً يفصل بين الحق، والباطل، أو القرآن بحد ذاته حُكم، أو الحكم العدل.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: لئن: اللام: لام التّوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشّك، أو النّدرة في اتباع أهوائهم.

﴿أَهْوَآءَهُم﴾: جمع هوىٰ، والهوىٰ تعريفه: هو ما تميل إليه النفس باطلاً وبعيداً عن الحق، ولا دليل له. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٥٦).

مثال الصّلاة إلىٰ بيت المقدس، أو اتباع ملتهم.

﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: عن طريق الوحي، أو إنزال القرآن، وهذه الآية تذكرنا بآية أخرىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:١٢٠] نجد: (الذي) أبلغ من (ما)؛ لأن (الذي) تستعمل في أمور محددة مثل القرآن، أما (ما) قد تستعمل في أمر تحويل القبلة، أو أهواء الذين آتيناهم الكتاب، والأحزاب... وغيرهم.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: مـن: اسـتغراقية؛ تسـتغرق كلّ ولي فـي الدّنيا، والخطاب إن كان موجهاً إلىٰ رسول الله ﷺ يقصد به أمته.

﴿وَلِيٍّ﴾: معين، مساعد؛ كالقريب.

﴿وَلَا وَاقٍ﴾: حافـظ، أو حفيظ يمنعك من العذاب، مـن الوقاية: وهي الصّيانة، والحفظ؛ من عذاب الله، وغضبه، وسـخطه، وعقابه، أو من الوقوع في السّيئات، أو المعاصي، أو الأخطاء.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: اسـتئنافية؛ لقد: الـلام: لام التّوكيد؛ قد: تحقيق، توكيد التّحقيق في إرسـال رسـلٍ من قبلك؛ نزلت هذه الآية رداً علىٰ طعن المشركين علىٰ النّبي بتعدد الزّوجات، والأولاد بدلاً من التّفرغ للطاعة، والدّعوة، كما روىٰ ابن عباس ﷺ، وكما أرسلناك:

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: بشراً لهم أزواج، وذرية وأولاد، وأيضاً:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: وما كان لرسول أن يأتي بآية: بمعجزة مصاحبة لمجيئه، أو قادر في أي زمن من الأزمنة علىٰ الإتيان (كان تعني: كلّ الأزمنة: في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ولا يحق لأحد أن يقترح علىٰ الله أن يرسل مع أي رسول آية.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادة الله. ارجع إلى سورة يونس آية (١٠٠) لبيان معنى الإذن.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ: اللام: لام التّوكيد؛ الأجل: هو الوقت، أو الزّمن المضروب لانقضاء الشّيء؛ أي: لكلّ أجل كتاب؛ أي: لكلّ زمن نهاية مكتوبة، أو مدونة في اللوح المحفوظ، وأجل الإنسان: هو الوقت، أو الزّمن، أو المدة الّتي سيعيشها حياً ثم يموت، مثلاً أجل الإنسان (ستون سنة) فكل أجل مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٣٩] ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: المحو: هو إذهاب الأثر، أو ينسخ الله من الأحكام، والشّرائع ما يشاء؛ أي: الإزالة والاستئصال الكامل.

﴿وَيُثْبِتُ﴾: يُبقي، ولا يغير، أو يحول، أو يبدل الله ما يشاء.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: العلم الأزلي الّذي لا يطاله شيء من التّبديل، أو التّغيير، أو التّحويل، والمدون في أمّ الكتاب، وقيل: أمّ الكتاب: اللوح المحفوظ، وقيل: اللوح المحفوظ الّذي يقع فيه المحو، وأمّ الكتاب: لا يتغير فيه شيء أبداً؛ أي: أم الكتاب غير اللوح المحفوظ.

[٤٠] ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾:

﴿وَإِن مَّا﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك؛ ما: للتوكيد.

﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: نرينك في الدّنيا؛ نرينك: النّون كذلك للتوكيد؛ أي: وأنت حي ترزق؛ الخطاب لرسول الله ﷺ.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب؛ مثل: القتل، والهزيمة، والبأساء، والضّراء؛ بعض، وليس كلّ الّذي نعدهم؛ لأنّ ما تبقىٰ سيكون في الآخرة.

﴿أَوْ﴾: للاختيار.

﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن نريك عذابهم، والنّون: للتوكيد.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: فإنما: الفاء: للتوكيد؛ إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿عَلَيْكَ﴾: أن تبلِّغ ما أنزل إليك من ربك؛ هذه هي مهمتك، وعلينا الحساب. وتقديم علينا: يفيد الحصر؛ علينا حسابهم في الآخرة، والجزاء.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، الواو: لمطلق الجمع، وتدل علىٰ شدة الإنكار، وتعني: الانتظار، والتّهدئة، والتّفكير، أو ترىٰ شيئاً مرئياً بعينك، وتنكره؛ فالواو: تفيد: كيف تنكر ذلك، ولمعرفة الفرق بين (أولم يروا)، وقوله تعالىٰ: (أفلم يروا)؛ ارجع إلىٰ سورة سبأ آية (٩) للبيان، ولمعرفة الفرق بين (أولم يروا)، وقوله تعالىٰ: (ألم يروا)؛ ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦) للبيان.

﴿يَرَوْاْ﴾: رؤية بصرية، أو عينية، أو رؤية قلبية، أو رؤية علمية، من الدّراسات والأبحاث العلمية الكونية، واكتشافات العلم الحديث.

﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: لها عدة تفسيرات؛ نذكر منها:

التفسيرات القديمة: الأرض: إمّا تعني: بقعة، أو قطعة من الأرض، أو تعني: الأرض كلّها، وفي قوله: (نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) عدة تفسيرات؛ ذكرت في كتب التفسير؛ منها:

١ - خرابها بموت أهلها، ونقصان في الأنفس، والثّمرات بالزّلازل، والهدم، والخراب بالفيضانات، والكوارث الجوية.

٢ - بموت علمائها، وفقهائها، وأهل الخير.

٣ - بانتشار الإسلام، ونقصان ملل الكفر، والشّرك.

أمّا التّفسير العلمي: فقد ثبت علمياً: أنّ القسم اليابس من الأرض في نقصان مستمر، وأنّ أرضنا الابتدائية كانت مئة ضعف الأرض الحالية، والأرض تنكمش؛ لأنّها تفقد من ثوران البراكين ملايين الأطنان من المادة، والطاقة بشكل غازات، ونار، والتّراب البركاني، وما تفقده يعادل ما تفقده الشّمس، حتّى تبقى المسافة بين مركز الشّمس، ومركز الأرض ثابتة، وتقدر بـ (١٥٠ مليون كم)، ولولا ذلك لاحترقنا بقرب الشّمس منا، أو تجمدنا ببعد الشّمس عنا.

وهناك من فسر هذه الظاهرة بعوامل التعرية، أو غيرها من التّفسيرات

الأخرىٰ؛ فلا ينطبق عليها قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (من جميع أطرافها)، وهي تفسيرات جزئية. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء، آية (٤٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾: أي: حين يحكم الله بحكم لا أحد يستطيع رد حكمه بعد إصداره، ولا يستطيع أحد أن يبطل حكمه، أو ينقضه، أو يعقّب علىٰ حكم الله بأي شيء.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لأنّه سبحانه يعلم ما تكسب كلّ نفس، وجميع الخلق حسابهم كحساب الواحد منهم؛ فهو لا يحتاج إلّا للقول: كن فيكون، ولأنّه سبحانه لا يشغله فعل عن فعل، أو يحاسب هذا، والآخر عليه أن ينتظر في صف، كما نرىٰ الواحد تلو الآخر. وأمّا الميزان: فهو لإقامة الحجة علىٰ العبد؛ فالله سبحانه قادر علىٰ أن يحاسبهم، كما يرزقهم كلّهم جميعاً في آن واحد، كما أجاب الإمام علي ﷺ.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾:

﴿وَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ قد: للتحقيق؛ أي: فعلاً مكر الّذين من قبلهم.

﴿مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: المكر: ارجع إلىٰ الآية (٣٣) من نفس السّورة.

مكر الّذين من قبلهم: بأنبيائهم، كما يمكر بك قومك؛ ليثبتوك أو يقتلوك، أو يخرجوك. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (٣٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: أي: لا يضر المكر إلا بإرادته، فلا يضر مكر الماكرين، ولا يخاف منه، ولا قيمة له، وهو زائل، والمهم: هو مكر الله سبحانه؛ يعني: الانتقام والأخذ، وهو الجبّار الدائم القادر على دحر أي مكر.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: من خير، أو شر، وحسنة، أو سيئة، وسيجزي كلاً على عمله.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّارُ﴾: السّين: للاستقبال القريب، لمن عقبى الدّار يوم القيامة.

﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة؛ أي: الجنة.

﴿لِمَنْ﴾: اللام: لام الاختصاص. ارجع إلى الآية (٢٢) من السّورة نفسها.

❖❖❖

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة الرعد [الآية ٤٣]

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

يرد الله سبحانه في هذه الآية على منكري نبوة رسول الله ﷺ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: جاء بصيغة المضارع بدلاً من قال: لتكرار قولهم، وتجدده؛ فهم استمروا على إنكارهم بقولهم:

﴿لَسْتَ﴾: ليس + التّاء؛ ليس: للنفي، والتّاء: للتأكيد.

﴿مُرْسَلًا﴾: من عند الله، أو رسولاً.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: يكفي الله سبحانه أن يكون شهيداً بيني وبينكم على أنّي رسول الله إليكم، ولا تهم شهادتكم بأنّي رسول الله أم لا.

﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿شَهِيدًۢا﴾: صيغة مبالغة من: شاهد. ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ للبيان، وتقديم شهيداً على بيني وبينكم هو الأصل دائماً، ولكنه سبحانه قدم بيني وبينكم على كلمة شهيداً في آية واحدة فقط في سورة العنكبوت آية (٥٢)؛ ارجع إلى سورة العنكبوت لمعرفة السبب.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: من: للعاقل، وتشمل المفرد، والجمع.

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: (القرآن)، ومن: قد تعود إلى الله سبحانه؛ فتكون توكيداً لقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾.

وقد تشمل جبريل عليه السلام، أو المؤمنين، أو أولي العلم، أو عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي.

❖ ❖ ❖

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مكية ١٤ آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة إبراهيم [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٤)، وفي النّزول (٧٢)؛ نزلت بعد سورة نوح (٧١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾:

﴿الٓرۚ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ﴾: كتابٌ: أي: القرآن؛ فهو يسمّىٰ: كتاباً؛ لأنّه مكتوب في الأسطر، وفي اللوح المحفوظ، ويسمّىٰ: قرآناً؛ لأنّه مقروء، وله أسماء أخرىٰ كثيرة؛ ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة.

كتاب: بصيغة النكرة؛ للتّعظيم، والتّفخيم.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: جملة واحدة (دفعة واحدة)، من اللّوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا في ليلة القدر.

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل عليك.

﴿إِلَىٰ﴾: تفيد عموم الغايات؛ أي: لتبلّغ النّاس ما أنزل إليهم من ربهم، ولمعرفة الفرق بين إليك، وعليك: ارجع إلىٰ الآية (٣) من سورة آل عمران، والآية (٤) من سورة البقرة.

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: لتخرج: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ تخرج النّاس: بدعوتهم إلى الإيمان، وتبليغهم ما أنزل إليك.

﴿ٱلنَّاسَ﴾: مشتقة من النّوس؛ أي: الحركة الّتي هي صفتهم، وتشمل الجن، والإنس.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من: ابتدائية.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: جمع: ظلمة، وتشمل: ظلمة الجهل، والضّلال، والتّقليد، والشّرك، والكفر.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان، والتّوحيد، والعلم، والنّور: مفرد، بينما الظّلمات: جمع، أو كثرة. دائماً في القرآن يجمع الظّلمات؛ لأن الظّلمات مختلفة، وأمّا النّور: فهو واحد، وذلك لأن النور سببه أو مصدره هو الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه واحد كقوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، وأما الظلمات متعددة لتعدد أسبابها، أو مصادرها: الطاغوت، والأنفس، والأهواء، والشياطين، والأصنام.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بإذن: بأمر ربهم، وإرادته، وتوفيقه، وعونه، والباء: للإلصاق، والتّوكيد، وبإذن ربهم. الإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل، أو قول، وتستعمل للعمل الّذي ليس لنا تدخل فيه؛ أي: هو تدبير خارج عن إرادتنا، بينما القول: (إن شاء الله) تستعمل للأمر الّذي لنا شأن، أو تدخل به، أو نقوم به.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: إلى: تفيد عموم الغاية.

﴿صِرَٰطِ﴾: دين الله، وهو الإسلام، والصّراط: هو الطّريق المستقيم الواضح الموصل إلى الغاية بأقصر مسافة، وأقصر زمن، وبسهولة.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي الّذي لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع.

﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: صيغة مبالغة من الحمد؛ كثير الحمد من خلقه؛ فهو المحمود، سواء حمده خلقه، أم لم يحمدوه؛ فهو المحمود في ذاته، والّذي ثبتت له صفة الحمد من قبل أن يوجد من يحمده. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٤) من سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ نجده حذف اسم العزيز؛ ارجع إلى سورة الحج لمعرفة السبب.

[٢] ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾:

هذه الآية يمكن وصلها بالآية السّابقة؛ فتقرأ: صراط العزيز الحميد الله الّذي له ما في السّموات، وما في الأرض، وتقرأ مرققة، أو تقرأ غير مرققة؛ أي: مفصولة عمّا قبلها.

اللهُ الّذي له ما في السّموات، وما في الأرض.

اللهِ: إذا قرئت بالكسر: هي بدل (العزيز الحميد)، وإذا قرأت بالضم (اللهُ): فهي مبتدأ، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: هو الله الّذي له ما في السّموات والأرض.

﴿ٱللَّهِ﴾: اسم الله العلم الدّال على واجب الوجود، وتعني: المعبود، ويشمل كلّ صفات الله العليا.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: السّموات (ظرف)، وما في السّموات (مظروف)؛ أي: له السّموات وما فيهن، وله الأرض وما فيها؛ أي: السّموات السّبع وما فيهن، والأرضين السّبع وما فيهن، الكل ملكه، لا يشاركه فيه أحد؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

وتكرار (ما في) لأنّ: هناك أجناس من المخلوقات موجودة في السّموات لا توجد على الأرض، أو بالعكس؛ مثل: حملة العرش، ومن حوله، وغيرهم من الملائكة، والكواكب، والأقمار، والشّموس، وهناك مخلوقات في الأرض تخص الأرض، وحدها واستعمال (ما) الّتي تشمل العاقل وغير العاقل.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: الويل: العذاب، أو الهلاك، وقيل: دعاء بالشّر، وإنذار بالعذاب، والويل يكون في الدّنيا والآخرة، وليس فقط في الآخرة.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: والعذاب الشّديد أحد أنواع العذاب؛ فهناك العظيم، والأليم، والمهين، والمقيم؛ عذاب شديد لا يطاق، أو يمكن تحمله.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: وويل للكافرين الّذين يستحبون الحياة الدّنيا.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: على وزن استفعل؛ أي: أجهدوا أنفسهم، وأوغلوا في حب الدّنيا، وهناك فرق بين أحب واستحب. أحب: اكتفى بالحب العادي بدون تكلف، وجهد.

أمّا استحب: السّين، والتّاء: تدل على الطّلب؛ أي: طلب حب الدّنيا، وتوغل في حبه للدنيا، وأرهق نفسه في طلبها، والرّكض وراءها. ووصفها الله سبحانه بالدّنيا، أو السّفلى، أو الزّائلة؛ أي: يؤثرونها، ويفضلونها على الآخرة.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يمنعون النّاس من الدّخول في دين الإسلام، أو يشوهون دين الله كي يبعدوا النّاس عن هذا الدّين؛ فهم ضالون لأنفسهم مضلون لغيرهم.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يبغون شريعة معوجّة منحرفة؛ كي تحقق رغباتهم، وأهوائهم. يصدون، ويبغونها: بصيغة المضارع الدالة على التكرار والتجديد؛ أي: الاستمرار في الصد والابتغاء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾: أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلى دنو منزلتهم، في ضلال بعيد؛ لأنّهم جمعوا بين الضّلال، والإضلال، وبذلك أصبحوا في ضلال بعيد يصعب الرّجوع منه إلى طريق الهدى، والدّين.

[٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ أرسلنا، ولم يقل: بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾: إلا: أداة حصر، حصراً وقصراً بلسان قومه؛ أي: يتكلم لغة قومه لماذا؟

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ليبين: اللام: لام التّعليل؛ يبين لهم: يوضح، ويشرح لهم ما أُنزل عليهم من ربهم.

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: فمنهم من يختار التّصديق، والإيمان، ويستجيب لما أمره الله، ويتبع رسوله فيهديه الله، ويشرح صدره، ويمدّه بيد العون، ومنهم من يختار طريق الضّلالة، والكفر، ويرفض الإيمان، والتّصديق بما أنزل الله، ويسير في طريق الضّلالة؛ فيمد له ربه في غيّه، وضلاله.

فالله هو الهادي؛ فلا يضل أحداً لأنّه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]. إلا من أراد الضلال، وابتعد عن طريق الهداية، ولم يعد في قلبه ذرة إيمان، ولا أمل فيه فيتركه وشأنه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب الّذي لا يُغلب، والقاهر الّذي لا يُقهر، والممتنع لا يضره أحد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه، والحكيم: من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، والحكيم: من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾: ولقد: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: لام التّوكيد؛ قد: حرف تحقيق.

﴿مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾: التّسع إلى فرعون؛ منها: العصا، واليد، والسّنين، والطّوفان، والجراد، والقمّل، والضّفادع، والدّم، أو إلى بني إسرائيل... وغيرها من الآيات؛ ومنها: فلق البحر، وفتق الجبل، وإنزال التّوراة، والمن، والسّلوى، والغمام.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ ﴾: أن: للتوكيد.

﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ ﴾: بني إسرائيل.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾: ظلمات الكفر، والشّرك، والضّلال، والجهالة إلى نور الإيمان والتّوحيد. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة، ولم يقل في هذه الآية بإذن ربهم كما في الآية (١) من نفس السورة؛ لأنه سبقها قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، أو ربما لأن دعوة موسى قومه قد تمت ومضت.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾: حدثهم، أو عظهم؛ لأنهم نسوا ذلك.

﴿بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾: أي: الأحداث الّتي وقعت لهم، وللأمم السّابقة.

ويقصد باليوم؛ أي: الحدث البارز الهام الّذي وقع في ذلك اليوم، وليس اليوم بذاته؛ أي: بالوقائع، والمحن، والشّدائد، والأحداث المؤلمة الّتي مرت

عليهم مثل: قهر فرعون لهم وقتل أولادهم، واستحياء نسائهم، وبنعم الله عليهم مثل فلق البحر، وإنقاذهم من فرعون، وجنوده، والمن، والسلوى، ونتق الجبل فوقهم كأنه ظلة، وإنزال التّوراة، وضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ آيات: معجزات أو براهين، وأدلة لكلّ صبّار شكور.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: لكلّ: اللام: لام الاختصاص، كثير الصّبر، مبالغ في الصّبر على وزن فعّال، وإذا قارنا صبّار بصبور؛ صبور: تدل على الدوام (دوام الصبر)، أو باستمرار، وهذا من الصعب فعله والقيام به، أما كونه صبّار؛ أي: كثير الصبر فهذا نراه عند بعض الناس، وليس الكل، ولم ترد كلمة صبور في كل القرآن الكريم.

﴿شَكُورٍ﴾: كثير الشّكر وتدل على الدوام، وهناك من الناس من هو كثير الشكر، أو دائم الشكر كما أخبرنا الله سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، أو مبالغ في الشّكر في أيّام الله منها الّتي تجلت بأحداث مؤلمة تحتاج إلى صبر كثير، ومنها: ما تجلت بحوادث حسنة تستحق الشّكر؛ أي: كانت آيات تحتاج إلى كثير من الصّبر، أو كثير من الشّكر؛ أي: آيات ابتلاء لكل مؤمن كثير الصّبر، أو كثير الشّكر.

وهذا ما يؤيده حديث رسول الله ﷺ الّذي أخرجه مسلم في صحيحه: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا المؤمن: إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له».

وقد وردت آية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: في (٤) سور من القرآن:

في سورة إبراهيم هذه الآية (٥)، والآيات هنا تعني: المعجزات الّتي حدثت في زمن موسىٰ عليه السلام.

وفي سورة لقمان، الآية (٣١): الآيات هنا تعني الآيات الكونية كقوله تعالىٰ: يولج الليل في النّهار، والنّهار في الليل، والفلك الّتي تجري في البحر، وسخر الشّمس، والقمر كلّ يجري إلىٰ أجل مسمّىٰ؛ الدّالة علىٰ عظمة الله وقدرته.

في سورة سبأ، الآية (١٩): الآيات هنا الكفر بنعم الله، وعدم شكر المنعم؛ الأمر الّذي أدّىٰ إلىٰ تمزيقهم وجعلهم أحاديث.

في سورة الشّورىٰ، الآية (٣٣): مزيد من الآيات الكونية الدّالة علىٰ عظمة الله تعالىٰ، وقدرته الّتي تدعو إلىٰ التّفكر والشّكر.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

سورة إبراهيم [الآيات ٦ - ١٠]

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: إذ: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: واذكر إذ قال موسىٰ لقومه (بني إسرائيل)، أو واذكر حين قال موسىٰ: اذكروا نعمة الله عليكم؛ أي: ذكروا دائماً وفي كل حين ووقت نعمة الله عليكم.

انتبه في هذه الآية لم يقل: يا قوم، كما في الآية (٢٠) من سورة المائدة، وإذ قال موسىٰ لقومه: يا قوم التي فيها معنىٰ التودد والتحبب والدعوة بلطف وحنان، وفيها معنىٰ تعظيم المخاطب به؛ لأنّ ما ذُكر في شأن موسىٰ وقومه في سورة إبراهيم فيها اختصار، وعدم ذكر يا قوم بينما في السّور الأخرىٰ الّتي ذكر فيها يا قوم فيها تفصيل أكثر في شأن موسىٰ وقومه، أو لأن موقف موسىٰ في سورة إبراهيم موقف تحذير وتذكير ببعض المحن، والمصائب، والعذاب، والنّجاة، وليس موقف دعوة وتبليغ حتىٰ يقول يا قوم.

﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: ولم يقل: إذ نجاكم من آل فرعون، نجاكم: تعني ببطء، وزمن طويل، بينما أنجاكم: تفيد السّرعة في النّجاة؛ أي: أنجاكم بسرعة، وتعني: عبور البحر (بفلق البحر لكم)؛ لتنجوا من فرعون

وجنــوده، وتم ذلك في زمن قصير، وعملية خارقــة للعقل عظيمة لا يقدر عليها إلّا الله وحده.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٩) من سورة البقرة؛ فهذه الآية تكرار للآية في سورة البقرة، وسورة القصص آية (٤) مع الاختلافات التالية:

في هــذه الآية قال تعالــىٰ: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، بينما فــي آية البقرة: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بدون إضافة الواو، إضافة الــواو في آية إبراهيم تدل علىٰ أنّ تذبيح الأبناء هو أمر آخر، أو ثان؛ بالإضافة إلىٰ ســوء العذاب؛ أي: هنا يعدد لهم بعض المحن منها: سوء العذاب، وتذبيح الأبناء، واستحياء النّساء؛ ففيها تفصيل لأنواع العذاب، وتعظيم لما حدث لهم؛ بينما في ســورة البقرة: ســوء العذاب تشمل يذبحون أبناءكم.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: فآيــة إبراهيم فيها زيــادة الواو تدل علىٰ الاهتمام الذي أدىٰ إلىٰ الإسراع في النجاة فاســتعمل أنجيناكم حين بلغ السيل الزبــىٰ ونفذ الصبر ووصلــت الأمور إلىٰ أقصاها، ولم يقل بناتكم؛ لأنّ النّســاء تدل علىٰ كثرة العدد أوّلاً، وثانياً: علىٰ تحمل المشقة، والخدمة أكثر من البنات. ويستحيون نســاؤكم بدأت بحرف العطف (هو الواو) في كل السور التي وردت فيهــا هذه الآية؛ لأنها تختلف عن ســوء العــذاب الذي فيه إهانــة وذلة وهتك للأعراض. ارجع إلىٰ ســورة القصص آية (٤) لمزيد من البيان في ســبب إضافة الواو لكلمة ويذبحون أبناءكم.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩).

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: إذ: ظرف زماني؛ بمعنى: حين، أو: واذكر إذ.

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: إذ وعد ربكم، أو أعلم بتوكيد (تأذن فيها مبالغة في الإعلام)، وقيل: حدث هذا الإعلام على جبل الطّور، وأعلم بهذه الآية، والله أعلم.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: لئن: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشّك والاحتمال في شكرهم لله تعالى.

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: النّون: للتوكيد بدلاً من قوله: لأزيدكم. والشّكر؛ يعني: الاعتراف بالنّعمة للمنعم؛ أي: هو الّذي أنعمها، والشّكر عليها يكون باللسان، وعدم سترها، والسّجود سجود الشّكر مثلاً، وطاعة الله. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان في شكرتم.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: مثل: لئن شكرتم، ولئن كفرتم: أي: جحدتم نعمة الله؛ أي: أنكرتموها، وكفرتم بالله و وحدانيته وربوبيته.

﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَذَابِي﴾: أضاف العذاب له سبحانه؛ للتحذير والإنذار، ولم يقل: إن عذاب الله لشديد، ولم يقل: لأعذبنكم (كما قال لأزيدنكم)، وإنما أطلق العذاب ليشملهم ويشمل غيرهم من الكفار.

﴿لَشَدِيدٌ﴾: اللام: لام التّوكيد، عذابي: في الدّنيا، أوفي الآخرة لشديد، ولذلك إياك أن تنشغل بالنّعمة، وتنسى المنعم؛ لأنّه سبحانه هو الّذي آتاك إياها.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

جاءت هذه الآية في عقب الآية (لئن شكرتم لأزيدنكم)؛ حتّى لا يظن أحد من قوم موسى (بني إسرائيل)، أو غيرهم أنّ الله سبحانه بحاجة إلى شكرهم، أو عبادتهم، فأراد الله سبحانه مسح هذا الاعتقاد من عقول خلقه على لسان موسى بقوله:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك. والكفر: هو إما كفر عقيدة، أو كفر لنعم الله تعالى؛ أي: جحود لها وسترها.

﴿أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: أنتم: للتوكيد.

﴿وَمَن﴾: للمفرد، والمثنى، والجمع، وللعاقل؛ ومن: استغراقية تشمل كلّ من في الأرض.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في ظرفية للمظروف؛ أي: من في الأرض، ولم يقل: على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض تابعة للأرض فنحن نسير في الأرض.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد مرة أخرى.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إنّ: للتوكيد أيضاً.

﴿لَغَنِيٌّ﴾: اللام: للتوكيد من غناه؛ غني عنكم، وعن إيمانكم وشكركم وطاعتكم.

﴿حَمِيدٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السّورة؛ للبيان.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾:

قيل: هذا كلام مبتدأ من الله سبحانه يخاطب به الله قريش، أو كفار مكة، أو المسلمين، أو الكل، ومنهم من قال: أنّه تتمة من كلام موسىٰ عليه السلام.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتقرير، ولم: للنفي، وتعني: أتاكم نبأ الّذين من قبلكم.

﴿يَأْتِكُمْ نَبَؤُا﴾: المخاطب علىٰ الأرجح هو النبي ﷺ وأمته؛ يصل إليكم، أو يجيئكم بسهولة. أتاكم تعني: المجيء بسهولة عن طريق القرآن.

﴿نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: النّبأ: الخبر العظيم المهم الذي له شأن؛ أي: ذو فائدة عظيمة يحصل به علم لأمر ما.

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: من قبلكم: أي: منذ زمن قصير، أمّا لو قال الّذين قبلكم بدون من؛ لكانت تعني: منذ زمن طويل، بدأ بقوم نوح؛ لأن ما قبل نوح كان النّاس أمة واحدة علىٰ دين واحد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: والّذين: تعني: الكثرة، ولم يقل: ومن بعدهم؛ أي: لم يقل قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، وإنما أضاف والذين: التي تدل علىٰ الكثرة، ولو حذف الذين وقال: ومن بعدهم؛ تعني: القلة؛ لا يعلم عددهم ويحصيهم إلا الله. من بعدهم: هاء الضمير يعود علىٰ قوم نوح وعاد وثمود.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱللَّهُ﴾: واجب الوجود، خالقهم ومحصيهم.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالبينات: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ البينات: جمع بينة: البرهان، أو الدليل القاطع؛ (جاءتهم رسلهم): بالحجج الواضحة، والبراهين، والمعجزات الدّالة على صدق دعوتهم، وإلى عبادة الله وحده.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: فردوا: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب على مجيء الرّسل بالبينات؛ ردوا أيديهم في أفواههم؛ ردوا: فيها معنى التكرار؛ أي: وضعوا أيديهم على أفواههم ثم أزالوها، ثم وضعوها لها عدة تفسيرات:

١ - الرّد كناية عن العض، والعض على الأصابع ناتج من الغيظ، والضّجر من أنبيائهم ورسلهم، ورد اليد في الفم؛ أي: وضع اليد في الفم، وتعني: العض.

٢ - أو الرّد يعني: أشاروا إلى رسلهم بالسّكوت، وعدم الكلام مشبهاً ذلك بوضع اليد على فم المتكلم؛ لإسكاته (استعارة تمثيلية).

٣ - أو ردوا مواعظ ونصائح الأنبياء والرّسل؛ أي: الشّرائع، والأحكام؛ فردوها؛ أي: كذبوها، ولم يقبلوها بأقوالهم، فكأنهم ردوها وأرجعوها، ولم يستمعوا إليها سماع انتفاع وفائدة؛ فالرد يحتمل أن يكون حقيقة أو استعارة.

٤ - قد تعني: الاستهزاء والسخرية من البينات يضعون أيديهم على أفواههم من الضحك، ثم يرفعونها ويشيرون إلى الواعظ أو المتحدث وهكذا.

هذه الآية تذكرنا بالآية (٢٦) من سورة فصلت، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: أي: قالت الأقوام لرسلهم.

﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: إنّا: للتوكيد.

﴿كَفَرْنَا﴾: أي: لا نؤمن، ولا نصدق.

﴿بِمَآ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام؛ ما: اسم موصول بمعنىٰ: الّذي.

﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: من الآيات، أو الأوامر، أو النّواهي.

﴿وَإِنَّا لَفِى﴾: تكرار إنّا: للتوكيد.

﴿لَفِى﴾: اللام: للتوكيد أيضاً، ولم يقل وإننا؛ لأنّه ذكر إنّا مرتين يكفي للتوكيد.

﴿شَكٍّ مِّمَّا﴾: الشّك: هو تساوي طرفي النّفي والإثبات، والشك: خلاف اليقين، ويعني: اضطراب النفس في التردد بين شيئين.

﴿مِّمَّا﴾: من + ما؛ من: ابتدائية؛ ما: اسم موصول بمعنىٰ: الّذي، وما: أوسع شمولاً.

﴿تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾: بدلاً من تدعونا بزيادة النّون الّتي تدل علىٰ مجموعة الرّسل، وكذلك تدعوننا فيها معنىٰ التّوكيد بزيادة النّون مقارنة بالآية (٦٢) من سورة هود وهي قوله تعالىٰ قال القوم لصالح: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿مُرِيبٍ﴾: من الرّيب: وهو الشّك مع التّهمة يشكون في صدق رسلهم ورسالاتهم، ويتهمون رسلهم بالكذب المتعمد.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم

مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾: قالت رُسُلُهُم لأقوامهم: أفي الله شك: الهمزة في أفي: همزة استفهام إنكاري.

﴿ٱللَّهِ﴾: اسم العلم؛ اسم واجب الوجود.

﴿شَكٌّ﴾: أي: الكلام لا يحتمل الشّك؛ لأنّ الأدلة والآيات واضحة على وحدانية الله، وأنّه هو المعبود وحده؛ لأنّه هو وحده فاطر السّموات والأرض.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فاطر من فطر؛ أي: شق. وفطر الخلق: أخرجهم للوجود. فاطر السّموات والأرض: خالق ومخرج السّموات والأرض للوجود. ارجع إلى سورة يوسف، الآية (١٠١)؛ لمزيد من البيان، وسورة الأنعام، الآية (١٤).

﴿يَدْعُوكُمْ﴾: يدعوكم إلى الإيمان، والتّوحيد من خلال الرّسل والكتب.

﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: اللام: لام التّعليل؛ يغفر لكم: من الغفر، وهو السّتر، وبالتّالي محو بعض ذنوبكم.

﴿مِّن﴾: بعضية، ولم يقل يغفر لكم ذنوبكم كما في قوله تعالى في الآية (٣١) من سورة آل عمران: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ لأنّ الخطاب هنا للكفار، ولو كان الخطاب للمؤمنين كما في آية آل عمران لقال تعالى: يغفر لكم ذنوبكم؛ أي: كلّ الذّنوب.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يؤخركم من التّأخير وهو الإمهال؛ أي: لا يعجل لكم العقاب، أو العذاب بسبب كفركم وعدم شكركم ومعاصيكم؛

حتّىٰ ينقضي أجلكم المضروب لكم، أو المحدد لكم في علم الله، ومن هنا نفهم: أنّ الإيمان بالله تعالىٰ يفيد في مغفرة الذّنوب وعدم تعجيل العقاب.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: قال الّذين كفروا لرسلهم.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ﴾: إن: نافية أشد نفياً من: ما؛ أي: ما أنتم، وهذه هي حُجتهم الباطلة دائماً لا يريدون رسلاً بشراً مثلهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء تفيد الحصر؛ أي: حصراً وقصراً ما أنتم إلا بشر مثلنا، وليس ملائكة أو غير ذلك.

﴿تُرِيدُونَ﴾: بالمضارع؛ يفيد التّجدد، والتّكرار.

﴿أَن تَصُدُّونَا﴾: أن: للتوكيد، والصّد يعني: تصرفونا أو تمنعونا.

﴿عَمَّا﴾: عن+ ما؛ عن: تفيد المجاوزة والمباعدة؛ ما: اسم موصول بمعنىٰ: الّذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: أي: من الأصنام وغيرها من الآلهة.

﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: فأتوا لنا بسلطان؛ الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ أي: برهان، أو حجة ظاهرة يدل علىٰ صدقكم.

﴿مُّبِينٖ﴾: أي: واضح لكل فرد، وظاهر لا يحتاج إلىٰ دليل؛ أي: مُظهر لنفسه.

❖❖❖

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

سورة إبراهيم [الآيات ١١ - ١٨]

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: قالت: التاء: تدل على الكثرة؛ كثرة الرّسل؛ قالت الرّسل للذين كفروا.

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: إن: حرف نفي أقوى نفياً من: ما؛ أي: ما نحن إلّا بشر مثلكم.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر؛ أي: نحن حصراً بشراً مثلكم؛ كما تقولون.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: يمُنُّ: يُنعم ويحسن بالنّبوة والعلم والحكمة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: أي: يختار ويصطفي، ويؤيد ذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ﴾: ما ينبغي لنا، وما يحق لنا؛ ما: النّافية.

﴿كَانَ﴾: تشمل كلّ الأزمنة: في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

﴿لَنَآ﴾: اللام: للاختصاص؛ أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد بحجة أو برهان، كما تطلبون؛ لأن ما جاءكم من الآيات، والمعجزات يكفي، وإذا كان الله سبحانه يريد أن يأتيكم بآيات أخرىٰ فبإذنه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلا: حصراً؛ بأمر من الله. ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: بعد تقديم الأسباب عليهم أن يفوضوا أمرهم إلىٰ الله لتحقيق ما يسعوا إليه.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليتوكل: الفاء: للتوكيد، واللام: لام الأمر أو الاختصاص. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنىٰ التوكل.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾: ما: استفهامية؛ استفهام إنكاري.

﴿أَلَّا﴾: مركبة من: أن: حرف مصدري للتوكيد، ولا: حرف نفي أي: لا عذر لنا في ألا نتوكل علىٰ الله بعد أن هدانا وأرشدنا إلىٰ السبل، أو الطرق الموصلة إلىٰ الغاية، وهي النّجاة من عذابه، والفوز في الآخرة.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: وقد: الواو: للتوكيد؛ قد: تحقيق.

﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: جمع سبيل: وهو الطّريق الواضح الموصل إلىٰ الغاية؛ أي: وقد دلنا، وبين لنا كلّ السبل الموصلة إلىٰ النجاة.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾: ولنصبرن: الواو: استئنافية؛ لنصبرن: اللام: لام التّوكيد؛ نصبرن: النّون للتوكيد.

﴿مَآ﴾: مصدرية، أو اسم موصول بمعنىٰ: الّذي.

﴿ءَاذَيْتُمُونَا﴾: سواء بألسنتكم، أو بأفعالكم. والأذىٰ: هو الحدث المؤلم الذي يؤلم ساعة وقوعه، ثم ينتهي ويزول، أو يتحول إلىٰ الضُّر، فالضُّر: أشد من الأذىٰ، ويكون في النفس أو غيرها. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾؛ أي: سيصبرون في المستقبل كما صبروا في الماضي؛ أي: سيستمرون علىٰ صبرهم علىٰ أذاهم؛ لأنهم لم يقولوا ولقد صبرنا علىٰ ما آذيتمونا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: وعلىٰ الله: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: ليستمر المتوكلون من المؤمنين علىٰ توكلهم علىٰ الله، ولا يكفهم، أو يمنعهم أذىٰ الكفار، والّذين أشركوا.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: الفاء: تفيد التّوكيد، اللام: لام الأمر؛ يتوكل المتوكلون: كلّ متوكل مؤمن، وليس كلّ مؤمن متوكل.

ما هو الفرق بين: وعلى الله فليتوكل المؤمنون، وعلى الله فليتوكل المتوكلون؟

المرتبة الأولى: وعلى الله فليتوكل المؤمنون: فيها حث المؤمنين على التّوكل على الله سبحانه؛ أي: هم اتصفوا بصفة واحدة هي الإيمان، وتحثهم على التوكل.

المرتبة الثانية: وعلى الله فليتوكل المتوكلون: المتوكلون في هذه الآية اتصفوا بصفتين: الإيمان، والتّوكل، والآية تحثهم على الاستقامة، والاستمرار على التوكل؛ فكل متوكل مؤمن، وليس كلّ مؤمن متوكل.

[١٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾: لرسلهم: اللام: لام التّوكيد.

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾: النّون: بدلاً من نخرجكم للتّوكيد. من: ابتدائية. أرضنا؛ أي: الوطن، أو قريتنا.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾: أو: للتخيير؛ إذن: هم أمام أحد الخيارين: إما الإخراج؛ أي: الطرد والنفي، وإما العودة؛ لا محالة إلى ملة الكفر، أو ملة الآباء من التقليد.

﴿لَتَعُودُنَّ﴾: مثل: لنخرجنكم: اللام: للتوكيد، والنّون لزيادة التّوكيد.

﴿فِي مِلَّتِنَا﴾: في ملة الكفر.

ولا تعني هذه الآية أن الرّسل كانوا في ملتهم، ثمّ خرجوا عنها، والآن عليهم أن يعودوا إلى ملة الكفر مرة ثانية، وهذا لم يحدث أبداً، ومستحيل.

فمعنى لتعودن في ملتنا: أي: تصيرن، والعرب تستعمل عاد بمعنى صار، والملة: الشّريعة والدّيانة، والملة: أصلها التّكرار، وسمّيت ملة لاستمرار أهلها عليها، والملة المذهب، ومنها الملل؛ أي: تكرار الشيء.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي أوحى إلى الرّسل، وأوحى: من الإيحاء: وهو الإعلام بالخفاء بدون إعلام الكفار ما سيحدث لهم من الإهلاك. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣) لبيان معنى الإيحاء.

﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام: للتوكيد، والنّون: كذلك لزيادة التّوكيد

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين الذين يصدون عن سبيل الله؛ جمع ظالم، والظالم: هو كلّ من خرج عن منهج الله يعتبر ظالم.

[١٤] ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾:

هذا من تتمة ما أوحى إليهم ربهم.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: نورثكم أرضهم، وديارهم بعد هلاكهم أو طردهم وإبعادهم.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ﴾: إهلاك الظّالمين، وتمكين الرّسل، والمؤمنين (أو إسكان المؤمنين ديارهم). ذلك لمن: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، ومن: بمعنىٰ الّذي، ومن: تعني: المفرد، والمثنىٰ، والجمع. أما الذي: تختص بالمفرد المذكر.

﴿خَافَ مَقَامِي﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومقامي؛ أي: القيام والوقوف بين يدي ربه للحساب بأن اتقىٰ، ونهىٰ النّفس عن الهوىٰ. والمقام له زمان ومكان؛ وخاف مقامي: يدل علىٰ المبالغة في الخوف من القيام بين يدي ربه، ويعني: خوف دائم لا يتعلق بزمن معين، أو مكان؛ أي: في كل زمان ومكان.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: وعيد بالعذاب، وتكرار خاف: للتوكيد؛ أي: كلاً علىٰ انفراد مقامي، ووعيد، أو كلاهما، والوعيد يأتي دائماً في سياق الشر.

[١٥] ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾:

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: أي: الرّسل طلبوا الفتح بالدعاء بالنّصرة علىٰ الأعداء، والفتح: هو الغلبة بدون قتال، والفتح قد يعني الفصل والحكم، أمّا النّصر: هو الفتح بالقتال، وتوضح ذلك سورة النّصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إذن: هناك فرق بين النّصر والفتح، واستفتحوا؛ أي: الرّسل علىٰ قومهم (بالدّعاء لهلاكهم)، واستفتحوا: قد تعود إلىٰ الكفار، استفتحوا علىٰ رسلهم ظناً أنّهم علىٰ الحق.

﴿وَخَابَ﴾: الخائب: المنقطع أمله، أو الذي منع من فعل أمله، وقيل: خسر وخاب.

﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: الذي يتعاظم بالقهر والتسلط والقتل، وظالم متكبر يجبر النّاس على ما يريد من الفساد والبغي.

﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق، أو مخالف، أو معارض لمنهج الله سبحانه لا يسمع ولا يعقل. ارجع إلى سورة هود آية (٩٥) لمزيد من البيان.

[١٦] ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾:

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: من: ظرفية زمانية أو مكانية، ورائه: أمامه؛ كقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]، وقد تعني: ورائه خلفه؛ أي: من بعده؛ كقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿جَهَنَّمُ﴾: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: الصّديد: القيح المختلط بالدم، وقيل: القيح: هو السّائل الّذي يسيل من أجساد أهل النّار حين تشوى جلودهم.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾:

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: التّجرع: تناول الماء الصديد جرعة بعد جرعة، أو يتجرعه بجهد وعناء وشدة وقهر.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: لا يكاد من أفعال المقاربة، يُسيغه من السّوغ هو انحدار الشّراب في الحلق والمري، من ساغ الشّراب في الحلق؛ أي: كان سهلاً سهل الابتلاع، أو يغص ولا يبلعه بسهولة، والآية تعني: أي: لا يستطيع بلعه يعلق بحلقه من شدة مرارته وطعمه، ويقاسي أشد الصّعوبات في بلعه، كما يحدث حين بلع دواء مر كريه الطعم، ويبقى على اللسان، ولا ينزل بسهولة إلى المري والمعدة، وهذا دواء، ولكن ذلك صديد وقيح!!

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: ويشعر بالموت يأتيه من كلّ مكان وجانب.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: أي: موتاً تنقطع معه الحياة فيرتاح، ولا يعد يشعر بشيء من العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦].

﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: من وراء هذا العذاب تجرع الماء الصديد عذاب آخر غليظ (أمامه) ينتظره، وهو عذاب النّار، الغليظ الشّديد الدائم، والمستمر في نار جهنم.

[١٨] ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾:

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: أي: مثل أعمالهم الصّالحة كالصّدقة على الفقراء وصلة الرّحم والأيتام وبر

الوالدين، أو مساعدة النّاس في الحياة الدّنيا؛ كمثل الرّماد الذي هو ما تبقىٰ بعد احتراق مادة عضوية بالكامل، وضرب هذا المثل؛ لأن صورة الرماد معروفة لدىٰ العرب والريح العاصفة التي تهب عليه الرّيح الشّديدة في يوم عاصف. وضرب المثل: لإزالة أي غموض فليس هناك مثل غامض.

وقال: مثل الّذين كفروا بربهم: أضاف المثل إليهم، وهو في الحقيقة إلىٰ أعمالهم؛ أعمال الّذين كفروا بربهم لم يؤمنوا به ويصدقوا برسله، كمثل الرماد الّتي تركته النّار بعد احتراقها في يوم عاصف اشتدت به الرّيح فجعلته هباء منثوراً.

أي: حبطت أعمالهم الصّالحة، ولم يعد لها ثواباً علىٰ الإطلاق، كما لا يقدر أحد علىٰ جمع الرّماد في يوم عاصف، وقد وصف الله سبحانه أعمالهم الصّالحة الّتي حبطت بسبب كفرهم وشركهم بعدة تشبيهات في القرآن؛ مثل: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، أو ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور:٣٩]، أو ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور:٤٠]، ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [البقرة:٢٦٤].

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: هذه الآية تخص الكفار، جاءت في سياق الأعمال؛ أي: كلّ الأعمال الحسنة الّتي عملوها في الحياة الدّنيا حبطت لا ثواب لها في الآخرة، ولو كثرت ومهما كانت كلّها حبطت معاً.

لا يقدرون مما كسبوا علىٰ شيء؛ أي: الكفار، كما لا يقدرون علىٰ جمع الرّماد في اليوم العاصف؛ كذلك أعمالهم الصّالحة الّتي عملوها في الدّنيا لا ثواب لها في الآخرة كلّها تحبط.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: مما = من + ما؛ من: استغراقية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي كسبوا، وأوسع شمولاً من الذي، ولم يقل اكتسبوا؛ اكتسبوا: تستعمل في سياق السّيئات؛ أي: الأعمال غير الصّالحة. وكسبوا تأتي في سياق الأعمال الصالحة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: مهما كان صغيراً أو كبيراً، ومهما كان نوعه.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، وذلك الكفر: هو الضّلال البعيد الّذي لا يؤمل معه الرّجوع إلى طريق الهداية، أو الطّريق المستقيم.

لنقارن بين هذه الآية، والآية (٢٦٤) من سورة البقرة:

ففي آية إبراهيم: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾.

وآية البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾.

كلا الآيتين جاءتا في سياق الكفار، ففي آية إبراهيم؛ تعني: كلّ أعمالهم الصّالحة كرماد لا ثوباً لها.

وأمّا في آية البقرة؛ تعني: عمل واحد هو الصّدقات يبطل ثوابها.

وآية إبراهيم: جاءت في سياق الآيات الّتي تتحدث عن أعمالهم؛ أي: سياق العمل، والعامل كاسب؛ فقدم الكسب.

أمّا آية البقرة: جاءت في سياق الإنفاق، والمنفق معطٍ، وليس كاسباً بالمعنىٰ العام، وليس الشّرعي؛ فقدم الشّيء، وأخر الكسب.

وإذا جمعنا الآيتين يكون المعنىٰ: لا ثواب لأعمالهم، ولا لصدقاتهم؛ عطف الخاص علىٰ العام: للتوكيد؛ لأنّ أكثر أعمالهم الصّالحة هي الصّدقات، فأكد علىٰ بطلانها.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ
فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

سورة إبراهيم [الآيات ١٩ - ٢٤]

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ألم: الهمزة: استفهامية، وتقرير، ومعناها: ألم تعلم، وألم تر رؤية عقلية فكرية، وما يخبرنا به الله سبحانه هو أصدق مما لو رأيناه بأمّ أعيننا، أو ألم ينته علمك: أنّ الله خلق السّموات والأرض؟! ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، والأنبياء، آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)؛ لبيان كيف خلق السموات والأرض.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والحق: الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير؛ أي: بالدّقة الفائقة، وبالقوانين الثّابتة الّتي تحكم السّموات، وما فيها من ملايين الأجرام، أو المجرات، والنجوم الثابتة لا تصطدم ببعضها رغم اختلاف كتلها، وأبعادها، وحركتها منذ (١٤ ألف مليون سنة)، والتي تدل علىٰ قدرة وعظمة وحكمة الخالق، الفاطر، البارئ لهن. الإله الحق واجب الوجود الذي يستحق العبادة وحده.

ووردت هذه الآية في سور مختلفة منها:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦]؛ أي: عبثاً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص:٢٧].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨].

فتكرار هذه الآية؛ ليدل، ويؤكد على أن خلق السّموات والأرض من أعظم الدلالات على طلاقة القدرة الإلهية، ووحدانية الخالق وعظمته.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو النّدرة.

﴿يَشَأْ﴾: من الإشاءة: وهي تسبق مرحلة الإرادة؛ إن يشأ: إن كفرتم به وجحدتم خلقه. أن يذهبكم: أي: يستبدلكم بخلق جديد، أو يستخلفكم بآخرين ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩]، وهذا يدل على طلاقة قدرته سبحانه، كما دل على ذلك أيضاً خلق السّموات والأرض، واعلموا أنّ خلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: بأن يميتكم، أو يقضي عليكم، أو يهلكهم، ويأتي بخلق جديد لا يعصوه، أو أفضل منكم، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧].

[٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾:

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النّافية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويشير إلى الذّهاب بكم والإتيان بخلق جديد.

﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بعزيز: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ بعزيز: بممتنع، أو مستحيل، أو أمر عسير صعب، وتقديم على الله: للحصر، والتّوكيد.

[٢١] ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ

أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه الّذين كفروا برسلهم، وذكر أعمالهم الّتي كرماد اشتدت به الرّيح؛ أي: حبطت يذكر سبحانه ما سيحدث بينهم يوم القيامة من حوار، وما سيقول الشّيطان آنذاك لهم.

﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾: البروز: هو الظّهور مشتقة من البراز: وهو الفضاء الواسع، وجاء بلفظ الماضي بدلاً من المستقبل؛ لأنّ الزّمن عند الله واحد، الماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو خالق الزمان والمكان، وصيغة الماضي تعني: كأن الأمر وقع وانتهى.

والبروز يحدث بعد النّشر والبعث، ويكون على أرض المحشر في الفضاء الواسع.

﴿جَمِيعًا﴾: للتأكيد برزوا: كلّهم مجتمعين، ولم يتأخر عنهم أحد.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾: فقال: الفاء: يدل على التّرتيب، والمباشرة.

﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾:جمع ضعيف تطلق على العوام الضعاف الرّأي والفكر، ووصفوا بذلك لأنّهم اتبعوا غيرهم، وقلدوا آباءهم بدون تفكير وتدبر، ويطلق عليهم الأتباع أيضاً، أو التابعين، وإذا نظرنا إلى كيف كتبت كلمة ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾ في هذه الآية مع كتابتها في الآية (٢٦٦) في سورة البقرة نجد فيهما اختلافاً قد يعود إلى أن آية البقرة تعني: ضعفاء في الجسم والبنية، وأما في آية إبراهيم ضعفاء في الرأي والعقل؛ أي: ضعف معنوي، وفي آية البقرة ضعف مادي حسي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦٦) لمزيد من البيان.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص؛ الّذين استكبروا: أي: رؤساء الكفر والشّرك، ويطلق عليهم المتبوعين.

﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: الألف والسّين والتّاء؛ تعني: الطّلب؛ أي: هم ليسوا أهل للتكبر؛ أي: ليس عندهم مؤهلات الكبر، واستكبروا على هؤلاء الضّعاف، واستكبروا بغير حق، أو استكبروا عن طاعة الله ورسله، والاستجابة للإيمان، ودعوا غيرهم ليتبعوهم في ضلالهم وغيهم؛ فهم ضلوا وأضلوا غيرهم.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدّنيا.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة.

﴿تَبَعًا﴾: جمع تابع؛ أي: نتبعكم في ضلالكم وشرككم، أو في دعوتكم.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ هل: استفهام يفيد التوبيخ.

﴿أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: أي: هل أنتم ستحملون عنا من عذاب الله من شيء. من هنا: ابتدائية للتعليل، أو بعضية؛ أي: بعض العذاب.

﴿قَالُوا۟﴾: أي: الّذين استكبروا للضعفاء؛ أي: أجابوهم معتذرين لهم.

﴿لَوْ﴾: للتمني، وشرطية؛ لو: امتناع لوجود.

﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: أي: لو هدانا الله للإيمان لهديناكم، واللام: لام التّوكيد، ولكن لم يهدينا فهم يفترون على الله الكذب، وينسبون عدم هدايتهم لله، ويدّعون أنّ الله هو سبب ضلالهم، وعدم هدايتهم، وحاشا لله أن يفعل ذلك، ونسوا أنّ الله خيرهم فاختاروا، أو استحبوا الكفر على الإيمان، واختاروا طريق الضّلالة.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾: سواء: من المساواة، وتعني: استوى الشّيئان، وتسويا،

وسوىٰ أحدهما الآخر، والسّواء: العدل، ويقال للعدل: سواء؛ كقوله: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤]؛ أي: كلمته عدل وإنصاف.

﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾: أي: يستوي الأمران: الجزع، أو الصّبر هنا لا يغنيان شيئاً في هذا الموقف. والجزع: هو ضعف النّفس علىٰ تحمل المكروه، وهو عكس الصّبر، والصّبر: القدرة علىٰ تحمل المكروه، أو الأمر الملقىٰ إليه.

﴿أَجَزِعْنَآ﴾: أجزعنا: الهمزة: للتسوية.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي؛ فهم أدركوا الجزع لا يفيد، والصّبر لا يفيد أيضاً مما يؤدي بهم إلىٰ القنوط.

﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: ما: النّافية.

﴿لَنَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لنا: نحن خاصة.

﴿مِن﴾: استغراقية تستغرق كلّ محيص.

﴿مَّحِيصٍ﴾: منجىٰ، ملجأ، أو مهرب، والمحيص: اسم مكان؛ أي: ما لنا من مكان نهرب إليه، أو نلجأ إليه، وفلان حايص: أي: لا يجد مكاناً يرتاح فيه؛ فيحاول الهرب.

[٢٢] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين، وتتضمن معنىٰ الشّرط، قال الشّيطان: إبليس لأتباعه من الإنس، ولمعرفة معنىٰ كلمة الشّيطان: ارجع إلىٰ الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: انتهىٰ الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النّار النّار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾: إنّ الله: للتوكيد.

﴿وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾: الوعد هنا: البعث والجزاء، والجنة والنّار، ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسّيئة فلا يجزىٰ إلا مثلها، أو وعدكم علىٰ ألسنة رسله.

﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾: الوعد الّذي لا يتغير، ولا يتبدل، أو وعد الصدق.

﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾: بالوسوسة والتزيين والإيحاء، لا بعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، وأوحيت إليكم.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾: وما: النّافية.

﴿كَانَ﴾: تشمل جميع الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿مِّن﴾: استغراقية؛ تشمل كلّ سلطان.

﴿سُلۡطَٰنٍ﴾: سواء أكان سلطان القهر والقوة، أم سلطان البرهان، والحُجة؛ أي: ما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها علىٰ طاعتي (أي: تفعل الشّيء وأنت غير راض عنه؛ أي: أنت مكره)، ولا حجة، أو برهان أقنعكم بها، بل كنتم أنفسكم علىٰ ضلال.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾: إلا: تفيد الحصر.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿دَعَوۡتُكُمۡ﴾: بالوساوس، والتّزين، والإغراء، دعوتكم إلىٰ الشّرك، والكفر بالله ومعصيته.

﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾: فاستجبتم: الفاء: للمباشرة، والإسراع في الاستجابة لي؛ أي: الشيطان.

﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَلُومُونِى﴾: من اللوم: وهو خطاب يُعبر فيه عن عدم الرّضا عن عمل لم يكن متوقعاً من الملوم من قول أو فعل، واللوم إذا اشتد أو أصبح عنيفاً يقال له تثريب كما ورد على لسان يوسف عليه السلام حين قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢].

﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾: أي: وبخوا أنفسكم على ما فعلتم، وأشعروا بالنّدم والحسرة.

﴿مَّآ﴾: ما: النّافية.

﴿أَنَا۠﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾: الباء: للإلصاق والتّوكيد.

﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾: المصرخ: هو المغيث المقدم العون، والمساعدة؛ أمّا المستصرخ المستغيث الّذي يطلب العون، والغوث؛ أي: ما أنا بمغيثكم؛ أي: ما أنا بمساعدكم؛ أي: لا أستطيع مساعدتكم حتّى لو أردت.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾: أي: وكذلك أنتم لستم بمساعدي، أو مغيثين لي.

﴿إِنِّى كَفَرْتُ﴾: كفرت: جحدت، أو تبرأت من إشراككم إياي.

﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بما: الباء: للتعليل أو السّببية.

﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾: من قبل بإشراككم إياي مع الله؛ أي: جعلتموني شريكاً لله، أو أطعتموبني كما أطعتم الله، وحذفت الياء (ياء المتكلم) للدلالة على أنه ولو كان أدنى أو أقل الشرك؛ أي: كفرت بأي شرك بالله قمتم به ولو كان مهما كان.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: في الدّنيا.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين الكافرين.

﴿لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام لا يقدر عليه أحد، والقول: إنّ الظّالمين لهم عذاب أليم قد يكون من كلام الله تعالىٰ- وهو الأغلب- أو تتمة لقول الشّيطان.

[٢٣] ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾:

﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة: جنات عدن، والفردوس، والخلد، وجنات النّعيم... وغيرها.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: خلود دائم يبدأ منذ دخولهم الجنة.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمر ربهم، ومشيئته، وتيسيره. ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السورة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: سلام: نكرة؛ لأنّه أعم وأشمل؛ سلام: تحية، وسلام من أي سوء، أو مكروه، أو موت، أو مرض، وسلام: أمن واستقرار.

سلامٌ من الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

ومن الملائكة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

وسلام فيما بينهم: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦].

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام فيه تعجب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٩)؛ للبيان.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: المثل: هو قول يُشَبه بقول آخر بينهما مشابهة في شيء محسوس للتوضيح، والبيان. ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من سورة النّحل للبيان.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قيل: هي: لا إله إلا الله (كلمة التّوحيد)، محمّداً رسول الله.

﴿طَيِّبَةً﴾: من الطّيب المبارك، المدرك بجميع وسائل الإحساس، أو كلمة الحق.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: الكاف: للتشبيه؛ شجرة طيبة قيل: هي النّخلة، وقد تكون شجرة طوبىٰ في الجنة، أو شجرة غنية بالثمر الطيب الطعم واللذيذ.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أصلها جذورها ثابتة في الأرض؛ أي: ممتدة بجذورها تحت الأرض، والجذور للتغذية، فلا يخاف عليها من الجفاف والعقم أو السقوط.

﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: فروعها ممتدة؛ أي: متشعبة في السّماء.

❖ ❖ ❖

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الخامس

السورة ورقمها	الصفحة
سورة يونس [الآيات ١ - ٦]	٦
سورة يونس [الآيات ٧ - ١٤]	١٩
سورة يونس [الآيات ١٥ - ٢٠]	٢٩
سورة يونس [الآيات ٢١ - ٢٥]	٣٧
سورة يونس [الآيات ٢٦ - ٣٣]	٤٥
سورة يونس [الآيات ٣٤ - ٤٢]	٥٧
سورة يونس [الآيات ٤٣ - ٥٣]	٦٧
سورة يونس [الآيات ٥٤ - ٦١]	٧٩
سورة يونس [الآيات ٦٢ - ٧٠]	٩١
سورة يونس [الآيات ٧١ - ٧٨]	١٠٣
سورة يونس [الآيات ٧٩ - ٨٨]	١١٥
سورة يونس [الآيات ٨٩ - ٩٧]	١٢٥
سورة يونس [الآيات ٩٨ - ١٠٦]	١٣٥
سورة يونس [الآيات ١٠٧ - ١٠٩]	١٤٥
سورة هود [الآيات ١ - ٥]	١٤٩
سورة هود [الآيات ٦ - ١٢]	١٥٧
سورة هود [الآيات ١٣ - ١٩]	١٧١
سورة هود [الآيات ٢٠ - ٢٨]	١٨٣

السورة ورقمها	الصفحة

سورة هود [الآيات ٢٩ - ٣٧] ١٩٣

سورة هود [الآيات ٣٨ - ٤٥] ٢٠٥

سورة هود [الآيات ٤٦ - ٥٣] ٢١٧

سورة هود [الآيات ٥٤ - ٦٢] ٢٢٧

سورة هود [الآيات ٦٣ - ٧١] ٢٣٩

سورة هود [الآيات ٧٢ - ٨١] ٢٤٩

سورة هود [الآيات ٨٢ - ٨٨] ٢٥٩

سورة هود [الآيات ٨٩ - ٩٧] ٢٦٩

سورة هود [الآيات ٩٨ - ١٠٨] ٢٧٧

سورة هود [الآيات ١٠٩ - ١١٧] ٢٨٧

سورة هود [الآيات ١١٨ - ١٢٣] ٢٩٩

سورة يوسف [الآيات ١ - ٤] ٣٠٥

سورة يوسف [الآيات ٥ - ١٤] ٣١١

سورة يوسف [الآيات ١٥ - ٢٢] ٣٢١

سورة يوسف [الآيات ٢٣ - ٣٠] ٣٢٩

سورة يوسف [الآيات ٣١ - ٣٧] ٣٣٩

سورة يوسف [الآيات ٣٨ - ٤٣] ٣٤٩

سورة يوسف [الآيات ٤٤ - ٥٢] ٣٥٩

سورة يوسف [الآيات ٥٣ - ٦٣] ٣٦٩

سورة يوسف [الآيات ٦٤ - ٦٩] ٣٧٩

سورة يوسف [الآيات ٧٠ - ٧٨] ٣٨٩

سورة يوسف [الآيات ٧٩ - ٨٦] ٣٩٧
سورة يوسف [الآيات ٨٧ - ٩٥] ٤٠٧
سورة يوسف [الآيات ٩٦ - ١٠٣] ٤١٧
سورة يوسف [الآيات ١٠٤ - ١١١] ٤٢٩
سورة الرعد [الآيات ١ - ٥] ٤٤١
سورة الرعد [الآيات ٦ - ١٣] ٤٥٣
سورة الرعد [الآيات ١٤ - ١٨] ٤٦٥
سورة الرعد [الآيات ١٩ - ٢٨] ٤٧٩
سورة الرعد [الآيات ٢٩ - ٣٤] ٤٩٣
سورة الرعد [الآيات ٣٥ - ٤٢] ٥٠٣
سورة الرعد [الآية ٤٣] ٥١٥
سورة إبراهيم [الآيات ١ - ٥] ٥١٧
سورة إبراهيم [الآيات ٦ - ١٠] ٥٢٧
سورة إبراهيم [الآيات ١١ - ١٨] ٥٣٧
سورة إبراهيم [الآيات ١٩ - ٢٤] ٥٤٩
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الخامس ٥٥٨

❖ ❖ ❖